

جواهر البلاغة

تأليف
السيد أحمد الهاشمي



مؤسسة الأعلام للطبوعات

جواهر البلاغة

جواهر البلاغة في أدبيات وإنشاء لغة العرب

تأليف

المعلم البيان أحمد بن إبراهيم بن مصطفى
الهاشمي الأزهري المصري
المتوفى عام ١٩٤٣م



الجزء الأول

منشورات

مؤسسة الأعلی للمطبوعات

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناسر

يحظر نسخ أو تصوير أو ترجمة أو إعادة التنضيد بشكل كامل أو جزئي أو تسجيله
على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على إسطوانات ضوئية إلا
بموافقة خطية من الناسر.



Published by Aalami Est.

Beirut Airport Road

Tel:01/450426 Fax:01/450427

P.O.Box.7120

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - قرب ستر زعرور

هاتف: ٠١ / ٤٥٠٤٢٦ - فاكس: ٠١ / ٤٥٠٤٢٧

صندوق بريد: ٧١٢٠

E-mail: alaalami@yahoo.com

<http://www.alaalami.com>

ترجمة المؤلف (١)

هو أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، أديب مصري من أهل القاهرة، ولد سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م، وكان مديرًا لثلاث مدارس أهلية، واحدة للذكور واثنان للإناث، وصار مديرًا لمدارس الجمعية الإسلامية، ومراقبًا لمدارس فيكتوريا الإنجليزية، تتلمذ على يد الشيخ الإمام محمد عبده.

له من المؤلفات:

- ١ - جواهر الأدب في إنشاء وأدبيات لغة العرب.
- ٢ - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع (وهو الذي بين أيدينا).
- ٣ - أسلوب الحكيم، مجموعة مقالات.
- ٤ - ميزان الذهب في صناعة شعر العرب.
- ٥ - مختار الأحاديث النبوية.
- ٦ - السعادة الأبدية في الشريعة الإسلامية.
- ٧ - الحكم المحمدية، من البخاري وكتب الحديث المعتبرة.
- ٨ - جواهر الأعراب.
- ٩ - المفرد العلم.

(١) انظر ترجمته في:

- ١ - الصحف المصرية في ٢٦/١٠/١٩٤٣م.
- ٢ - معجم المطبوعات ١٨٨٧.
- ٣ - معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة ١/١٤٣.
- ٤ - الأعلام للزركلي ١/٩٠.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداً لمن خصَّ سيّد الرُّسل بكمال الفصاحة بين البدو والحضر وأنطقه بجوامع الكلم فأعجزَ بُلغَاءَ رِبيعةٍ ومُضَرَّ، وأنزل عليه الكتابَ المُفحِّمَ بتحدية مصاقيع بُلغَاءِ الأعراب، وأتاه بحكمته أسرارَ البلاغة وفصلَ الخطاب، ومنحه «الأسلوب الحكيم»^(١) في جوامع كلمه وخصَّ «السَّعادة الأبدية» لمقتفى آثاره وحِكْمِهِ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه «جواهر البلاغة» الذين نظموا لآلِءِ البديع في عَقُودِ الإيجاز والإطناب. ففقهنا بعد اللَّكْنِ «جواهر الأعراب» ونطقنا «بميزان الذهب» وطرزنا سَطُورَ الطُّرُوسِ «بجواهر الأدب» فصارت «المفرد العَلم» في باب النَّسَبِ.

وبعد: فإنَّ العلومَ أرفعُ المطالب، وأنفعُ المآربِ وعلمُ البلاغة من بينِها أجلُّها شأنًا، وأبينها تَبَيَّنًا، إذ هو الكفيل بإيضاح حقائق التَّنْزِيلِ، وإفصاح دقائق التَّأْوِيلِ. وإظهار «دلائل الإعجاز» ورفع معالم الإيجاز، ولاشتغالي بتدريس البيان بالمدارس الثانوية، كانت البواعث داعية إلى تأليف كتاب «جواهر البلاغة» جامعًا للمهمات من القواعد والتطبيقات - وأسأل المولى جلَّ شأنه أن ينفعَ بهذا الكتاب وهو الموفق للحق والصواب.

المؤلف

السيد أحمد الهاشمي

(١) الأسلوب الحكيم والسعادة الأبدية وجواهر البلاغة، وجواهر الأعراب وجواهر الأدب وميزان الذهب والمفرد العلم - الواردة في هذه الخطبة أسماء بعض كتب مطبوعة لمؤلف هذا الكتاب.

أقوال أئمة العلماء والأعلام وآراء الأساتذة الكبار في كتاب جواهر البلاغة

كتب أستاذاي المرحوم صاحب الفضيلة الشيخ حسونة النواوي شيخ الجامع الأزهر:

الحمد لله العليّ القدير، والصلاة والسلام على النبي البشير النذير، وعلى آله وأصحابه الذين ملكوا طريقه المنير.

«أما بعد» فقد اطلعت على كتاب «جواهر البلاغة» الذي حاز كمال الصياغة لحضرة مؤلفه الأستاذ الفاضل «السيد أحمد الهاشمي» الحائز لكمال الفضائل، فوجدته كتاباً نفيساً قد اشتمل على بيان بديع المعاني بأفصح عبارة وأبلغ إشارة، وسلك فيه حضرة مؤلفه طريق التحقيق لصعاب الشوارد، مع كثرة التمارين والأمثلة والشواهد فجاء فريداً في باب، مرغوباً ونافعاً لطلابه، أسأل الله تعالى أن يرزق مؤلفه الحسنى وزيادة، ويمنحه السعادة في الدارين والسيادة، ويوفقه للتعلم والتّعليم. ويهديه إلى الصراط المستقيم إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

وكتب المغفور له السّماحة السيد علي البيلّاي شيخ الجامع الأزهر:

أحمد من رّصع تاج اللغة العربية «بجواهر البلاغة» فشرّفها على سائر اللغات بكمال الصياغة، وأصلّي وأسلم على أفصح ناطق بالضاد، وأجلّ داع إلى الله وهاد سيدنا محمد القائل (إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة) وعلى آله وصحبه الذين بذلوا أرواحهم في صون كتاب الله الكريم، ونشر دينه القويم.

هذا وقد تصفحت جملة من كتاب «جواهر البلاغة» الذي أحكم صنعه وأبدع تصنيفه ووضعه، حضرة الفاضل، المجداً الكامل الأستاذ السيد أحمد الهاشمي فرأيت جعل فرائد فوائد الفنون الأدبية على طرف التمام، بحيث لا يكلف طالبا أكثر من الاطلاع على كتابه، حتى يعود مسرور الفؤاد، قرير العين، بما وجدته فيه من ضالته المنشودة التي طالما أبعدته عنها صعوبة المؤلفات السابقة؛ في مثل فنون البلاغة وطولها بدون طائل - فجزى الله حضرة هذا الأستاذ الجليل عن طالبي الاستفادة خير الجزاء، ووفقه لما فيه من الخير والنفع العام. إنه سميع الدعاء.

وكتب المرحوم أستاذنا الحكيم الإمام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية:
اطلعت على كتاب «جواهر البلاغة» في علوم المعاني والبيان والبدیع والسرقات
الشعرية، فوجدته كتابًا عظيمًا، وأسلوبًا حكيماً، يشهد لحضرة مؤلفه الفاضل بملاك
الذوق السليم، والعقل الحكيم، هداه الله إلى الصراط المستقيم ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (١). آمين.

وكتب أخونا الأستاذ الشيخ أحمد الكنانى المدرس في المدرسة التوفيقية:
الحمد لله البديع صنعه، الحكيم وضعه، الواهب من شاء ما شاء من نعمه المفيض
على من اصطفاهم من عباده وابل فضله وكرمه، نشكره هداًنا بفضل الصراط
المستقيم. صراط الذين حازوا فضل العلم والتعليم. ونصلي ونسلم على أبي إبراهيم
المبعوث بملة أبيه إبراهيم، سيدنا محمد ذي المقام الأسمى الذي أنزل عليه في محكم
كتابه ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (٢) وعلى آله وأصحابه وأتباعه، الذين اجتمعت قلوبهم
وقوالهم على حبه واتباعه.

«أما بعد»: فإن خير الكتب ما عمّ نفعه، وحسن لدى العقلاء وضعه - وكان متقن
البيان، واضح الحجّة، قوي البرهان، وإن كتاب «جواهر البلاغة» لمن خير الكتب
وضعا، وأحسنها اختياراً وصنعا، لمؤلفه الفاضل الأستاذ «السيد أحمد الهاشمي» فإن
لحضرت من التآليف العديدة. والتصانيف المفيدة، ما تقر به أعين الناطقين بالضاد،
ويفحم بمعجزاته كل مضاد، لا سيما هذا السفر الجليل الذي جاء دليلاً على إخلاصه
في النية لأبناء أمته، وبرهاناً ساطعاً على وفائه وحسن طويته. فقد جمع فيه ما تفرق،
بعد أن حقق ودقق - فلا غرابة إذا احتاج إليه كل إنسان، لما فيه من مراعاة النظر
وحسن البيان - فالله أسأل أن ينفع بالمؤلف والمؤلف العباد ويجعله بفضل كنزاً وذخراً
إلى المعاد. آمين.

(١) سورة الفاتحة: الآية ٧.

(٢) سورة طه: الآية ١١٤.

تمهيد

لَمَّا وُضِعَ «عِلْمُ الصَّرْفِ» لِلنَّظَرِ فِي أُبْنِيَةِ الْأَلْفَاظِ .
وُضِعَ عِلْمُ النَّحْوِ لِلنَّظَرِ فِي إِعْرَابِ مَا تَرَكَّبَ مِنْهَا .
وُضِعَ «الْبَيَانُ»^(١) لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِ هَذَا التَّرَكِّيبِ ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ عُلُومٍ :
الْعِلْمُ الْأَوَّلُ : مَا يُحْتَزُّ بِهِ عَنِ الْخَطَأِ فِي تَأْدِيَةِ الْمَعْنَى الَّذِي يُرِيدُهُ الْمُتَكَلِّمُ لِإِيصَالِهِ
إِلَى ذَهْنِ السَّامِعِ ، وَيُسَمَّى «عِلْمُ الْمَعْنَى» .
الْعِلْمُ الثَّانِي : مَا يُحْتَزُّ بِهِ عَنِ التَّعْقِيدِ الْمَعْنَوِيِّ - أَيَّ عَنْ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ غَيْرَ وَاضِحٍ
الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ ، وَيُسَمَّى «عِلْمُ الْبَيَانِ» .
الْعِلْمُ الثَّلَاثُ : مَا يُرَادُ بِهِ تَحْسِينُ الْكَلَامِ ، وَيُسَمَّى «عِلْمُ الْبَدِيعِ» فَعِلْمُ الْبَدِيعِ تَابِعٌ لَهُمَا
إِذْ بِهِمَا يَعْرِفُ التَّحْسِينُ الذَّاتِي وَبِهِ يَعْرِفُ التَّحْسِينُ الْعَرْضِيَّ وَالْكَلامُ بِاعْتِبَارِ «الْمَعْنَى
وَالْبَيَانِ» يَقَالُ إِنَّهُ «فَصِيحٌ» مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ - لِأَنَّ النَّظَرَ فِي الْفَصَاحَةِ إِلَى مَجْرَدِ اللَّفْظِ دُونَ
الْمَعْنَى .
«وَبَلِيغٌ» مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا - لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ يَنْظُرُ فِيهَا إِلَى الْجَانِبَيْنِ^(٢) .

(١) عِلْمُ الْبَيَانِ فِي اصْطِلَاحِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ أَئِمَّةِ الْبَلَاغَةِ يَطْلُقُ عَلَى فَنُونِهَا الثَّلَاثَةِ مِنْ بَابِ تَسْمِيَةِ الْكَلِمِ
بِاسْمِ الْبَعْضِ - وَخَصَّهُ الْمُتَأَخَّرُونَ بِالْعِلْمِ الْبَاحِثِ عَنِ الْمَجَازِ وَالِاسْتِعَارَةِ وَالتَّشْبِيهِ وَالْكِنَايَةِ -
وَالْغَرَضُ مِنْهُ صَوْغُ الْكَلَامِ بِطَرِيقَةٍ تَبَيَّنُ مَا فِي نَفْسِ الْمُتَكَلِّمِ مِنَ الْمَقَاصِدِ وَتَوْصِلُ الْأَثَرَ الَّذِي يُرِيدُهُ
بِهِ إِلَى نَفْسِ السَّامِعِ .

(٢) وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ الْفَصَاحَةَ تَمَامُ آلَةِ الْبَيَانِ فَهِيَ مَقْصُورَةٌ عَلَى اللَّفْظِ لِأَنَّ الْآلَةَ تَتَعَلَّقُ بِاللَّفْظِ دُونَ
الْمَعْنَى . وَبِالْبَلَاغَةِ إِنَّمَا هِيَ إِنْهَاءُ الْمَعْنَى فِي الْقَلْبِ فَكَأَنَّهَا مَقْصُورَةٌ عَلَى الْمَعْنَى ، وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَى
أَنَّ الْفَصَاحَةَ تَتَضَمَّنُ اللَّفْظَ ، وَبِالْبَلَاغَةِ تَتَنَاوَلُ الْمَعْنَى ، أَنَّ الْبِغْيَاءَ يَسْمَى فَصِيحًا وَلَا يَسْمَى بَلِيغًا إِذْ
هُوَ مُقِيمُ الْحُرُوفِ وَلَيْسَ لَهَا قَصْدٌ إِلَى الْمَعْنَى الَّذِي يُؤَدِّيهِ - وَقَدْ يَجُوزُ مَعَ هَذَا أَنْ يَسْمَى الْكَلَامُ
الْوَاحِدَ فَصِيحًا بَلِيغًا إِذَا كَانَ وَاضِحَ الْمَعْنَى سَهْلَ اللَّفْظِ جَيِّدَ السَّبْكِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ فَجَّ وَلَا مُتَكَلِّفٍ
وَخَمٍ ، وَلَا يَمْنَعُهُ مِنْ أَحَدِ الْأَسْمَاءِ شَيْءٌ لَمَّا فِيهِ مِنْ إِضْحَاحِ الْمَعْنَى وَتَقْوِيمِ الْحُرُوفِ .
وَاعْلَمْ أَنَّ الْفَصِيحَ مِنَ الْأَلْفَاظِ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ ، وَإِنَّمَا كَانَ ظَاهِرًا بَيِّنًا لِأَنَّهُ مَأْلُوفٌ الْإِسْتِعْمَالِ ،
وَإِنَّمَا كَانَ مَأْلُوفَ الْإِسْتِعْمَالِ بَيْنَ النَّابِهَيْنِ مِنَ الْكِتَابِ وَالشَّعْرَاءِ لِمَكَانِ حَسَنِهِ ، وَحَسَنِهِ مَدْرُكٍ
بِالسَّمْعِ ، وَالَّذِي يَدْرُكُ بِالسَّمْعِ إِنَّمَا هُوَ اللَّفْظُ لِأَنَّهُ صَوْتٌ يَتَأَلَّفُ مِنْ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ فَمَا اسْتَلْذَهُ =

وأما باعتبار البديع فلا يقال إنه فصيح ولا بليغ، لأن البديع أمرٌ خارجي يُراد به تحسين الكلام لا غيرُ.

إذا تقرر ذلك وجب على طالب البيان أن يعرفَ قبل الشروع فيه معرفةً معنى «الفصاحة والبلاغة» لأنهما محورُهُ، وإليهما مرجع أبحاثه، فهما الغاية التي يقفُ عندها المتكلم والكاتب، والضائقة التي ينشُدانها، وما عقد أئمة البيان الفصول، ولا بؤبؤ الأبواب، إلا بُغية أن يُوقِفُوا المُستَرشد على تحقيقات وملاحظات وضوابط، إذا رُوِعت في خطابه أو كتابه بلغت الحدَّ المطلوب من سهولة الفهم، وإيجاد الأثر المقصود في نفس السامع واتَّصفت مِنْ ثَمَّ بصفة الفصاحة والبلاغة^(١).

⁼ السمع منه فهو الحسن، وما كرهه فهو القبيح - والحسن هو الموصوف بالفصاحة - والقبيح غير موصوف بالفصاحة لأنه ضدها لمكان قبحه.

(١) يرى الإمام عبد القاهر الجرجاني وجمع من المتقدمين أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ألفاظ مترادفة لا تنصف بها المفردات، وإنما يوصف بها الكلام بعد تحرّي معاني النحو فيما بين الكلم حسب الأغراض التي يصاغ لها.

وقال أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين - الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له. وقال الرازي في نهاية الإيجاز - وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين الفصاحة والبلاغة: وقال الجوهري في كتاب الصحاح - الفصاحة هي البلاغة.

مقدمة (١) في معرفة الفصاحة والبلاغة

الفصاحة

الفصاحة تطلق في اللغة على معان كثيرة - منها البيان والظهور قال الله تعالى:
﴿وَأَخِي مُكَرُّوتٌ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾^(٢) أي أبين مِنِّي قولًا.

ويقال أفصح الصَّبِيُّ في منطقهِ إذا بان وظهر كلامه.

وقالت العرب - أفصح الصُّبح إذا أضاء، وفَصَحَ أيضًا، وأفصح الأعجميُّ إذا أبان بعد أن لم يكن يُفصح ويُبين، وفصح اللِّحان إذا عبَّرَ عَمَّا في نفسه وأظهره على وجه الصُّواب دون الخطأ.

وفي اصطلاح أهل المعاني، عبارة عن الألفاظ البَيِّنَةُ الظاهرة المُتبادرة إلى الفهم،
والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء لمكان حُسْنِها.

وهي تقع وصفًا للكلمة، والكلام، والمتكلم، حَسْبَمَا يعتبر الكاتب اللَّفظة وحدها أو مَسبوكة مع أخواتها.

(١) مقدمة مشتقة من قَدَّمَ اللّازم وهذه مقدمة كتاب لأنها ألفاظ تقدمت أمام المقصود لارتباط له بها وانتفاع بها فيه - بخلاف مقدمة العلم فهي معان يتوقف الشروع عليها كبيان حد العلم المشروع فيه وموضوعه وغايته.

واعلم أن علوم البلاغة أجل العلوم الأدبية قدرًا وأرسخها أصلًا وأبسطها فرعًا وأحلاها جنى وأعذبها وردًا لأنها العلوم التي تستولي على استخراج درر البيان من معادنها وتترك محاسن النكت في مكانها (ولولاها لم تر لسانًا يحوك الوشي، ويلفظ الدر، وينث السحر، ويريك بدائع من الزهر، وينثر بين يديك الحلو البانع من الثمر) فهي الغاية التي تنتهي إليها أفكار النظائر، واللاّلىء التي تتطلبها غاصة البحار لهذا كانت منزلتها تلو العلم بتوحيد الله تعالى.

(٢) سورة القصص: الآية ٣٤.

فصاحة الكلمة

فصاحة الكلمة سلامتها من أربعة عيوب:

١ - تنافر الحروف.

٢ - غرابة الاستعمال.

٣ - مخالفة القياس.

٤ - الكراهة في السمع^(١).

الأول: «تنافر الحروف» هو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على السمع وصعوبة أدائها باللسان بسبب كون حروف الكلمة متقاربة المخارج وهو نوعان:

١ - شديد في الثقل كالظش (للموضع الخشن) ونحو: هُعُخُع «لنبت ترعاه الإبل» من قول أعرابي: تركت ناقتي تَزَعِي الهُعُخُع.

٢ - وخفيف كالثَّقْنَقَة «لصوت الضفادع» والثَّقَاخ «للماء العذب الصافي» ونحو: مُسْتَشْزِرَات «بمعنى مرتفعات» من قول امرئ القيس يصف شعر ابنة عمه:

[الطويل]

عَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعُلَا تَضِلُّ الْعُقَاصَ فِي مُثْنَى وَمُرْسَلٍ^(٢)
ولا ضابط لمعرفة الثقل والصعوبة سوى الذوق السليم والحس الصادق التاجمين
عن النظر في كلام البلغاء وممارسة أساليبهم^(٣).

(١) وبذلك تسلم مادتها وصيغتها ومعناها من الخلل - واعلم أنه ليس تنافر الحروف يكون موجه دائماً قرب مخارج الحروف إذ قربها لا يوجب دائماً - كما أن تباعدها لا يوجب خفتها - فهي كلمة «بغمي» حسنة وحروفها من مخرج واحد وهو الشفة، وكلمة (ملع) متنافرة ثقيلة وحروفها متباعدة المخارج، وأيضاً ليس موجب التنافر طول الكلمة وكثرة حروفها.

(٢) «الغدائر» الضفائر والضمير يرجع إلى (فرع) قبله (والاستشزار) الارتفاع (والعقاص) جمع عقصة وهي الخصلة من الشعر (والمثنى) الشعر المفتول (والمُرْسَل) ضده - أي ابنة عمه لكثرة شعرها بعضه مرفوع، وبعضه مثنى، وبعضه مرسل، وبعضه معقوص ملوي.

(٣) الألفاظ تنقسم إلى ثلاثة أقسام قسمان حسان، وقسم قبيح، فالقسمان الحسنان أحدهما ما تداول استعماله السلف والخلف من الزمن القديم إلى زماننا هذا ولا يطلق عليه أنه وحشي، والآخر ما تداول استعماله السلف دون الخلف، ويختلف في استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله - وهذا هو الذي يعاب استعماله عند العرب لأنه لم يكن عندهم وحشياً وهو عندنا وحشي.

ولا يسبق وهمك إلى قول قصراء النظر بأن العرب كانت تستعمل من الألفاظ كذا وكذا فهذا دليل على أنه حسن، بل ينبغي أن تعلم أن الذي نستحسنه نحن في زماننا هذا هو الذي كان عند العرب مستحسنًا، والذي نستقبحه هو الذي كان عندهم مستقبحًا والاستعمال ليس بدليل على =

الثاني: غَرَابَةُ الاستعمال، وهي كونُ الكلمة غيرَ ظاهرةٍ المعنى ولا مألوفةٍ الاستعمال عند العرب الفُصحاء، لأنَّ المعوَّلَ عليه في ذلك استعمالهم. والغرابة قسمان:

القسم الأول: ما يُوجب حيرة السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة. وذلك في الألفاظ المُشتركة «كـمـسـرّج» من قول رؤبة بن العجاج:

[الرجز]

وَمُقْلَةٌ وَحَاجِبًا مُزَجَّجًا وَفَاحِمًا وَمُرْسِنًا مُسَرَّجًا^(١)

فلا يُعلم ما أراد بقوله «مُسَرَّجًا» حتى اختلفت أئمة اللغة في تخريجه فقال «ابن دريد» يُريد أنَّ أنفه في الاستواء والدقة كالسيف السريجي.

وقال: «ابن سيده» يُريد أنه في البريق واللّمعان كالسراج^(٢).

⁼ الحسن فإننا نحن نستعمل الآن من الكلام ما ليس بحسن وإنما نستعمله لضرورة فليس استعمال الحسن بممكن في كل الأحوال - واعلم أن استحسان الألفاظ واستقباحها لا يؤخذ بالتقليد من العرب لأنه شيء ليس للتقليد فيه مجال وإنما هو شيء له خصائص وهيئات وعلامات إذا وجدت علم حسنه من قبحه - ألا ترى أن لفظة المزنة مثلاً حسنة عند الناس كافة من العرب وغيرهم لا يختلف أحد في حسنها - وكذلك لفظ البعاق فإنها قبيحة عند الناس كافة من العرب وغيرهم فإذا استعملتها العرب لا يكون استعمالهم إياها مخرجاً لها عن القبح ولا يلتفت إذن إلى استعمالهم إياها بل يعاب مستعملها ويغلظ له النكير حيث استعملها - فلا تظن أن الوحشي من الألفاظ ما يكرهه سمعك ويثقل عليك النطق به وإنما هو الغريب الذي يقل استعماله فتارة يخف على سمعك ولا نجد به كراهة وتارة يثقل على سمعك وتجد منه الكراهة وذلك في اللفظ عيبان كونه غريب الاستعمال وكونه ثقیلاً على السمع كريهاً على الذوق. وليس وراءه في القبح درجة أخرى ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شيء من معرفة هذا الفن أصلاً - انتهى عن المثل السائر بتصرف.

(١) «مزججًا» مدققًا مطوّلًا (فاحمًا) شعراً أسود كالفضة (مرسِنًا) بكسر الميم وفتح السين كمئبر - أو بفتح الميم وكسر السين كمجلس ومعناه أنفاً لِمَعَانٍ كَالسَّرَاجِ - أو ذا صقالة واحديداب كالسيف السريجي أي المنسوب إلى سريج وهو قين حداد تنسب إليه السيوف في الدقة والاستواء.

(٢) أي ولفظه مسرج غير ظاهرة الدلالة على ما ذكر لأن فعل إنما يدل على مجرد النسبة وهي لا تدل على التشبيه فأخذه منها بعيد - لهذا أدخل الحيرة على السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة ومثله قول الشاعر: [الكامل]

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

فلا يعلم ماذا أراد بقوله فعلت ما لم أفعل - أكان يبكي إذا رحلوا - أم كان يهيم على وجهه من الغم الذي لحقه - أم يتبعهم إذا ساروا - أم يمنهم من المضي على عزمة الرحيل.

فلهذا يَحْتَارُ السَّامِعُ في فهم المعنى المقصود لتردّد الكلمة بين معنيين بدون «قرينة» تُعَيِّنُ المقصود منهما.

فلأجل هذا التردّد، ولأجل أن مادة فعل تدلّ على مجرد نسبة شيء لشيء لا على النسبة التشبيهية كانت الكلمة غير ظاهرة الدلالة فصارت غريبة.

وأما مع القرينة فلا غرابة كلفظة «عَزَّرَ» في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾^(١) فإنها مشتركة بين التعظيم والإهانة - ولكن ذكر النصر قرينة على إرادة التعظيم.

القسم الثاني: ما يُعَاب استعماله لاحتياج إلى تتبّع اللغات وكثرة البحث والتفتيش في المعاجم «قواميس متن اللغة المطولة».

«أ» فمنه ما يُعَثَرُ فيها على تفسيرٍ بَعْدَ كَذِّ وَبَحْثٍ نحو: تَكَأَكَأْتُمْ «بمعنى اجتمعتم» من قول عيسى بن عمرو النَّحَوِي:

مَا لَكُمْ تَكَأَكَأْتُمْ^(٢) عَلَيَّ كَتَكَأَكُنْكُمْ عَلَى ذِي جِنَّةٍ^(٣) افرْتَقِعُوا عَنِّي^(٤) ونحو مُسَمَخِرٌ فِي قَوْلِ بَشْرِ بْنِ عَوَانَةَ يَصِفُ الْأَسَدَ:

[الوافر]

فَخَرَّ مُدْرَجًا بِدَمٍ كَأَنِّي هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْمَخِرًا
«ب» ومنه ما لم يُعَثَرُ على تفسيره نحو (جَحَلَنْجَع) من قول أبي الهَمَيْسَع:

[الرجز]

مِنْ ظَمْحَةٍ صَبِيرَهَا جَحَلَنْجَعٌ^(٥) لم يحضها الجدول بالتَّنَوُّعِ
الثالث: (مخالفة القياس) كون الكلمة غير جارية على القانون الصُرْفِي المُسْتَبْطَن من كلام العرب؛ بأن تكونَ على خلاف ما ثبت فيها عن الواضع^(٦) مثل (الأَجَلِل) في قول

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٢) اجتمعتم.

(٣) جنون.

(٤) انصرفوا وقال ذلك حين سقط عن دابته فاجتمع الناس حوله.

(٥) الطمحة النظرة والصير السحاب المتراكم - وقوله: [الرجز]

إن تمنعي صوبك صوب المدمع يجري على الخد كضشب الشعث

الضشب الحب والشعث اللؤلؤ - قال صاحب القاموس ذكروا جعلنجع ولم يفسروه وقالوا كان أبو الهيمسج من أعراب مدين وكنا لا نكاد نفهم كلامه اهـ.

(٦) اعلم أن ما ثبت عن الواضع موافقاً أو مخالفاً للقياس فصيح فمثل (آل وماء) أصلهما أهل وموه أبدلت الهاء فيهما همزة وإبدال الهمزة من الهاء وإن كان على خلاف القياس إلا أنه ثبت عن =

أبي النَّجْم:

[الرجز]

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ الْوَاحِدِ الْفَرْدِ الْقَدِيمِ الْأَوَّلِ
فَإِنَّ الْقِيَاسَ الْأَجَلَ بِالْإِدْغَامِ وَلَا مُسَوِّغَ لَفْكَهِ.
وكقطع همزة الوصل في قول جميل:

[الطويل]

أَلَا لَا أَرَى اثْنَيْنِ أَحْسَنَ شَيْمَةً عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مَنِّي وَمَنْ جُمِلَ^(١)
يُسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ مَا ثَبِتَ اسْتِعْمَالُهُ لَدَى الْعَرَبِ مُخَالَفًا لِلْقِيَاسِ.

ولم يَخْرُجْ عن الفصاحة لفظتا المشرق والمغرب بكسر الراء والقياس فتحها فيهما وكذا لفظتا المدهن والمُنْخُل والقياس فيهما مِفْعَل بكسر الميم وفتح العين وكذا نحو قولهم عَوْر والقياس عَارَ لتحرك الواو وانفتاح ما قبلها.

الرابع: (الكراهة في السمع) كون الكلمة وحشية تأنفها الطبائع وتمجُّها الأسماع وتنبو عنه كما ينبو عن سماع الأصوات المنكرة (كالجِرْشِيِّ للنفس) في قول بي الطَّيِّبِ المَتَنَّبِيِّ يمدح سَيْفَ الدَّوْلَةِ:

[المتقارب]

مُبَارَكُ الْأَسْمِ أَغْرُ اللَّقَبِ كَرِيمُ الْجِرْشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ

تطبيق (١)

ما الذي أُخِلَّ بفصاحة الكلمات فيما يأتي:

قال يحيى بن يعمر لرجل حاكمته امرأته إليه «أَرَأَيْتَ سَأَلْتُكَ ثَمَنَ شَكْرِهَا وَشَبْرِكَ أَنْشَأَتْ تُطْلُهَا وَتُضْهِلُهَا»^(٢).

وقال بعض أمراء العرب وقد اعتلت أمه فكتب رقاعاً وطرحها في المسجد الجامع

⁼ الواضع ومثل (أبي يابى) بفتح الباء في المضارع والقياس كسرهما فيه لأن فعل بفتح العين لا يأتي مضارعه على يفعل بالفتح إلا إذا كان عين ماضيه أو لامه حرف حلق كسأل ونفع، فمجيء المضارع بالفتح على خلاف القياس إلا أن الفتح ثبت عن الواضع، ومثل (عور يعور) أي فالقياس فيهما عار يعار بقلب الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فتصحح الواو خلاف القياس إلا أنه ثبت عن الواضع.

(١) الشيمة الخلق، والحدثان نوابغ الدهر، وجمل فرسه.

(٢) الشكر الرضاع والشبر النكاح وتطلها تسعى في بطلان حقها وتضهلها تعطيتها الشيء القليل.

بمدينة السلام: صِينَ امْرُؤٌ وَرَعَا دَعَا لَامْرَأَتَهُ ^(١) إِنْقَحَلَةً ^(٢) مُقَسَّنَةً ^(٣) الظَّرْمُوقَ ^(٤) فَأَصَابَهَا مِنْ أَجَلِهِ الْاسْتِمَصَالَ ^(٥) بَأَنَّ يَمُنَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِالْإِطْرِغْشَاشِ ^(٦) وَالْإِطْرِغْشَاشِ - أَسْمَعُ جَعَجَعَةً ^(٧) وَلَا أَرَى طِحْنًا - الْإِسْفِنْظَ ^(٨) حَرَامٌ - وَهَذَا الْخُنْشَلِيلُ ^(٩) صَقِيلٌ، وَالْفَدْوَكْسُ مُفْتَرَسٌ ^(١٠) يَوْمٌ عَصَبَصَبٌ وَهَلْوَفٌ مَلَأَ السَّجْسَجَ طَلًا.

[الوافر]

أَمِنَّا أَنْ تُصْرَعَ عَنْ سَمَاحٍ وَلِلْأَمَالِ فِي يَدِكَ اضْطِرَاعٌ ^(١١)
وقال الفرزدق:

[الكامل]

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خَضَعَ الرُّقَابِ نَوَائِسَ الْأَبْصَارِ ^(١٢)
وقال أبو تمام:

[البسيط]

قَدْ قُلْتُ لَمَّا اطْلَحَمَ الْأَمْرُ وَانْبَعَثَ عَشَوَاءَ تَالِيَةً غُبَسَا دَهَارِيسَا ^(١٣)
وقال شمر:

[الطويل]

وَأَحْمَقِي مِمَّنْ يَكْرَعُ الْمَاءَ قَالَ لِي دَعِ الْخَمْرَ وَاشْرَبْ مِنْ نُقَاحٍ مُبَرَّدٍ ^(١٤)

(١) يابسة.

(٢) مسنة عجوز.

(٣) ابتليت بأكل الطين.

(٤) البرء وكذا معنى ما بعده.

(٥) جعجعة غير فصيحة لتنافر حروفها وهو مثل يضرب لمن يقول ولا يفعل.

(٦) الإسفطنط الخمر.

(٧) الفدوكس الأسد فكل من هذه الألفاظ الثلاثة وحشية غير مألوقة.

(٨) شديد البرد فيهما والسجسج الأرض التي ليست بسهولة ولا صلابة.

(٩) أراد أنهم أمتوا أن يغلبه غالب يصصره عن السماح ويمتنعه منه - وأما قوله (وللأمال في يدك اضطراع) فمعناه تنافس وتغالب وازدحام في يده - يريد كثرة نواله وكرمه واستعماله للفظه الاضطراع فهذا المعنى بعيد، والبيت للبحتري.

(١٠) فقد جمع (ناكس) على (فواعل) وهذا لا يطرد إلا في وصف لمؤنت عاقل لا لمذكر كما هنا إلا في موضعين (فوارس وهوالك) والناكس مطأطء الرأس.

(١١) قال صاحب المثل السائر أن لفظ (طلختم) من الألفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في أنها غريبة وأنها غليظة في السمع كريهة على الذوق وكذلك لفظة (هاريس)، اطلختم أي اشتد وعظم، والعشواء: الليلة المظلمة، والغبسة جمع أغبس وغبساء وهي الشديدة الظلام مثلها - والدهاريس جمع دهريس وهي الدواهي.

(١٢) الماء العذب الصافي.

[الطويل]

يَظَلُّ بِمَؤْمَاةٍ وَيُمِيسِي بِغَيْرِهَا جَحِيشًا وَيَعْرِوْرِي ظُهُورَ الْمَسَالِكِ^(١)

[الطويل]

فَلَا يُبْرِمُ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ وَلَا يُخْلِلُ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ يُبْرِمُ^(٢)

[البسيط]

مُقَابِلٌ فِي دُرَا الْأَذْوَاءِ مَنْصِبُهُ عَيْصًا فَعَيْصًا وَقُدْمُوسًا فَقُدْمُوسًا^(٣)
وقال أبو تمام:

[المنسرح]

نَعْمَ مَتَاعُ الدُّنْيَا حَبَاكَ بِهِ أَوْرَعُ لَا جَنِيْدَرٌ وَلَا جَنْبُسٌ
وقال امرؤ القيس:

[الرجز]

رُبَّ جَفْنَةٍ مُثْعَنُجِرَةٍ وَطَعْنَةٍ مُشْحَنَفِرَةٍ
وَحُظْبَةٍ مُسْتَحْضَرَةٍ

وقصيدة مُحِبْرَةٍ تَبْقَى غَدًا بِأَنْقَرَةٍ^(٤) أَكَلْتُ الْعَرَيْنَ، وَشَرِبْتُ الصُّمَادِحَ^(٥) إِنِّي إِذَا
أَنْشَدْتُ لِأَحْبَطَى^(٦)، نَزَلَ بِزَيْدٍ دَاهِيَةٌ خَنْفَقِيْقٌ^(٧) وَحَلَّ بِهِ عَنَقْفِيرٌ. لَمْ يَجِدْ مِنْهَا مَخْلَصًا.
رَأَيْتُ نُقَاخًا^(٨) يَنْبَاغُ^(٩) مِنْ سَفْحِ جَبَلٍ شَامَخٍ. إِخَالُ أَنْتَ مَصُوءُونَ^(١٠) - الْبُعَاقُ^(١١) مَلَأَ

(١) الموماة المفازة الواسعة ويقال للمستبد برأيه جحيش ويقال اعروري الفرس ركبها عرباناً - وإن
لفظة جحيش من الألفاظ المنكرة القبيحة - وبالله العجب أليس أنها بمعنى فريد وفريد لفظة حسنة
رائقة ولو وضعت في هذا البيت موضع جحيش لما اختل شيء من وزنه، فتأبط شراً ملوم من
وجهين في هذا الموضع أحدهما أنه استعمل القبيح والآخر أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم
يعدل عنه، والبيت لتأبط شراً في ديوانه.

(٢) العيب في هذا البيت من حيث فك الإدغام في حالل ويحلل بلا مسوغ وهو مخالف للقياس
الصرفي، والبيت للمتنبى في ديوانه. (٣) البيت لأبي تمام في ديوانه.

(٤) يريد جفنة صحفة كبيرة ملأى تشيع عشرة والمثعنجرة السائلة والمسحفرة الماضية بسرعة وطعنة
متسعة ببلد أنقرة وهو كلام امرئ القيس لما قصد ملك الروم ليستنجده على قتلة أبيه فهوته بنت
الملك وبلغ ذلك القيصر فوعده أن تتبعه بالجنود إذا بلغ الشام أو يأمر من بالشام من جنوده بنجده
فلما كان بأنقرة بعث إليه بتياب مسمومة فلما لبسها تساقط لحمه فعلم بالهلاك فقال رب الخ.

(٥) تريد اللحم والماء الخالص. (٦) احبطني انتفخ بطنه.

(٧) دهياء. (٨) عذبا.

(٩) ينبع ويسيل.

(١٠) مصوون ليست فصيحة لمخالفتها للقياس الصرفي.

(١١) البعاق مطر السحاب والجرد حل الوادي وليستا فصيحيتين لغرابتهما.

الجرّدخل:

[الطويل]	
فإن يَكُ بعضُ الناس سَيِّفًا لدولة	ففي النَّاس بُوقَات لها وطُبُول ^(١)
[الطويل]	
نَقِيّ تَقِيٍّ لم يُكثِر عَنِيمة	بَنَكْهَة ذِي القُرْبَى ولا بَحَقْلَد
[الرجز]	
إنَّ بَنِيَّ لَلِئَام زَهْدَة	مَالِي فِي صُدُورهم مِن مَوْدَة ^(٢)
[الطويل]	
رَمَتَنِي مِيّ بِالْهَوَى رَمِي مُمَضِغ	من الرّوحش لَوْط لم تَعَفْهُ الأَوَالِسُ ^(٣)
بَعِينِينَ نَجْلَاوِينَ لم يَجِر فِيهِمَا	ضَمَانٌ وَجِيد حَلَى الدَّر شَامِسُ ^(٤)
علمي إلى علمك كالقراءة في المُتَعَنَّجِر ^(٥) .	

[الخفيف]	
إن بعضًا من القريض هُراء	ليس شيئًا وبعضه أحكام
فيه ما يجلب البراعة والفهم	م وفيه ما يجلب الإرسام ^(٦)
[الخفيف]	
ومن الناس مَنْ تجوزُ عليهم	شُعراء كأنها الخازِبَارُ ^(٧)

تطبيق (٢)

ما الذي أُخِلَّ بفصاحة الكلمات فيما يلي:

[مخلع البسيط]	
يا نفسُ صبرًا كل حيٍّ لاق	وكل اثنين إلى افتراق
[البسيط]	
أُبْعِدُ بَعْدَتَ بِيَاضًا لا بِيَاضَ لَهُ	لأنت أسودُ في عيني من الظلم ^(٨)

(١) بوقات مزامير والقياس في جمعه أبواق. (٢) القياس مودة بالإدغام.

(٣) لوط لازق والأوالس النياق.

(٤) ضرب من القلائد، والأبيات للمتنبي في ديوانه.

(٥) المتعنجر لفظة متنافرة - والمعنى إن علمي مقيس إلى علمك كالغدِير الصغير موضوعًا في جانب البحر.

(٦) القريض الشعر والهراء الكلام الفاسد الذي لا نظام له، وأحكام جمع حكم والمراد الحكمة، والبرسام بفتح الباء وكسرهما التهاب الصدر، والبيتان للمتنبي في ديوانه.

(٧) الخازباز صوت الذباب - وتجوز تروح وتقبل، والبيت للمتنبي.

(٨) الظلم الليالي الثلاث آخر الشهر. ولا بياض له لا حسن له. قاله المتنبي يخاطب الشيب له =

[السرعة]	
إِتَّسَعَ الْفَتْقُ عَلَى الرَّاقِعِ ^(١)	لَا نَسَبَ الْيَوْمَ وَلَا خُلَّةَ
[الطويل]	
غَدَائِثُ أَوْ هَالِكٌ فِي الْهَوَالِكِ ^(٢)	فَأَيَقَنْتُ أَنِّي عِنْدَ ذَلِكَ ثَائِرٌ
[البسيط]	
أَنِّي أَجُودُ لِأَقْوَامٍ وَإِنْ ضَنُّنُوا	مَهَلًا أَعَازَلَ قَدْ جَرَّبْتُ مِنْ خُلُقِي
[الرجز]	
مِنْ طَوْلٍ إِمْلَالٍ وَظَهْرٍ مُمْلِلٍ ^(٣)	تَشْكُو الْوَجَى مِنْ أَظْلَلٍ وَأَظْلَلٍ

= وخالف القياس في الأسود لأنه لا يبنى اسم تفضيل من نحو سود وحمر.

(١) الخلة الصداقة والفتق الشق والراقع مصلح الفتق وقد خالف القياس في إتسع حيث قطع همزة الوصل.

(٢) هوالك فواعل لا يطرد في وصف العاقل كما هنا.

(٣) الوجى الجفا والأظلل باطن خف البعير وخالف القياس بفك الإدغام.

تنبيهات: الأول من عيوب فصاحة اللفظة المفردة كونها مبتذلة أي عامية ساقطة للمقاتل والشنطار ونحوهما، والابتذال ضربان.

١ - ما استعملته العامة ولم تغيّره عن وضعه فسخف وانحطت رتبته وأصبح استعماله لدى الخاصة معيّنًا، كلفظة البرسام في قول المتنبي: [الخفيف]

إِنْ بَعْضًا مِنَ الْقَرِيضِ هُرَاءُ لَيْسَ شَيْئًا وَيَعْصُهُ أَحْكَامُ
فِيهِ مَا يَجْلِبُ الْبَرَاةَ وَالْفَهْ مَ وَفِيهِ مَا يَجْلِبُ الْبِرْسَامُ
وكلفظة الخازباز في قوله: [الخفيف]

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَجَوَّزَ عَلَيْهِمْ تُعْمَرَاءُ كَأَنَّهَا الْخَازِبَازُ
٢ - ما استعملته العامة دالًّا على غير ما وضع له وليس بمستقيح ولا مكروه كقول المتلمس: [الطويل]
وَقَدْ أَتَنَاسَى الْهَمُّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ يَنْأَجِ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مَحْدَمُ
وكقول أبي نواس: [مجزوء البسيط]

اخْتَصَمَ الْجُودَ وَالْجَمَالَ فَيَكُ فَصَارَ إِلَى جِدَالٍ
فَقَالَ هَذَا يَمِينُهُ لِي لِلْعُرْفِ وَالْبَذْلِ وَالنُّوَالِ
وَقَالَ هَذَا وَجْهُهُ لِي لِلظُّرْفِ وَالْحُسْنِ وَالْكَمَالِ
فافترقا فيك عن تراض كلاهما صادق المقال
فوصف في الأول البعير بالصَّيْعَرِيَّةِ وهي مختصة بالتُّوق، وفي الثاني الوجه بالظرف وهو في اللغة مختص بالنطق.

للمقاتل والشنطار ونحوهما (الثاني) لا تستعمل الألفاظ المبهمة إذا كان غرضك التبيين وإحضار صورة الشيء أو المعنى المراد في الذهن (الثالث) لا تستعمل اللفظ المشترك إلا مع قرينة تبين المراد من معانيه المشتركة - وقد تقدم ذلك مفصلاً.

١ - وقال ابن جحدر:

[الطويل]

حَلَفْتُ بِمَا أَرَقَلْتُ حَوْلَهُ هَمَرَجَلَةٌ خَلَقُهَا شَيْظَمٌ^(١)
وَمَا شَبَّرَقْتُ مِنْ تَنُوفِيَّةٍ بِهَا مِنْ وَحْيِ الْجِنِّ زَيْزَرُمٌ
٢ - وقال ذو الرُّمَّة:

[البسيط]

حَتَّى إِذَا الْهَيْئُ أَمْسَى شَامَ أَفْرَحُهُ وَهَنَّ لَا مُؤَيِّسَ نَأْيَا وَلَا كَتَبُ^(٢)
وقال أبو نُوَّاس:

[المجتث]

يَا مَنْ جَفَّانِي وَمَلَأَ نَسِيتَ أَهْلًا وَسَهْلًا

تدريب (١)

ما الذي أحلَّ بفصاحة الكلمات فيما يلي:

قال النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِي:

[الكامل]

١ - أَوْ دُمَيْيَّةٌ فِي مَرْمَرٍ مَرْفُوعَةٍ بُنِيَتْ بِأَجْرٍ يُشَادُّ بِقَرْمَدٍ^(٣)
٢ - وقال أبو تَمَّام:

[الكامل]

لَكَ هَضْبَةُ الْجِلْمِ الَّتِي لَوْ وَازَنْتُ أَجَأً إِذَا ثَقُلْتُ وَكَانَ خَفِيفًا
وَحَلَاوَةُ الشَّيْمِ الَّتِي لَوْ مَارَزَجْتُ خُلِقَ الزَّمَانُ الْقَدَمُ عَادَ ظَرِيفًا^(٤)

(١) الإرقال: الإسراع. الهمرجلة: الناقة السريعة. الشيطان: الطويل الجسم من الإبل والخيول، شبرقت - قطعت - التنوفية والتنوفة: المفازة، الوحي. الصوت الخفي - زيزيم: حكاية أصوات الحن.

(٢) الهيق: الظليم (ذكر النعام) شام البرق نظر إليه أين يقصد، وأين يمطر. واستعمل هنا للنظر إلى الأفراح. النأي: البعد.

(٣) الدمية: الصورة المنقوشة المزينة فيها حمرة كالدَّم. تضرب مثلًا في الحسن، المرمز: الرخام. الآجر ما يبني به - القرمذ: بفتح القاف ما يطلى به للزينة. وقيل حجارة لها خروق يوقد عليها فتضج ويبني بها. وقيل الخزف المطبوخ.

(٤) الهضبة: الرابية أجأ جبل القدم - الغليظ الجافي - وصف الشيم بالحلاوة وهي خاصة بالعينين - وخلق الزمان بالظرف وهو خاص بالنطق.

٣ - وقال المتنبي:

يُوسِّطُهُ الْمَفَاوِزَ كُلَّ يَوْمٍ طَلَابُ الطَّالِبِينَ لَا الْإِنْتَظَارُ
[الوافر]

تدريب (٢)

ما الذي أخلَّ بفصاحة الكلمات فيما يأتي:

- ١ - لَمْ يَلْقَهَا إِلَّا بِشِغَّةٍ بِاسِلٍ يخشى الحوادي حازم مُسْتَعْدِدٌ^(١)
[الكمال]
- ٢ - وَأَصْبَحَ مَبْيَضُ الضَّرِيبِ كَأَنَّهُ عَلَى سَرَوَاتِ الْبَيْتِ قُظُنْ مُنْدِفٌ^(٢)
[الطويل]
- ٣ - فَأَيَقَنْتُ أَنِّي عِنْدَ ذَلِكَ ثَائِرٌ غَدَاتِيْذٍ أَوْ هَالِكٌ فِي الْهَوَالِكِ^(٣)
[الطويل]
- ٤ - وَمَلْمُومَةٌ سَيْفِيَّةٌ رَّبْعِيَّةٌ يَصِيحُ أَحْصَا فِيهَا صِبَاخُ اللَّقَائِقِ^(٤)
[الطويل]
- ٥ - وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الْغَيْطِ بَعَاغُهُ نُزُولَ الْيَمَانِي ذُو الْعِيَابِ الْمَحْمَلِ^(٥)
[البسيط]
- ٦ - لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرْبَى وَلَا الْقُنُوعُ بِضَنْكِ الْعَيْشِ مِنْ شَيْمَى^(٦)

(١) الشبكة الخصلة. الباسل: الشجاع.

(٢) قائله الفرزدق. الضرب: الشبيه والمثيل. سروات البيت: أعاليه. مندف، مندوف، مندوف من قولهم ندف القطن ضربه بالمندف.

(٣) الثائر الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثاره.

(٤) قائله المتنبي. ملمومة: كتيبة مجتمعة. سيفية نسبة لسيف الدولة ربيعة نسبة إلى ربيعة قبيلته. اللقائق: جمع لقلقلة وهي صوت اللقلاق (طائرًا) أو هي كل صوت في اضطراب وحركة.

(٥) قائله امرؤ القيس. الغيظ: الأرض المظمتنة وقيل الواسعة المستوية يرتفع طرفاها. البعاع ثقل السحاب من المطر يقال بع السحاب يبع بعاً وبعاعاً. إذا ألح بمكان وألقى عليه بعاعه أي ثقله. العياب جمع عيبة وهي ما يجعل فيه الثياب. يقال جعل الرجل خير متاعه في عيبته. والمحمل يروى بكسر الميم على جعل اليماني رجلاً - وبفتحها على جعله جملاً - والمعنى أن هذا المطر نزل بهذا المكان ولم يبرح كما نزل الرجل في ذلك الموضع وضمير ألقى يرجع إلى السحاب فيما قبله.

(٦) القنوع: المسألة، يقال قنع قنوعاً. إذا سأل والمراد القناعة، والبيت للمتنبي.

فصاحة الكلام

[فصاحة الكلام] سلامته بعد فصاحة مُفرداته ممَّا يُبهِم معناه ويحول دون المراد منه^(١) - وَتَحَقَّقَ فصاحته بخلوّه من ستة عيوب:

١ - تنافر الكلمات مُجتمعَة .

٢ - ضعف التأليف .

٣ - التّعقيد اللفظي .

٤ - التّعقيد المعنوي .

٥ - كثرة التكرار^(٢) .

٦ - تتابع الإضافات .

الأوّل - «تنافر الكلمات مُجتمعَة» أن تكون الكلمات ثَقِيلَةً من تركيبها مع بعضها على السَّمْع . عَسْرَة النطق بها مُجتمعَة على اللسان .

(وإن كان كل جزء منه على انفراده فصيحًا) - والتنافر نوعان :

أ - شديد الثقل كالشطر الثاني في قوله :

[السريع]

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبُ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ^(٣)

(١) المراد بفصاحة الكلام أن يكون واضح المعنى . سهل اللفظ . حسن السبك ولذلك يجب أن تكون كل لفظة من ألفاظه واضحة الدلالة على المقصود منها جارية على القياس الصرفي عذبة سلسلة كما يكون تركيب الكلمات جاريًا على القواعد النحوية خاليًا من تنافر الكلمات مع بعضها ومن التعقيد - فمرجع الفصاحة سواء في اللفظة المفردة أو في الجمل المركبة إلى أمرين (مراعاة القواعد والذوق السليم).

(٢) (٥ و ٦) الحق أن هذين العيبين قد احترز عنهما بالتنافر - على أن بعضهم أجازهما لوقوعهما في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّهَا﴾ [الشمس: ٧] الآيات - وفي قوله تعالى: ﴿وَكُرِّ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُ زَكِرِيَّا﴾ [مريم: ٢] .

(٣) حرب بن أمية قتله قاتل هذا البيت وهو هاتف من الجن صاح عليه، (وقفر) خال من الماء والكلا، وقبر اسم ليس مؤخر، وقرب خبرها مقدم - قيل إن هذا البيت لا يمكن إنشاده ثلاث مرات متوالية إلا ويغلط المنشد فيه لأن نفس اجتماع كلماته وقرب مخارج حروفها يحدثان ثقلًا ظاهرًا، مع أن كل كلمة منه لو أخذت وحدها ما كانت مستكرهة ولا ثقيلة .

ب - وخفيف الثقل نحو قول أبي تمام:

[الطويل]

كريمٍ متى أمدّحه أمدّحه والورَى معي وإذا ما لُمْتُه لُمْتُه وحدي^(١)
 الثاني: «ضعف التأليف» أن يكون الكلام جاريًا على خلاف ما اشتهر من قوانين
 النحو المعتمدة عند جمهور العلماء - كوصل الضميرين، وتقديم غير الأعراف منهما على
 الأعراف مع أنه يجب الفصل في نحو هذا - كقول المتنبي:

[الكامل]

خَلَّتِ البلادُ من العزّالة لَيْلَهَا فأعاصَهَاك الله كي لا تحزنا
 وكالإضمار قبل ذكر مرجعه لفظًا ورُتْبةً وحُكمًا في غير أبوابه^(٢) نحو:

[الطويل]

ولو أن مجدًا أخلد الدهرَ واحدًا من الناس أبقي مجده الدهرَ مُطعمًا^(٣)
 الثالث: «التعقيد اللفظي» هو كون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد به بحيث
 تكون الألفاظ غير مرتّبة على وفق ترتيب المعاني.

(وينشأ ذلك الخفاء من تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب

(١) أي هو كريم إذا مدحته وافقني الناس على مدحه ويمدحونه معي لإسداء إحسانه إليهم كإسداءه إلي
 وإذا لمته لا يوافقني أحد على لومه لعدم وجود المتقضي للوم فيه - وأثر لمته على هجوته مع أنه
 مقابل المدح إشارة إلى أنه لا يستحق الهجو ولو فرط منه شيء فإنما يلام عليه فقط. والثقل في
 قوله «أمدّحه» لما بين الحاء والهاء من التنافر للجمع بينهما وهما من حروف الحلق - كما ذكره
 صاحب إسماعيل بن عباد.

(٢) المجموعة في قول بعضهم: [الرجز]

ومرجع الضمير قد تأخرا
 في باب نعم وتنازع العمل
 ومبتدا مفسر بالخبر
 وباب فاعل يخلف فا خبر

واعلم أن ضعف التأليف ناشئ من العدول عن المشهور إلى قول له صحة عند بعض أولي النظر
 - أما إذا خالف المجمع عليه كجر الفاعل ورفع المفعول ففاسد غير معتبر، والكلام في تركيب له
 صحة واعتبار

(٣) فإن الضمير في من (مجدّه) راجع إلى (مطعمًا) وهو متأخر في اللفظ كما يرى وفي الرتبة لأنه
 مفعول به، فالبيت غير فصيح، ومطعم أحد رؤساء المشركين وكان يدافع عن النبي ﷺ، والبيت
 لحسان بن ثابت.

ومعنى البيت أنه لو كان مجد الإنسان سببًا لخلوده في هذه الدنيا لكان مطعم بن عدي أولى
 الناس بالخلود لأنه حاز من المجد ما لم يحزه غيره.

أن تتجاوز ويتصل بعضها ببعض^(١) وهو مذموم لأنه يُوجب اختلال المعنى واضطرابه - كقول المتنبي:

[الكامل]

جَفَخْتُ وَهُمْ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ شِيَمٌ عَلَى الْحَسَبِ الْأَعْرَّ دَلَائِلُ^(٢)
أصله - جفخت (افتخرت) بهم شِيَمٌ دلائل على الحَسَبِ الأعْر وهم لا يجفخون بها .

الرابع: (التعقيد المعنوي) وهو كون التركيب خفي الدلالة على المعنى المراد^(٣) لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى المقصود بسبب إيراد اللوازم البعيدة المفتقرة إلى وسائط كثيرة مع عدم ظهور القرائن الدالة على المقصود «بأن يكون فهم المعنى الثاني من الأول بعيداً عن الفهم عُرفاً»^(٤) كما في قول عباس ابن الأخنف:

[الطويل]

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرَبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا^(٥)
جعلَ سَكَبَ الدُّمُوعِ كناية عما يلزم فراق الأحبة من الحزن والكمَد فأحسن وأصابَ في ذلك، ولكنه أخطأ في جعل جمود العين كنايةً عما يوجبه التلاقي من الفرح والسُرور بقُرْبِ أحبته، وهو خَفِيٌّ وبعيدٌ^(٦). إذ لم يُعرف في كلام العرب عند

(١) وذلك كالفصل بأجنبي بين الموصوف والصفة، وبين البذل والمبدل منه وبين المبتدأ والخبر، وبين المستثنى والمستثنى منه مما يسبب ارتباكاً واضطراباً شديداً.

(٢) فلطفة جفخت مرة الطعم وإذا مرت على السمع اقشعر منها: ولو استعمل المتنبي عوضاً عن جفخت (فخرت) لاستقام البيت وحظي في استعماله بالأحسن.

(٣) بحيث يعتمد المتكلم إلى التعبير عن معنى فيستعمل فيه كلمات في غير معانيها الحقيقية فيسيء اختيار الكلمات للمعنى الذي يريده فيضطرب التعبير ويلتبس الأمر على السامع نحو: نشر الملك ألسنة في المدينة، تريد جواسيسه والصواب نشر عيونه.

(٤) فالمناط في الصعوبة عدم الجريان على ما يتعاطاه أهل الذوق السليم لا كثرة الوسائل الحسية فإنها قد تكثر من غير صعوبة كما في قولهم: فلان كثير الرماد كناية عن المضياف فإن الوسائط كثيرة فيه ولكن لا تعقيد.

(٥) تسكب بالرفع عطف على أطلب، وبالنصب عطف على بُعد من قبيل عطف الفعل على اسم خالص من التأويل بالفعل. والمراد طلب استمرار السكب لا أصله لئلا يلزم تحصيل الحاصل.

(٦) ووجه الخفاء والبعد: أن أصل معنى جمود العين جفافها من الدموع عند إرادتها منها، والانتقال منه إلى حصول السرور بعيد، لأنه يحتاج إلى وسائط بأن ينتقل من جمود العين إلى انتفاء الدمع منها حال إرادة البكاء، ومنه إلى انتفاء الدمع مطلقاً، ومنه إلى انتفاء الحزن ونحوه «فإن ذلك هو السبب غالباً في الدمع» ومن انتفاء الحزن ونحوه إلى السرور - ولا يخفى أن الشاعر قد طوى =

الدُّعاء لشخص بالسُّرور أن يقال له جُمُدت عينك، أو لازالت عينك جامدة. بل المعروف عندهم أنَّ جمود العين إنما يُكنى به عن عدم البكاء حالة الحزن، كما في قول الحُنساء:

[المتقارب]

أَعِينِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لَصَخْرِ النَّدَى
وقول أبي عطاء يرثي ابن هُبيرة:

[الطويل]

أَلَا إِنَّ عَيْنَنَا لَمْ تَجُدْ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بِجَارِي دَمْعَهَا لَجْمُودٌ^(١)
وهكذا كل الكِنَايات التي تستعملها العرب لأغراض ويُعَيِّرُها المتكلم ويريد بها أغراضًا أخرى تُعتبر خروجًا عن سُنن العرب في استعمالاتهم ويُعد ذلك تعقيدًا في المعنى حيث لا يكون المراد بها واضحًا.
الخامس: (كثرة التكرار)^(٢) كون اللفظ الواحد اسمًا كان أو فعلًا أو حرفًا، وسواء أكان الاسم ظاهرًا أو ضميرًا، تَعَدَّدَ مرَّةً بعد أخرى بغير فائدة - كقوله:

[الرجز]

إِنِّي وَأَسْطَارِ سَطْرَنَ سَطْرًا لِقَائِلُ يَا نَصْرُ نَصْرُ نَصْرًا
وكقول المتنبي:

[البسيط]

أَقْلُ أَيْلُ أَقْطَعُ أَحْمَلُ عَلَّ سَلَّ أَعْدُ زِدْ هَشَّ بَشْ تَفْضَلُ أَدِنْ سُرَّصَلْ
وكقول أبي تَمَّام في المديح:

[البسيط]

كَأَنَّهُ فِي الْاجْتِمَاعِ الرُّوحُ فِيهِ لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْ جَسَمِهِ رُوحُ

= وحذف جميع هذه الوسائط فأورث ببطء الانتقال من المعنى الأصلي الحقيقي إلى المعنى المراد - وخالف حينئذ أسلوب البلغاء. فنشأ من ذلك التعقيد المعنوي. واعلم أن الشاعر أراد أن يرضى بالبعد والفراق، ويعود نفسه على مقاساة الأحزان والأشواق، ويتحمل من أجلها حزنًا يفيض من عينيه الدموع ليتوصل بذلك إلى وصل يدوم ومسرة لا تزول - على حد قول الشاعر: [الكامل]
ولطالما اخترتُ الفراق مغالطًا واحتلت في استثمار غرس ودادي
ورغبت عن ذكر الوصال لأنها تبني الأمور على خلاف مرادي
(١) أي لبخيلة بالدموع.
(٢) المراد بالكثرة ههنا ما فوق الوحدة - فذكر الشيء ثانيًا تكرار. وذكره ثالثًا كثرة، وإنما شرطت الكثرة لأن التكرار بلا كثرة لا يخل بالفصاحة - وإلا لقبح التوكيد اللفظي.

(٢) المراد بالكثرة ههنا ما فوق الوحدة - فذكر الشيء ثانيًا تكرار. وذكره ثالثًا كثرة، وإنما شرطت الكثرة لأن التكرار بلا كثرة لا يخل بالفصاحة - وإلا لقبح التوكيد اللفظي.

السادس: «تتابع الإضافات» كون الاسم مضافاً إضافةً مُتداخلةً غالباً، كقول ابن بابك:

[الكامل]
حمامة جَرعا حومة الجندلِ اسجعي فأنتِ بمرأى من سعاد ومسمع^(١)

تطبيق

بين العيوب التي أخلت بفصاحة الكلام فيما يأتي:

[الطويل]
لك الخيرُ غيري رامَ من غيرك الغنى وغيري بغير اللَّازقية لاحق
[السريع]
وأزورَّ مَنْ كَانَ له زائراً وعاف عافي العُرفِ عِرفاً^(٢)
[الكامل]
أنى يكونُ أبا البرايا آدمَ وأبوك والثقلانِ أنتَ محمدُ^(٣)
[الطويل]
ومن جاهل بي وهو يجهلُ جهله وجاهل علمي أنه بي جاهل
[الطويل]
وقلقت بالهم الذي قلقل الحشا قلقل هم كلهن قلقل
[الطويل]
وما مثله في الناس إلا مُملِّكا أبو أمه حي أبوه يُقاربه^(٤)

(١) ففيه إضافة حمامة إلى جرعا وهو تأنيث الأجرع وهو المكان ذو الحجارة السود أو مكان الرمل الذي لا ينبت شيئاً «وجرعاً» مضاف إلى «حومة» وهي معظم الشيء «وحومة» مضاف إلى «الجندل» بسكون النون وهو الحجر، والمراد به هنا مكان الحجارة، فهو بمعنى الجندل بفتح النون وكسر الدال - وقوله: [الكامل]

فأنتِ بمرأى من سعاد ومسمع

أي أنت بحيث تراك سعاد وتسمع كلامك - يقول: اسجعي يا حمامة أرض قفرة سبخة، فإن سعاد تراك وتسمعك.

(٢) العيب في تنافر الكلمات. والمعنى انحرف عنه من كان يزوره وكره طالب الإحسان معرفته.

(٣) يريد كيف يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان أي الإنس والجن - يعني أنه قد جمع ما في الخليقة من الفضل والكمال - وقد فصل بين المبتدأ والخبر وهما أبوك محمد، وقدم الخبر على المبتدأ تقديمًا قد يدعو إلى اللبس في قوله «والثقلان وأنت» على أنه بعد هذا التعسف لم يسلم كلامه من سخف وهذر.

(٤) يريد وما مثله في الناس حي «أحد» يقاربه «يشابهه» إلا مملكا، أبو أمه أبوه - فقدّم المستثنى على =

[الطويل]

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره^(١)

[الخفيف]

ليس إلّا يا عليّ همام سيفه دون عريضه مسلون^(٢)

[الطويل]

كسا حلمه ذا الحلم أثواب سؤدد ورقى نداءه ذا الندى في ذرا المجد^(٣)

[الكامل]

من يهتدي في الفعل ما لا يهتدي في القول حتى يفعل الشعراء^(٤)

[البسيط]

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما جوزي سيمار^(٥)

[الطويل]

وما من فتى كنا من الناس واحدًا به نبتغي منهم عديلاً نبادله^(٦)

[البسيط]

لمّا رأى طالبوه مُصعبًا ذو عروا وكاد لو ساعد المقدور ينتصر

نشر الملك ألسنته في المدينة مُريدًا جواسيسه. أي والصواب «نشر الملك

عيونه»^(٧).

[المنسرح]

لو كنت كنت كتمت السر كنت كما كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن

المستثنى منه - وفصل بين مثل وحي وهما بدل ومبدل منه وبين أبو أمه وأبوه وهما مبتدأ وخبر - وبين حي ويقاربه وهما نعت ومنعوت ولا يفصل بين كل منهما بأجنبي. والمعنى: ليس مثل إبراهيم في الناس أحد يشبهه في الفضل إلا ابن أخته هشام - فضمير أمه عائد على المملك وضمير أبوه عائد على إبراهيم الخال.

- (١) يريد إلى ملك أبوه ليست أمه من محارب - أي ما أمه منهم.
- (٢) فيه ضعف تأليف حيث وضع الضمير المتصل بعد إلّا وحقه وضع المنفصل (إياك).
- (٣) أي من كان يدينه الحلم والكرم حاز السيادة والرفعة - فالضمير في حلمه لذا الحلم المذكور بعد - فهو المتأخر لفظًا ومعنى وحكمًا - وكذا الضمير في نداءه لذا الندى.
- (٤) أي يهتدي في الفعل ما لا يهتديه الشعراء في القول حتى يفعل.
- (٥) العيب فيه من جهة أن ضمير بنوه عائد على أبا الغيلان وهو متأخر لفظًا ورتبة لأنه مفعول ورتبته التأخر عن الفاعل: وسنمار رجل رومي بنى قصر الجورنق بظهر الكوفة للنعمان بن امرئ القيس ملك الحيرة فلما فرغ منه ألقاه النعمان من أعلاه فخر ميتًا لثلاً ييني لغيره مثله.
- (٦) أي وما من فتى من الناس كنا نبتغي واحدًا منهم عديلاً نبادله به.
- (٧) لأن الذي يتوصل به إلى الأخبار عادة إنما هو العيون لا الألسنة.

[الطويل]

أَلَا لَيْتَ شِغْرِي هَلْ يَلُومَنَّ قَوْمُهُ زُهَيْرًا عَلَى مَا جَرَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

[البسيط]

دَانٍ بَعِيدٍ مَحَبِّ مَبْغُضٍ بَهْجٍ أَغْرَ حُلُومُ مِيرَ لَيْنٍ شَرَسٍ^(١)

[البسيط]

لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ^(٢)

[الطويل]

وَتُسْعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ^(٣)

[الطويل]

وَلَيْسَتْ خِرَاسَانُ الَّتِي كَانَ خَالِدٌ بِهَا أَسَدٌ إِذْ كَانَ سَيْفًا أَمِيرَهَا^(٤)

[البسيط]

وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا^(٥)

[الكامل]

أَرْضٌ لَهَا شَرَفٌ سِوَاهَا مِثْلُهَا لَوْ كَانَ مِثْلُكَ فِي سِوَاهَا يَوْجَدُ

[الكامل]

وَالْمَجْدُ لَا يَرْضَى بِأَنْ تَرْضَى بِأَنْ يَرْضَى الْمَعَاشِرُ مِنْكَ إِلَّا بِالرِّضَا

فِي رَفْعِ عَرْشِ الشَّرْعِ مِثْلُكَ يَشْرَعُ

[الطويل]

وَمَنْ لَمْ يَذُذْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهَدِّمُ وَمَنْ لَمْ يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلِمِ^(٦)

[المنسرح]

فَأَصْبَحْتُ بَعْدَ خَطِّ بَهْجَتِهَا كَأَنَّ قَفْرًا رَسُومَهَا قَلَمًا^(٧)

[الوافر]

وَمَا أَرْضَى لِمُقْلَتِهِ بِحَلَمٍ إِذَا انْتَبَهَتْ تَوْهَمُهُ ابْتِشَاكَ^(٨)

(١) فيه توالي الصفات وذلك مما يحدث في الكلام ثقلاً : وهذا مما يؤخذ على المتنبي .

(٢) والقياس أشد سواداً لأنه لا يبنى أفعال التفضيل من الأفعال الدالة على الألوان .

(٣) معنى البيت : وتسعدني بالفوز بالغانم والنجاة في شدة بعد شدة فرس سبوح أي حسنة العدو لا تتعب راكبها فكأنها تسبح على الماء .

(٤) خالد وأسد علمان والتعقيد فيه نشأ من تقديم أسد الذي هو جزء مما أضيف إليه إذ .

(٥) أي والشمس ليست بكاسفة لنجوم الليل وهي تبكي عليك والقمر يبكي عليك أيضاً ففيه تعقيد نشأ من الفصل بين الصفة التي هي كاسفة ومفعولها الذي هو نجوم بجمله «تبكي عليك» .

(٦) فيه تعقيد معنوي . حيث كنى بالظلم عن المحافظة على الحقوق وهو بعيد .

(٧) أي فأصبحت بعد بهجتها قفراً كأن قلماً خط رسوماً .

(٨) المقلة العين والحلم الرؤيا التي يراها النائم ، وابتشاك الكذب . قال صاحب لم يسمع الابتشاك =

فصاحة المتكلم

فصاحة المُتَكَلِّم عبارة عن المَلَكَة^(١) التي يَقْتَدِرُ بها صاحبها على التَّعبير عن المقصود بكلام فصيح في أيِّ غرضٍ كان.

فيكون قادرًا بصفة الفصاحة الثابتة في نفسه على صياغة الكلام مُتمكِّنًا من التصرف في ضروبه. بصيرًا بالخوض في جهاته ومناحيه.

أسئلة على الفصاحة يطلب أجوبتها

ما هي الفصاحة لغة واصطلاحًا - ما الذي يوصف بالفصاحة ثم تخرج الكلمة عن كونها فصيحة.

ما هي فصاحة المفرد؟ ما هو تنافر الحروف، وإلى كم ينقسم؟...

ما هي الغرابة وما هو موجبها؟ ما هي مخالفة القياس؟ ما هي الكراهة في السمع؟

ما هي فصاحة الكلام وبما تتحقق؟ - ما هو تنافر الكلمات. وما هو موجبهِ وإلى كم

يتنوع، ما هو ضعف التأليف؟ - ما هو التعقيد؟ - وإلى كم ينقسم؟ ما هو كثرة

التكرار؟ - ما هو تابع الإضافات؟ - ما هي فصاحة المتكلم.

البلاغة

البلاغة^(٢) في اللغة الوصول والانتهاء، يقال: بلغ فلان مراده - إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة - إذا انتهى إليها^(٣) ومبلغ الشيء منتهاه.

= في شعر قديم ولا محدث.

(١) أي كيفية وصفة من العلم راسخة وثابتة في نفس صاحبها يكون قادرًا بها على أن يعبر عن كل ما قصده من أي نوع من المعاني كالمدح والذم والثناء وغير ذلك بكلام فصيح. فلذا المدار على الاقتدار المذكور سواء وجد التعبير أو لم يوجد - وأن من قدر على تأليف كلام فصيح في نوع واحد من تلك المعاني لم يكن فصيحًا - وأنه لا يكون فصيحًا إلا إذا كان ذا صفة من العلم راسخة فيه وهي المسماة «بالمملكة» يقتدر بها على أن يعبر عن أي معنى قصده بكلام فصيح أي خال عن الخلل في مادته وذلك بعدم تنافر كلماته» وعن الخلل في تأليفه «وذلك بعدم التعقيد اللفظي والمعنوي» فإن كان شاعرا اتسع أمامه ميدان القول في جميع فنون الشعر من نسيب وتشبيب ومديح وهجاء ووصف وثناء وعتاب واعتذار وأشباه ذلك - وإن كان ناثراً حاك الرسائل المحلاة والخطب الممتعة الموشاة في الوعظ والإرشاد والحفل والأعياد.

(٢) البلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلّاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون والبلاغة مأخوذة من قولهم: =

وتقع في الاصطلاح وصفاً للكلام والمتكلم فقط دون الكلمة لعدم السماع.

بلاغة الكلام

البلاغة في الكلام مطابقتها لما يقتضيه حال الخطاب^(١) مع فصاحة ألفاظه «مفردها ومركبها».

وحال الخطاب «ويسمى بالمقام» هو الأمر الحامل للمتكلم على أن يُوردَ عبارته على صورة مخصوصة.

=
بلغت الغاية إذا انتهت إليها، وبلغتها غيري والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته - فسُميت البلاغة بلاغة لأنها تنهى عن المعنى إلى قلب السامع فيه. وسُميت البلغة بلغة لأنك تتبلغ بها فتنتهي بك إلى ما فوقها - وهي البلاغ أيضاً. ويقال: الدنيا بلاغ، لأنها تؤدبك إلى الآخرة والبلاغ أيضاً التبليغ - ومنه: هذا بلاغ للناس - أي تبليغ - ويقال بلغ الرجل بلاغة إذا صار بليغاً، كما يقال نبل الرجل نبالة إذا صار نبيلاً - قال أعرابي: البلغة التقرب من البعيد، والتباعد من الكلفة، والدلالة بقليل على كثير - وقال عبد الحميد بن يحيى - البلاغة تقرير المعنى في الإفهام من أقرب وجوه الكلام - وقال ابن المعتز البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم يطل سفر الكلام - وقال العتابي - البلاغة مدّ الكلام بمعانيه إذا قصر، وحسن التأليف إذا طال - وقال عبد الله بن المقفع: البلاغة لمعان تجري في وجوه كثيرة - فمنها ما يكون في الإشارة. ومنها ما يكون في الحديث ومنها ما يكون في الاستماع. ومنها ما يكون في الاحتجاج. ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون ابتداء. ومنها ما يكون جواباً. ومنها ما يكون سجعاً. ومنها ما يكون خطباً، ومنها ما يكون رسائل. فعامّة هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ - والإيجاز هو البلاغة. فالسكوت يسمى بلاغاً مجازاً وهي في حالة لا ينجع فيها القول ولا ينفع فيها إقامة الحجج - إمّا عند جاهل لا يفهم الخطاب، أو عند ضيع لا يهرب الجواب، أو ظالم سليط يحكم بالهوى ولا يرتدع بكلمة التقوى - وإذا كان الكلام يعرى من الخير أو يجلب الشر فالسكوت أولى.

(١) مقتضى الحال هو ما يدعو إليه الأمر الواقع. أي ما يستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص، ولن يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين، واعتبار طبقاتهم في البلاغة وقوتهم في البيان والمنطق - فللسوقة كلام لا يصلح غيره في موضعه والغرض الذي يبنى له، ولسراة القوم والأمراء فن آخر لا يسدّ مسده سواه - من أجل ذلك كانت مراتب البلاغة متفاوتة بقدر تفاوت الاعتبارات والمقتضيات. وبقدر رعايتها يرتفع شأن الكلام في الحسن والقبح ويرتقي صعداً إلى حيث تنقطع الأطماع، وتخور القوى، ويعجز الإنسان والجن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وتلك مرتبة الإعجاز التي تخرس عندها ألسن الفصحاء لو تآقت إلى العبارة. وقد عرف بالخبر المتواتر أن القرآن الكريم نزل في أرقى العصور فصاحة، وأجملها بلاغة. ولكنه سدّ السبل أمام العرب عندما صاح عليهم صيحة الحق فوجفت قلوبهم وخرست شفاشقهم مع طول التحديّ وشدّ النكير (وحقّت للكتاب العزيز الكلمة العليا).

والمُقْتَضَى «ويستَمَى الاعتبارُ المناسب» هو الصُّورة المخصوصة التي تُورَدُ عليها العبارة.

مثلاً - المدح - حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب.

وذكاء المخاطب - حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز.

فكلُّ من المدح والذكاء «حال ومقام».

وكلُّ من الإطناب والإيجاز «مُقْتَضَى».

وإيراد الكلام على صورة الإطناب^(١) أو الإيجاز «مُطابِقة للمُقْتَضَى» وليست البلاغة^(٢) إذاً مُنحصرة في إيجاد معانٍ جليلة ولا في اختيار ألفاظ واضحة، بل هي تتناول مع هذين الأمرين أمرًا ثالثًا (هو إيجاد أساليب مُناسبة للتأليف بين تلك المعاني والألفاظ مما يكسبها قوةً وجمالاً).

بلاغة المتكلم

بلاغة المتكلم هي ملكة في النفس^(٣) يقتدر صاحبها بها على تأليف كلام بليغ

(١) فإن اختلاف هذه الظروف يقتضي هيئة خصوصية من التعبير - ولكل مقام مقال. فعلى المتكلم ملاحظة المقام أو الحال وهو الأمر الذي يدعو إلى أن يورد كلامه على صورة خاصة تشاكل غرضه وتلك الصورة الخاصة التي يورد عليها تسمى المقترضى - أو الاعتبار المناسب، فمثلاً الوعيد والزجر والتهديد مقام يقتضي كون الكلام المورد فيه فخماً جزلاً. والبشارة بالوعد واستجلاب المودة مقام يتطلبه رقيق الكلام ولطيفه. والوعظ مقام يوجب البسط والإطناب. وكون المخاطب عامياً سوقياً أو أميراً شريفاً يوجب الإتيان بما يناسب بيانه وعقله.

(٢) لأن البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسه مع صورة مقبولة ومعرض حسن - وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطاً في البلاغة، لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة ومعرضة خلقاً لم يسم بليغاً وإن كان مفهوماً المعنى مكشوف المغزى.

ف عناصر البلاغة إذاً لفظ ومعنى، وتأليف للألفاظ يمنحها قوة وتأثيراً وحسناً، ثم دقة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال السامعين والنزعة النفسية التي تملكهم وتسيطر على نفوسهم - فرب كلمة حسنة في موطن ثم كانت مستكرهة في غيره - ورب كلام كان في نفسه حسناً خلافاً حتى إذا جاء في غير مكانه وسقط في غير مسقطه خرج عن حد البلاغة وكان غرضاً لسهام الناقد.

(٣) أي أن الهيئة والصفة الراسخة الثابتة في نفس المتكلم يمكنه بواسطتها أن يعبر عن المعاني التي يريد إفادتها لغيره بعبارات بليغة أي مطابقة لحال الخطاب، فلو لم يكن ذا ملكة يقتدر بها على التصرف في أغراض الكلام وفنونه بقول رائع، وبيان بديع بالغاً من مخاطبة كل ما يريد، لم يكن =

مطابق لمقتضى الحال مع فصاحته في أي معنى قَصَدَه.

وتلك غاية لن يصل إليها إلا من أحاط بأساليب العرب خُبرًا وعرف سُنن تخاطبهم في مُنافراتهم، ومفاخراتهم، ومديحهم، وهجائهم، وشكرهم واعتذارهم، لِيَلْبَسَ لكلّ حالة لُبُوسها «ولكلّ مقام مقال».

تمرين

يَبَيِّنُ الحال ومقتضاه فيما يلي:

[الطويل]

- ١ - هَنَاءٌ مَحَاذِكُ الْعِزَاءِ الْمَقْدَمَا فما عَيسَ الْمَحْزُونُ حَتَّى تَبَسَّمَا
- ٢ - تَقُولُ لِلرَّاضِي عَنْ إِثَارَةِ الْحُرُوبِ (إِنْ الْحَرْبُ مُثْلِفَةٌ لِلْعِبَادِ ذَهَابَةٌ بِالطَّارِفِ وَالتَّلَادِ).

٣ - يَقُولُ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا لَصًا أَوْ حَرِيقًا (لِصٍّ - حَرِيقَ).

٤ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنٍ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾^(١).

⁼ بليغًا - وإذا لا بدّ للبليغ أولاً من التفكير في المعاني التي تجيش في نفسه، وهذه يجب أن تكون صادقة ذات قيمة وقوة يظهر فيها أثر الابتكار وسلامة النظر وذوق تنسيق المعاني وحسن ترتيبها، فإذا تم له ذلك عمد إلى الألفاظ الواضحة المؤثرة الملائمة فألف بينها تأليفاً يكسبها جمالاً وقوة. فالبلاغة ليست في اللفظ وحده وليست في المعنى وحده ولكنها أثر لازم لسلامة تألف هذين وحسن انسجامهما. وقد علم أن البلاغة أخص والفصاحة أعم لأنها مأخوذة في تعريف البلاغة - وأن البلاغة يتوقف حصولها على أمرين - الأول: الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المقصود، والثاني: تمييز الكلام الفصيح من غيره - لهذا كان للبلاغة درجات متفاوتة تعلق وتسفل في الكلام بنسبة ما تراعى فيه مقتضيات الحال وعلى مقدار جودة ما يستعمل فيه من الأساليب في التعبير والصور البيانية والمحسنات البيديعية. وأعلى تلك الدرجات ما يقرب من حدّ الإعجاز، وأسفلها ما إذا غيّر الكلام عنه إلى ما هو دون التحقق عند البلغاء بأصوات الحيوانات العجم وإن كان صحيح الإعراب وبين هذين الطرفين مراتب عديدة.

(١) سورة الجن: الآية ١٠.

- ١ - الحال هنا هو تعجيل المسرة - والمقتضى هو تقديم الكلمة الدالة على السرور - «وهي كلمة هناء».
- ٢ - الحال هنا هو إنكار الضرر من الحرب - والمقتضى هو توكيد الكلام.
- ٣ - الحال هنا هو ضيق المقام - والمقتضى هو الاختصار بحذف المسند إليه والتقدير. هذا لص. هذا حريق.
- ٤ - الحال في ﴿أَشَرُّ أَرِيدَ﴾ هو عدم نسبة الشر إلى الله تعالى. والمقتضى هو حذف الفاعل إذ الأصل: أشرأه الله بمن في الأرض.

٥ - يقول رائي البرامكة:

أَصِبتُ بِسَادَةٍ كَانُوا عِيُونًا بِهِمْ نَسَقَى إِذَا انْقَطَعَ الْعَمَامُ
[الوافر]

ملاحظات

- ١ - التَّنَافَرُ يُعْرَفُ بِالدُّوق^(١) السَّلِيم؛ وَالْحِسُّ الصَّادِق.
- ٢ - مُخَالَفَةُ الْقِيَاسِ تُعْرَفُ بِعِلْمِ الصَّرْفِ.
- ٣ - ضَعْفُ التَّأْلِيفِ وَالتَّعْقِيدِ اللَّفْظِيِّ يُعْرَفَانِ بِعِلْمِ النُّحُو.
- ٤ - الْعَرَابَةُ تُعْرَفُ بِكَثْرَةِ الْإِطْلَاعِ عَلَى كَلَامِ الْعَرَبِ، وَالْإِحَاطَةُ بِالْمَفْرَدَاتِ الْمَأْنُوسَةِ.
- ٥ - التَّعْقِيدُ الْمَعْنَوِيُّ يُعْرَفُ بِعِلْمِ الْبَيَانِ.
- ٦ - الْأَحْوَالُ وَمُقْتَضِيَاتُهَا تُعْرَفُ بِعِلْمِ الْمَعَانِي.
- ٧ - خَلَوَ الْكَلَامُ مِنْ أَوْجِهٍ التَّحْسِينِ الَّتِي تَكْسُوهُ رِقَّةٌ وَلَطَافَةٌ بَعْدَ رِعَايَةِ مُطَابَقَتِهِ تُعْرَفُ بِعِلْمِ الْبَدِيعِ.

فإذا وجب على طالب البلاغة معرفة اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع - مع كونه سليم الذوق كثير الاطلاع على كلام العرب وصاحب خبرة وافرة بكُتُبِ الأدب، ودراية تامة بعاداتهم وأحوالهم واستظهار للجيد الفاخر من نثرهم

(١) الذوق في اللغة الحاسة يدرك بها طعم المأكّل - وفي الاصطلاح قوة غريزية لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية، وتحصل بالمثابرة على الدرس، وممارسة كلام أئمة الكتاب، وتكراره على السمع، والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه - وأيضاً تحصل بتنزيه العقل والقلب عما يفسد الآداب والأخلاق فإن ذلك أقوى أسباب سلامة الذوق.

واعلم أن الذوق السليم هو العمدة في معرفة حسن الكلمات وتمييز ما فيها من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه لأن الألفاظ أصوات، فالذي يطرب لصوت البلبل وينفر من صوت البوم والغربان ينبو سمعه عن الكلمة إذا كانت غريبة متنافرة الحروف - ألا ترى أن كلمتي المزنّة والدّيمة (للسحابة الممطرة) كلتاها سهلة عذبة يسكن إليها السمع، بخلاف كلمة البعاق التي في معناها فإنها قبيحة تصكّ الأذن وأمثال ذلك كثير في مفردات اللغة تستطيع أن تدركه بدوقك - وقد سبق شرح ذلك.

والحال في ﴿أَرَادَ إِلَهُهُمْ رَبُّكَ﴾ [الجن: ١٠] هو نسبة الخير إلى الله تعالى. والمقتضى إبقاء الفاعل من غير حذف.

٥ - الحال هنا هو الخوف من الرشيد ناكب البرامكة والمقتضى حذف الفاعل من أصبت.

ونظمهم، وعلم كامل بالتأيين من شعراء وخطباء وكتاب ممن لهم الأثر البين في اللغة، والفضل الأكبر على اللسان العربي المبين.

واعلم أنه يحسن أيضًا بطالب البلاغة أن يعرف شيئًا عن الأسلوب الذي هو المعنى المصنوع في ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام، وأفعل في نفوس سامعيه، وأنواع الأساليب ثلاثة:

١ - الأسلوب العلمي: وهو أفدأ الأساليب، وأكثرها احتياجًا إلى المنطق السليم والفكر المستقيم، وأبعدها عن الخيال الشعري. لأنه يخاطب العقل ويناجي الفكر ويشرح الحقائق العلمية التي لا تخلو من غموض وخفاء؛ وأظهر ميزات هذا الأسلوب الوضوح. ولا بد أن يبدو فيه أثر القوة والجمال، وقوته في سطوع بيانه ورسالة حجبته؛ وجماله في سهولة عبارته، وسلامة الذوق في اختياره كافة، وحسن تقريره المعنى في الأفهام من أقرب وجوه الكلام.

فيجب أن يُعنى فيه باختيار الألفاظ الواضحة الصريحة في معناه الخالية من الاشتراك، وأن تُؤلف هذه الألفاظ في سهولة وجلاء، حتى تكون ثوبًا شفافًا للمعنى المقصود، وحتى لا تُضيق مَثَارًا للظنون ومجالًا للتوجيه والتأويل.

ويحسن التَّنَحِّي عن المجاز ومُحَسِّنَات البديع في هذا الأسلوب، إلا ما يجيء من ذلك عفواً من غير أن يَمَسَّ أصلاً من أصوله أو ميزة من ميزاته أما التشبيه الذي يقصد به تقريب الحقائق إلى الأفهام وتوضيحها بذكر مماثلها، فهو في هذا الأسلوب حسن مقبول.

٢ - الأسلوب الأدبي: والجمال أبرز صفاته، وأظهر مُمَيَّزاته، ومَثْنًا جماله ما فيه من خيال رائع، وتُصَوِّر دقيق، وتَلَمُّس لوجوه الشبه البعيدة بين الأشياء، واللباس المعنوي ثوب المحسوس، وإظهار المحسوس في صورة المعنوي.

هَذَا - ومن السَّهْل عليك أن تَعْرِف أن الشعر والنثر الفَنِّيَّ هما مَوْطِنَا هذا الأسلوب، ففيهما يَزْدَهَر، وفيهما يبلغ قَنَّةُ الفَنِّ والجمال.

٣ - الأسلوب الخطابي: هنا تَبَرُّزُ قُوَّةِ المعاني والألفاظ، وقوة الحجّة والبرهان، وقوة العقل الخصيب، وهنا يتحدّث الخطيب إلى إرادة سامعيه لإثارة عزائمهم واستنهاض همهم، ولجمال هذا الأسلوب ووضوحه شأن كبير في تأثيره ووصوله إلى قرارة النفوس، ومما يزيد في تأثير هذا الأسلوب منزلة الخطيب في نفوس سامعيه وقوة عارضته، وسطوع حُجَّتِهِ وَبَرَاثُ صَوْتِهِ، وحسن إلقائه، ومُخَكِّمُ إشاراته.

ومن أظهر مُمَيَّزَاتِ هذا الأسلوب التكرار، واستعمال المترادفات وضرب

الأمثال، واختيار الكلمات الجزلة ذات الرنين، ويحسن فيه أن تتعاقب ضروب التعبير من إخبار، إلى استفهام، إلى تعجب، إلى استنكار وأن تكون مواطن الوقف كافية شافية، ثم واضحاً قوياً، ويظنّ الناشئون في صناعة الأدب أنه كلما كثر المجاز، وكثرت التشبيهات والأخيلة في هذا الأسلوب زاد حسنه، وهذا خطأ بيّن، فإنه لا يذهب بجمال هذا الأسلوب أكثر من التكلّف، ولا يُفسّده شرٌّ من تَعَمُّد الصَّنَاعَةِ.

علم المعاني

١ - علم المعاني^(١) أصولٌ وقَوَاعِدُ يُعرف بها كَيْفِيَّةُ مُطَابَقَةِ الكلامِ لِمَقْتَضَى الحال^(٢) بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له .

٢ - وموضوعه - اللَّفْظُ العربي، من حيث إفادته المَعْنَى الثَّوَانِي^(٣) التي هي

(١) قال بعض العلماء - المعاني المتصورة في عقول الناس المتصلة بخواطيرهم، خفية بعيدة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه، ولا مراد شريكه، ولا معاون له على أمره. إلّا بالتعبير التي تُقَرِّبُها من الفهم، وتجعل الخفي منها ظاهرًا والبعيد قريبًا فهي تخلص الملتبس، وتحلّ المنعقد، وتجعل المهمل مقيدًا، والمقيد مطلقًا، والمجهول معروفًا، والوحشي مألوفًا. وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة يكون ظهور المعنى، والعاقل يكسو المعاني في قلبه، ثم يديها بألفاظ عرائس في أحسن زينة، فينال المجد والفخر، ويلحظ بعين العظمة والاعتبار. والجاهل يستعجل في إظهار المعاني قبل العناية بتزيين معارضها واستكمال محاسنها فيكون بالذم موصوفًا. وبالنقص معروفًا ويسقط من أعين السامعين، ولا يدرج في سلك العارفين واعلم أن الأصل في اللفظ أن يحمل على ظاهر معناه، ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل كما جاء في القرآن ﴿وَبِآيَاتِكَ تَقْلِقُ﴾ [المدر: ٤] فإن الظاهر من لفظ الثياب هو ما يلبس ومن تأول ذهب إلى أن المراد هو القلب لا الملبوس. وهذا لا بد له من دليل لأنه عدول عن ظاهر اللفظ. واعلم أنه يجب صناعة على مُعَانِي المَعْنَى أن يرجح المعاني بحيث يرجح بين حقيقة ومجاز - أو بين حقيقتين أو مجازين.

(٢) الحال هو الأمر الداعي للمتكلم إلى إيراد خصوصية في الكلام، وتلك الخصوصية هي مقتضى الحال - مثلاً إن كان بينك وبين مخاطبك عهد بشيء - فالعهد حال يقتضي إيراد الكلام معرّفًا والتعريف هو مقتضى الحال. فالحال هو ما بعد لام التعليل المذكورة بعد كل خصوصية كقولك في الذكر: ذكر لكون ذكره الأصل وفي الحذف: حُذِفَ للاستغناء عنه - وهلم جرا.

(٣) أي والمعاني الأول ما يفهم من اللفظ بحسب التركيب وهو أصل المعنى مع زيادة الخصوصيات من التعريف والتنكير. قال بعض أهل المعاني الكلام الذي يوصف بالبلاغة هو الذي يدل بلفظه على معناه اللغوي أو العرفي أو الشرعي - ثم نجد لذلك المعنى دلالة ثانية على المعنى المقصود الذي يريد المتكلم إثباته أو نفيه - فهناك ألفاظ ومعان أول - ومعان ثوان - فالمعاني الأول هي مدلولات التراكيب والألفاظ التي تسمى في علم النحو أصل المعنى - والمعاني الثواني الأغراض التي يساق لها الكلام ولذا قيل مقتضى الحال هو المعنى الثاني كَرَدَ الإنكار ودفع الشك - مثلاً إذا قلنا إن زيدًا قائم، فالمعنى الأول هو القيام المؤكد، والمعنى الثاني رد الإنكار ودفع الشك بالتوكيد وهلم جرا - =

الأغراض المقصودة للمتكلّم من جعل الكلام مُشتملاً على تلك اللّطائف والخُصُوصيّات التي بها يُطابق مقتضى الحال.

٣ - وفائدته: أ - إعجازُ القرآن الكريم من جهة ما خصّه الله به من جُودة السبّك وحُسن الوصف وبراعة التراكيب ولُطف الإيجاز وما اشتمل عليه من سُهولة التركيب، وجزالة كلماته، وعُذوبة ألفاظه وسلامتها إلى غير ذلك من محاسنه التي أقعدت العرب عن مُناهضته، وحارت عقولُهم أمام فصاحته وبلاغته.

ب - والوقوفُ على أسرار البلاغة والفصاحة في منشور كلام العرب ومنظومه كي تحتذي حذوه، وتنسج على منواله، وتفرّق بين جيّد الكلام ورديئه

٤ - وواضعه - الشيخ عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ^(١).

= والذي يدل على المعاني خمسة أشياء اللفظ والإشارة والكتابة والعقد والحال.

(١) اعلم أنه لما احتدم الجدل صدر الدولة العباسية إبان زهو اللغة وعزّها، في بيان وجوه إعجاز القرآن. وتعددت نزعات العلماء في ذلك.

ولما قامت سوق نافقة للمناظرة بين أئمة اللغة والنحو أنصار الشعر القديم الذين جنحوا إلى المحافظة على أساليب العرب ورأوا الخير كله في الوقوف عند أوضاعهم.

وبين الأدباء والشعراء أنصار الشعر الحديث الذين لم يحفلوا بما درج عليه أسلافهم، وآمنوا بأن للحضارة التي غدوا بلبانها آثاراً غدوا معها في حلٍ من كل قديم ولما شجر الخلاف بين أساطين الأدب في بيان جيد الكلام ورديئه.

دعت هذه البواعث ولفتت أنظار العلماء إلى وضع قواعد وضوابط يتحاكم إليها الباحثون، وتكون دستوراً للناظرين في آداب العرب (المنثور منها والمنظوم).

ولا نعلم أحداً سبق أبا عبيد بن المثنى المتوفى سنة ٢١١ هـ تلميذ الخليل بن أحمد في تدوين كتاب في علم البيان يسمى (مجاز القرآن) كما لا نعرف بالضبط أول من ألف في علم المعاني - وإنما أثر فيه نبذ عن بعض البلغاء كالجاحظ في كتابه «إعجاز القرآن» وابن قُتيبة في كتابه «الشعر والشعراء» - والمبرد في كتابه «الكامل».

ولكن نعلم أن أول من ألف في البديع «الخليفة عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسي المتوفى سنة ٢٩٦ هـ».

وما زالت هذه العلوم تسير في طريق النموّ حتى نزل في الميدان الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ فشمّر عن ساعد الجد. ودوّن كتابه - أسرار البلاغة - ودلائل الإعجاز - وقرن فيهما بين العلم والعمل، ثم جاء إثر عبد القاهر - جار الله الزمخشري، فكشف في تفسيره «الكشاف» عن وجوه إعجاز القرآن، وأسرار بلاغته، وأوضح ما فيه من الخصائص والمزايا، وقد أبان خلالها كثيراً من قواعد هذه الفنون - ثم نهض بعده أبو يعقوب يوسف السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ فجمع في القسم الثالث من كتابه «المفتاح» ما لا مزيد عليه. وجاء بعده علماء القرن السابع فما بعده يختصرون ويصنعون مؤلفاتهم حسب ما تسمح به =

٥ - واستمداده - من الكتاب الشريف والحديث النبوي وكلام العرب واعلم أن المعاني جمعٌ معنى؛ وهو في اللغة المقصود، وفي اصطلاح البيانين - هو التعبير باللفظ عما يتصوره الذهن، أو هو الصورة الذهنية من حيث تُقصد من اللفظ. وهو يترَكَّب من شيئين: مُسند - يُسمَّى محكومًا به ومُسند إليه - يُسمَّى محكومًا عليه.

وأما النسبة التي بينهما فتدعى «إسنادًا».

وما زاد على ذلك «غير المضاف إليه والصلة» فهو قيد^(١).

والإسناد انضمام كلمة^(٢) «المُسند» إلى أخرى^(٣) «المُسند إليه» على وجه يُفيد

مناهج التعليم للمتعلمين في كل قطر من الأقطار حتى غدت أشبه بالمعميات والألغاز.

(١) أي وما زاد على ذلك من مفعول وحال وتمييز ونحوها فهو قيد زائد على تكوينها (إلا صلة الموصول والمضاف إليه) واعلم أن الجمل ليست في مستوى واحد عند أهل المعاني بل منها جمل رئيسية، وجمل غير رئيسية. والأولى هي المستقلة التي لم تكن قيدًا في غيرها، والثانية ما كانت قيدًا إعرابيًا في غيرها وليست مستقلة بنفسها.

والقيود هي أدوات الشرط والنفي والتوابع والمفاعيل والحال والتمييز وكان وأخواتها وإن وأخواتها وظن وأخواتها كما سيأتي.

(٢) أي وما يجري مجراها.

(٣) أي أو ما يجري مجراها - كما سيأتي.

تنبيه: الإسناد مطلقًا قسمان حقيقة عقلية، ومجاز عقلي - فالحقيقة العقلية هي إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ما وضع له عند المتكلم في الظاهر من حاله نحو: تجري الأمور بما لا تشتهي البشر. وأثبت الله النبات. والمجاز العقلي (ويسمى إسنادًا مجازيًا ومجازًا حكيماً. ومجازًا في الإسناد) هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد إلى ما هو له نحو - تجري الرياح بما لا تشتهي السفن - وله علاقات شتى - فيلائم الفاعل لوقوعه منه نحو سيل مفعم يفتح العين أي مملوء فإسناد مفعم وهو مبني للمفعول إلى ضمير السيل وهو فاعل مجاز عقلي ملابسته الفاعلية - ويلائم المفعول به لوقوعه عليه نحو ﴿عِشَّةً رَائِيَةً﴾ [الحاقة: ٢١، القارعة: ٧]: فإسناد راضية وهو مبني للفاعل إلى ضمير العيشة وهي مفعول به مجاز عقلي ملابسته المفعولية - ويلائم الزمان والمكان لوقوعه فيهما نحو صام نهاره. وسال الميزاب. ونهار صائم. ونهر جار. ويلائم المصدر نحو جدَّ جدَّه. ويلائم السبب نحو بنى الأمير المدينة - وكما يقع المجاز العقلي في الإسناد يقع في النسبة الإضافية كمكر الليل. وجري الأنهار. وشقاق بينهما وغراب البين (على زعم العرب) وفي النسبة الإيقاعية نحو ﴿وَالطُّغْيَانِ﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥٠﴾ [الشعراء: ١٥٠ - ١٥١]، وأجريت النهر - وكما يكون في الإثبات يكون في النفي نحو ﴿فَمَا يَحْتَفِظُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]، وما نام ليلي على معنى خسرت تجارتهم، وسهر ليلي قصدًا إلى إثبات النفي لا نفي الإثبات - ويكون أيضًا في الإنشاء كما سبقت الإشارة إليه نحو أصلاتك تأمرك ياها مان ابن لي =

الحكم بإحداهما على الأخرى ثبوتاً أو نفياً.

صريحاً، وليصم نهارك، وليجد جذك وليت النهر جار وما أشبه ذلك.

وأقسامه باعتبار حقيقة طرفيه ومجازيتهما أربعة لأنهما إما حقيقتان لغويتان نحو أنبت الربيع البقل - أو مجازان لغويتان نحو أحيا الأرض شباب الزمان، إذ المراد بإحياء الأرض تهيبج القوى النامية فيها وإحداث نضارتها بأنواع الرياحين، والإحياء في الحقيقة إعطاء الحياة وهي صفة تقتضي الحس والحركة وكذا المراد بشباب الزمان زمان ازدياد قواها النامية، وهو في الحقيقة عبارة عن كون الحيوان في زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة أي قوية مشتعلة - أو المسند حقيقة لغوية والمسند إليه مجازي لغوي نحو أنبت البقل شباب الزمان - أو المسند إليه حقيقة لغوية والمسند مجاز لغوي نحو أحيا الأرض الربيع، ووقوع المجاز العقلي في القرآن كثير نحو ما تقدم ونحو ﴿وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْنَهُمْ عِلَّتِيْمْ ءَايَتُهُمْ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، وينزع عنهما لباسهما، ﴿وَأَخْرَجَ الْأَرْضَ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]، ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧].

ولا بد له من قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي لأن الفهم لولا القرينة يتبادر إلى الحقيقة - والقرينة إما لفظية وإما معنوية فاللفظية كقولك هزم الأمير الجند وهو في قصره والمعنوية كاستحالة قيام المسند بالمسند إليه المذكور معه عقلاً بمعنى أنه لو خلى العقل ونفسه عد ذلك القيام محالاً كقولك محبتك جاءت بي إليك، لاستحالة قيام المجيء بالمحبة عقلاً وكاستحالة ما ذكر عادة نحو هزم الأمير الجند لاستحالة قيام هزم الجند بالأمير وحده عادة وإن أمكن عقلاً وكان يصدر من الموحد نحو: [المقارِب]

أشباب الصغير وأفنى الكبير - كرُ الغداة ومُرُ العشي

فإن صدور ذلك من الموحد قرينة معنوية على إسناد أشباب وأفنى إلى كر الغداة ومر العشي مجاز، ثم هذا غير داخل في الاستحالة إذ قد ذهب إليه كثير من المبطلين، ولا يجب أن يكون في المجاز العقلي للفعل فاعل يعرف الإسناد إليه حقيقة بل تارة يكون له فاعل يعرف إسناده إليه حقيقة كما تقدم وتارة لا - نحو قوله: [مجزوء الوافر]

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظراً

فإن إسناد الزيادة للوجه مجاز عقلي وليس لها - أي الزيادة فاعل يكون الإسناد إليه معروفاً حقيقة، ومثله سرتني رؤيتك وأقدمني بلدك حق لي عليك فهذه الأمثلة ونحوها من المجاز العقلي الذي لا فاعل له يعرف الإسناد إليه حقيقة كما قال الشيخ عبد القاهر - وقيل لا بد له من فاعل يعرف الإسناد إليه حقيقة، ومعرفته إما ظاهرة نحو ﴿فَمَا رِيَحَتُ يَحْدَرُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦] أي فما ربحوا في تجارتهم وإما خفية كهذه الأمثلة والفاعل الله تعالى، هذا - وقد أنكر السكاكي المجاز العقلي ذاهباً إلى أن أمثله السابقة ونحوها منتظمة في سلك الاستعارة بالكناية فنحو أنبت الربيع البقل يجعل الربيع استعارة عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه ويجعل نسبة الإنبات إليه قرينة الاستعارة - وسيأتي مذهبه إن شاء الله تعالى في فن البيان عند الكلام على الاستعارة بالكناية.

تنبيه: ذكر بعض المؤلفين مبحث المجاز العقلي والحقيقة العقلية في أحوال الإسناد من علم المعاني وبعضهم ذكرهما في فن البيان عند تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز ولكل وجهة.

نحو: الله واحدٌ لا شريك له .

والمسند هو :

- ١ - خبر المبتدأ - نحو «قادرٌ» من قولك - الله قادرٌ .
 - ٢ - والفعل التام - نحو «حضر» من قولك - حضر الأمير .
 - ٣ - واسم الفعل - نحو «هيهاتَ - وَوَيَ - وآمينَ» .
 - ٤ - والمبتدأ الوصفُ المُستغني عن الخبر بمرفوعه - نحو «عارف» من قولك - أعارفُ أخوك قدرَ الأنصاف .
 - ٥ - وأخبار التواسخ «كان ونظائرها - وإنَّ ونظائرها» .
 - ٦ - والمفعول الثاني لظنٍّ وأخواتها .
 - ٧ - والمفعول الثالث لأرَى وأخواتها .
 - ٨ - والمصدر الثائب عن فعل الأمر نحو سعيًا في الخير .
- والمسند إليه - هو :
- ١ - الفاعلُ «للفعل التام أو شبهه» نحو «فؤاد - وأبوه» من قولك حضر فؤادُ العالمُ أبوه .
 - ٢ - وأسماء التواسخ - نحو «المطرُ» من قولك - كان المطر غزيرًا - أو إنَّ - نحو: إنَّ المطرَ غزيرٌ .
 - ٣ - والمبتدأ الذي له خبر - نحو «العلم» من قولك العلم نافع .
 - ٤ - والمفعول الأول لظنٍّ وأخواتها .
 - ٥ - والمفعول الثاني لأرَى وأخواتها .
 - ٦ - ونائب الفاعل كقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾^(١) .
- ثم إنَّ المسند والمسند إليه يتنوعان إلى أربعة أقسام :
- ١ - إمَّا أن يكونا كلمتين حقيقة - كما مُثِّل .
 - ٢ - وإمَّا أن يكونا كلمتين حُكمًا - نحو «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَنْجُو قَائِلُهَا مِنَ النَّارِ» .
 - ٣ - وإمَّا أن يكونَ المسند إليه كلمة حكمًا، والمسند كلمة حقيقة - نحو «تَسْمَعُ بِالْمُعَيَّدِي خَيْرٍ مِنْ أَنْ تَرَاهُ» .

(١) سورة الكهف: الآية ٤٩، وسورة الزمر: الآية ٦٩ .

٤ - وإِذَا بِالْعَكْسِ - نحو «الْأَمِيرُ قُرْبَ قُدُومِهِ»^(١).
وينحصر علم المعاني في ثمانية أبواب وخاتمة.

(١) ففي الأول يؤوّل - سماعك بالمعيني خير - وفي الثاني - الأمير قريب قدومه، وفي نحو لا إله إلا الله ينجو قائلها من النار - عدم شريك للمولى نجاته من النار.

الباب الأول

في تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء

«وفي هذا الباب ثلاثة مباحث»

المبحث الأول

في حقيقة الخبر

الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته^(١).

وإن شئت فقل: الخبر هو ما يتحقق مدلوله في الخارج بدون التعلق به نحو: العلم نافع، فقد أثبتنا صفة النفع للعلم، وتلك الصفة ثابتة له (سواء تلفظت بالجملة السابقة أم لم تتلفظ) لأن نفع العلم أمر حاصل في الحقيقة والواقع، وإنما أنت تحكي ما اتفق عليه الناس قاطبة، وقضت به الشرائع وحدث إليه العقول بدون نظر إلى إثبات جديد.

والمراد بصدق الخبر مطابقته للواقع ونفس الأمر.

والمراد بكذبه عدم مطابقته له.

فجملة: العلم نافع - إن كانت نسبتها الكلامية (وهي ثبوت النفع للعلم) المفهومة من تلك الجملة مطابقة للنسبة الخارجية - أي موافقة لما في الخارج والواقع «فصدق» وإلا «فكذب» نحو «الجهل نافع» فنسبته الكلامية ليست مطابقة وموافقة للنسبة الخارجية^(٢).

(١) أي بقطع النظر عن خصوص المخبر. أو خصوص الخبر - وإنما ينظر في احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائله: وذلك لتدخل الأخبار الواجبة الصدق أخبار الله تعالى. كأخبار رسله. والبدعيات المألوفة - نحو السماء فوقنا - والنظريات المتعين صدقها كإثبات العلم والقدرة للمولى سبحانه وتعالى ولتدخل الأخبار الواجبة الكذب كأخبار المتبينين في دعوى النبوة.

(٢) فمطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية ثبوتاً ونفيًا صدق - وعدم المطابقة كذب - فالنسبة التي دل عليها الخبر وفهمت منه تسمى كلامية. والنسبة التي تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر تسمى خارجية - فحيث إن هناك نسبتان نسبة تفهم من الخبر. ويدل عليها الكلام وتسمى النسبة الكلامية - ونسبة أخرى تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر وتسمى النسبة الخارجية.

الأغراض التي من أجلها يلقي الخبر

[الأصلُ في الخبر أن يُلقَى لأحد غرضين:]

أ - إمّا إفادة المُخاطب الحُكم الذي تَصَمَّنَتَه الجملة إذا كان جاهلاً له ويُسمَّى ذلك الحكم «فائدة الخبر» نحو «الَّذِينَ الْمُعَامَلَةُ».

ب - وإمّا إفادة المخاطب أن المتكلم عالمٌ أيضًا بالحكم الذي يعلمه المخاطب كما تقول لتلميذ أخفى عليك نجاحه في الامتحان - وعلمته من طريق آخر: أنت نجحت في الامتحان.

ويُسمَّى ذلك الحكم «لازم الفائدة».

{وقد يُلقَى الخبرُ على خلاف الأصل لأغراض أخرى تُستَفَادُ من سياق الكلام، أهمُّها:

- ١ - الاسترحام والاستعطاف، نحو - إني فقيرٌ إلى عفو ربِّي.
- ٢ - وتحريك الهمة إلى ما يلزمُ تحصيله، نحو: ليس سَوَاءَ عالمٌ وجهولٌ.
- ٣ - وإظهار الضعف والخشوع، نحو - ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾^(١).
- ٤ - وإظهار التحسُّر والتَّحْزَنَ نحو ﴿رَبِّ إِنِّي وَصَعْتُهَا أَنْفِي﴾^(٢).
- ٥ - وإظهار الفرح بمقبِل - والشماتة بمُذْبِر، نحو ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾^(٣).
- ٦ - والتوبيخ، كقولك للعائر: الشمس طالعةٌ.
- ٧ - التذكير بما بين المراتب من التفاوت - نحو - لا يَسْتَوِي كسلان ونشيط.

المبحث الثاني

في كَيْفِيَّةِ إلقاء المتكلم الخبر للمُخاطَب

حيث كان الغرضُ من الكلام الإفصاح والإظهار يجب أن يكون المتكلم مع المخاطب كالطبيب مع المريض يُشَخِّصُ حالته، ويُعطيه ما يناسبها فحقَّ الكلام أن يكون بقدر الحاجة، لا زائدًا عنها، لِثَلَا يكون عبثًا ولا ناقصًا عنها، لِثَلَا يُخِلَّ بالغرض، وهو (الإفصاح والبيان)^(٤) (والملقى إليه الكلام (وهو المُخاطَب) له ثلاث حالات:

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٦.

(١) سورة مريم: الآية ٤.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٨١.

(٤) كتب معاوية إلى أحد عماله فقال لا ينبغي لنا أن نسوس الناس سياسة واحدة، لا نلين جميعًا =

١ - إما أن يكون خالي الذهن من الحكم - وفي هذه الحال لا يؤكد له الكلام لعدم الحاجة إلى التوكيد، نحو أخوك قائم، وما أبوك حاضر.

(ويُسمى هذا الضرب من الخبر ابتدائيًا).

٢ - وإما أن يكون مُتردّدًا في الحكم طالبًا لمعرفته، فيُستحسن تأكيد^(١) الكلام الملقى إليه تقوية للحكم ليتمكن من نفسه، ويُطرح الخلاف وراء ظهره، نحو: إن الأمير منتصر.

(ويُسمى هذا الضرب من الخبر طلبيًا).

٣ - وإما أن يكون منكراً للحكم الذي يُراد إلقاؤه إليه، مُعتقدًا خلافه فيجب تأكيد الكلام له بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر؛ على حسب إنكاره قوّة وضعفًا نحو: إن أخاك قادم - أو إنه لقادم - أو والله إنه لقادم؛ أو لعمرى إن الحقّ يعلو ولا يُعلَى عليه.

(ويُسمى هذا الضرب من الخبر إنكاريًا).

واعلم أنه كما يكون التأكيد في الإثبات يكون في النفي أيضًا.

تنبيهات

الأول: لتوكيد الخبر أدوات كثيرة، وأشهرها إنّ؛ ولأمّ الابتداء وأحرف التنبيه؛ والقسم؛ ونونا التوكيد، والحروف الزائدة (كتفعل واستفعل) والتكرير؛ وقد؛ وأما الشرطية، وإنّما؛ وإسمية الجملة. وضمير الفصل؛ وتقديم الفاعل المعنوي - نحو الأمير حضر.

الثاني: يُسمى إخراج الكلام على الأضرب الثلاثة السابقة إخراجًا على مُقتضى ظاهر الحال^(٢).

⁼ فيرح الناس في المعصية ولا نشدّ جميعًا فنحمل الناس على المهالك، ولكن تكون أنت للشدة والغلظة، وأكون أنا للرفقة والرحمة.

وكتب أبو العباس السفاح فقال: لأعملنّ اللّين حتى لا ينفع إلا الشدة ولا كرمّن الخاصة ما أمتهم على العامة، ولا غمدنّ سيفي حتى يسله الحق، ولأعطينّ حتى لا أرى للعطية موضعًا.

(١) المراد بالتأكيد في هذا الباب تأكيد الحكم، واعلم أنّ الخطاب الجملة الإسمية وحدها أكد من الخطاب الجملة الفعلية - فإذا أريد مجرد الإخبار أتى بالفعلية - وأما إن أريد التأكيد فبالإسمية وحدها - أو بها مع إنّ - أو بهما وباللام أو بالثلاثة والقسم.

(٢) اعلم أن الحال هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام مكيفًا بكيفية ما سواء أكان ذلك الأمر الداعي ثابتًا في الواقع: أو كان ثبوته بالنظر لما عند المتكلم كتزليل المخاطب غير السائل منزلة السائل =

وقد تقتضي الأحوال العدول عن مقتضى الظاهر ويورد الكلام على خلافه لاعتبارات يلحظها المتكلم.

١ - منها تنزيل العالم (بفائدة الخبر، أو لازمها، أو بهما معاً) منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب علمه. رفيقتي إلى الخير كما يلقى إلى الجاهل، كقولك لمن يعلم وجوب الصلاة وهو لا يصلي «الصلاة واجبة» توبيخاً له على عدم عمله بمقتضى علمه، وكقولك، لمن يؤذي أباه - هذا أبوك.

٢ - ومنها تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد إذا تقدم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(١) فمدخول إن مؤكد لمضمون ما تقدمه لإشعاره بالتردد فيما تضمنه مدخولها - وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾^(٢).

لما أمر المولى «نوحاً» أولاً بصنع الفلك، ونهاه ثانياً عن مخاطبته بالشفاعة فيهم، صار مع كونه غير سائل في مقام السائل المتردد^(٣).

هل حكم الله عليهم بالإغراق؟ فأجيب بقوله: «إنهم مغرقون».

٣ - ومنها تنزيل الخالي منزلة المنكر. إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار، كقول حنبل بن نضلة القيسي «من أولاد عم شقيق»:

وظاهر الحال هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام مكيفاً بكيفية مخصوصة. بشرط أن يكون ذلك الأمر الداعي ثابتاً في الواقع - فكل كيفية اقتضاها ظاهر الحال اقتضاها الحال، - وليس كل كيفية اقتضاها الحال اقتضاها ظاهره.

(١) سورة يوسف: الآية ٥٣.

(٢) سورة هود: الآية ٣٧.

(٣) أي فصار المقام مظنة للتردد والطلب - وإن لم يتردد المخاطب ولم يطلب بالفعل وذلك لأنه تكاد نفس الذكي إذا قدم لها ما يشير إلى جنس الخبر أن تتردد في شخص الخبر وتطلبه من حيث إنها تعلم أن الجنس لا يوجد إلا في فرد من أفرادها فيكون ناظراً إليه بخصوصه كأنه متردد فيه كنظر السائل - فقوله ولا تخاطبني يشير إلى جنس الخبر وإنه عذاب - وقوله إنهم مغرقون - يشير إلى خصوص الخبر الذي أشير إليه ضمناً في قوله ولا تخاطبني - وكقول الشاعر: [الوافر]

ترقق أيها المولى عليهم فلبان الرفق بالجاني عتاب

فالأصل أن يورد الخبر هنا خالياً من التوكيد لأن المخاطب خالي الذهن من الحكم ولكن ما تقدم في الكلام ما يشعر بنوع الحكم أصبح المخاطب متشوقاً لمعرفة فنزل السائل المتردد واستحسن إلقاء الكلام إليه مؤكداً جرياً على خلاف مقتضى الظاهر.

[السريع]

جاء شَيْبَقُ عَارِضًا رُمَحَهُ إِنَّ بَنِي عَمَّكَ فِيهِمْ رِمَاحُ
 شَيْبَقُ رَجُلٌ لَا يُنْكَرُ رِمَاحَ بَنِي عَمِّهِ، وَلَكِنْ مَجِيئُهُ عَلَى صُورَةِ الْمُعْجَبِ بِشَجَاعَتِهِ
 وَاضِعًا رُمَحَهُ عَلَى فَخْذِهِ بِالْعَرَضِ فِي جِهَةِ الْعَدُوِّ بَدُونِ اسْتِعْدَادٍ لِلْقِتَالِ؛ بِمَنْزِلَةِ إِنْكَارِهِ
 أَنْ لَهُمْ رِمَاحًا، وَلَنْ يَجِدَ مِنْهُمْ مَقَاوِمًا لَهُ.
 فَأُكِّدَ لَهُ الْكَلَامُ اسْتِهْزَاءً بِهِ (وَحُوطِبَ خِطَابَ التَّفَاتِ بَعْدَ غَيْبَةِ تَهْكُمَا بِهِ، وَرَمِيًا لَهُ
 بِالْتَرَقِّ وَخُرْقِ أَيْ).

٤ - وَمِنْهَا تَنْزِيلُ الْمُرْتَدِّ مَنْزِلَةَ الْخَالِي، كَقَوْلِكَ لِلْمُرْتَدِّ فِي قُدُومِ مَسَافِرٍ مَعَ شَهْرَتِهِ
 (قَدَمِ الْأَمِيرِ).

٥ - وَمِنْهَا تَنْزِيلُ الْمُرْتَدِّ^(١) مَنْزِلَةَ الْمُنْكَرِ، كَقَوْلِكَ لِلسَّائِلِ الْمُسْتَبْعِدِ لِحَصُولِ الْفَرَجِ:
 إِنَّ الْفَرَجَ لَقَرِيبٌ.

٦ - وَمِنْهَا تَنْزِيلُ الْمُنْكَرِ مَنْزِلَةَ الْخَالِي، إِذَا كَانَ لَدَيْهِ دَلَالِلٌ وَشَوَاهِدٌ لَوْ تَأَمَّلَهَا لَارْتَدَعَ
 وَزَالَ إِنْكَارُهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ إِلَهًُ وَحِيدٌ﴾^(٢).
 وَكَقَوْلِكَ لِمَنْ يُنْكَرُ مَنَفْعَةُ الطَّبِّ (الطَّبُّ نَافِعٌ).

٧ - وَمِنْهَا تَنْزِيلُ الْمُنْكَرِ مَنْزِلَةَ الْمُرْتَدِّ، كَقَوْلِكَ لِمَنْ يَنْكَرُ شَرَفَ الْأَدَبِ إِنْكَارًا ضَعِيفًا
 «إِنَّ الْجَاهَ بِالْمَالِ إِنَّمَا يَصْحَبُكَ مَا صَحَبَكَ الْمَالُ، وَأَمَّا الْجَاهُ بِالْأَدَبِ فَأَنَّهُ غَيْرُ زَائِلٍ
 عَنْكَ».

الثالث: ظَهَرَ لَكَ مِمَّا تَقْدِمُ أَنْ إِخْرَاجَ الْكَلَامِ يَنْحَصِرُ فِي اثْنَيْ عَشَرَ قِسْمًا^(١) - ثَلَاثَةٌ مِنْهَا
 فِي إِخْرَاجِ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الظَّاهِرِ - وَتِسْعَةٌ^(٢) مِنْهَا فِي إِخْرَاجِهِ عَلَى خِلَافِهِ، ثَلَاثَةٌ مِنْ
 تِلْكَ التَّسْعَةِ فِي الْعَالَمِ بِفَائِدَةِ الْخَبَرِ، وَسِتَّةٌ فِي غَيْرِهِ، وَإِذَا ضَرَبْتَ هَذِهِ الْإِثْنَيْ عَشَرَ فِي
 الْإِبَاتِ وَالتَّقْيِ صَارَتْ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ صُورَةً.

(١) وَفَائِدَةُ التَّنْزِيلِ وَجُوبُ زِيَادَةِ التَّأَكِيدِ قُوَّةً وَضَعْفًا لِأَنَّهُ نُزِّلَ الْمُرْتَدِّ مَنْزِلَةَ الْمُنْكَرِ فَيُعْطَى حُكْمُهُ حَيْثُ نَزَلَ،
 وَهَكَذَا فَهْمُهُ فِي عَكْسِهِ وَهُوَ تَنْزِيلُ الْمُنْكَرِ مَنْزِلَةَ الْمُرْتَدِّ فِي اسْتِحْسَانِ التَّوَكِيدِ لَهُ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا
 التَّبَسُّ إِخْرَاجَ الْكَلَامِ عَلَى خِلَافِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ بِإِخْرَاجِهِ عَلَى مُقْتَضَى الظَّاهِرِ يَحْتَاجُ إِلَى قَرِينَةٍ
 تَعَيِّنُ الْمَقْصُودَ أَوْ تَرْجِّحُهُ - فَإِنْ لَمْ تَوْجَدْ قَرِينَةً صَحَّ حَمْلُ الْكَلَامِ عَلَى كُلِّ مِنَ الْأَمْرَيْنِ - وَذَلِكَ
 كَجَعْلِ السَّائِلِ كَالْخَالِي وَجَعْلِ الْمُرْتَدِّ كَالْمُنْكَرِ فَإِنْ وَجِدْتَ قَرِينَةً عَمِلَ بِهَا وَالْأَصَحُّ الْحُكْمُ
 بِأَحَدِهِمَا.

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ ١٦٣.

(٣) اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ التَّسْعَةَ الَّتِي أُخْرِجَتْ عَلَى خِلَافِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ كَثِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ لِنَفْسِهَا لَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى
 الصُّورِ الَّتِي أُخْرِجَتْ عَلَى مُقْتَضَاهَا - وَإِلَّا فَهِيَ كَثِيرَةٌ أَيْضًا.

الحامس: قد يُؤكّد الخبر لشرف الحكم وتقويته، مع أنه ليس فيه تردّد ولا إنكار، كقولك في افتتاح كلام (إنّ أفضل ما نطق به اللسان كذا)^(١).

تدريب

يُبين أغراض الخبر فيما يأتي:

[الكامل المرفل]

فإذا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي

[الكامل]

ويدي إذا اشتدّ الزمان وساعدي

[الطويل]

وأمل عزّا يخضب البيض بالدم

[البسيط]

لولا مخاطبتي إياك لم ترني

[الطويل]

وليس له أمّ سِوَاكَ ولا أب

١ - قومي همّو قتلوا أَمِينم أخي

١ - قد كنتَ عُدَّتِي التي أسطو بها

٢ - أبا المسك أرجو منك نصرًا على العدى

٣ - كفى بجسمي نحولاً أنني رجل

٤ - وأنت الذي رَبَّيتَ ذا الملك مرضعاً

(١) من مزايا اللغة العربية دقّة التصرف في التعبير، واختلاف الأساليب باختلاف المقاصد والأغراض، فمن العيب الفاضح عند ذوي المعرفة بها (الإطناب) إذا لم تكن هناك حاجة إليه «والإيجاز والاختصار» حيث تطلب الزيادة، وقد تخفى دقائق تراكيبها على الخاصة بله العامة، فقد أشكل أمرها على بعض ذوي الفطنة من نابتة القرن الثالث إِيَّانَ عِرُّ اللُّغَةِ ونصرة شبابها، يرشدك إلى ذلك ما رواه الثّقاة من أنّ المتفلسف الكِنْدِي ركب إلى أبي العباس المبرد وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشواً، فقال أبو العباس في أيّ موضع وجدت ذلك فقال أجدُ العرب يقولون عبد الله قائم، ثم يقولون إن عبد الله قائم، ثم يقولون إن عبد الله لقائم فالألفاظ متكررة والمعنى واحد، فقال أبو العباس بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فالأول إخبار عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال سائل، والثالث جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكرّرت الألفاظ لتكرر المعاني، فما أحرار المتفلسف جواباً.

ومن هذا تعلم أن العرب لاحظت أن يكون الكلام بمقدار الحاجة، لا أزيد وإلا كان عبثاً - ولا أنقص وإلا أحل بالغرض وهو الإفصاح والبيان.

١ - إظهار الحسرة على موت أخيه بيد من قرابته.

١ - إظهار الضعف لكونه أصبح بلا معين.

٢ - الاسترحام بطلب المساعدة وشد الأزر.

٣ - إظهار الضعف بأن نحوله صيرَه إلى ما وصف.

٤ - إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بقصته وسابق أعماله. فالغرض لازم الفائدة.

[الكامل]

٥ - ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر

[الكامل]

إن كان لا يرجوك إلا محسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم
أدعوك ربّي كما أمرت تضرّعا فإذا ردّدت يدي فمن ذا يرحم

نموذج في بيان أغراض الأخبار

١ - كَانَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَسَنَ السِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ يَخْلُمُ فِي مَوَاضِعِ الْجَلَمِ، وَيَشْتَدُّ فِي مَوَاضِعِ الشَّدَّةِ.

٢ - لَقَدْ أَذْبَتَ بَيْنَكَ بِاللَّيْنِ وَالرَّفَقِ لَا بِالْقَسْوَةِ وَالْعِقَابِ .

٣ - تُوَفِّي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةً ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ .

٤ - قَالَ أَبُو فِرَاسٍ الْحَمْدَانِيُّ :

[الكامل]

وَمَكَارِمِي عَدَدُ النُّجُومِ وَمَنْزِلِي
مَأْوَى الْكِرَامِ وَمَنْزِلُ الْأَضْيَافِ
٥ - قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

[الطويل]

وَمَا كُلُّ هَآؤٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ
وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ بِمُتَمِّمٍ
٦ - وَقَالَ أَيْضًا يَزِيدِي أُخْتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

[البسيط]

عَدَرْتُ يَا مَوْتُ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدٍ
بِمَنْ أَصَبْتُ وَكَمْ أَسَكَّتَ مِنْ لَجَبٍ
٧ - قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَزِيدِي وَلَدَهُ عَلِيًّا :

[الوافر]

بَكَيْتُكَ يَا عَلِيُّ بَدَمْعٍ عَيْنِي
فَمَا أَغْنَى الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئًا

- ٥ - التحسر لفقد ذوي المروءة، والمصير إلى لثام لا خير فيهم .
- ١ - الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام .
- ٢ - الغرض إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بحاله في تهذيب بنيه .
- ٣ - الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام .
- ٤ - الغرض إظهار الفخر، فإن أبا فراس إنما يريد أن يفاخر بمكارمه وشمائله .
- ٥ - الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام فإن أبا الطيب يريد أن يبين لسامعيه ما يراه في بعض الناس من التقصير في أعمال الخير .
- ٦ - الغرض إظهار الأسى والحزن .
- ٧ - الغرض إظهار الحزن والتحسر على فقد ولده .

وَكَاثَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتُ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

[السريع]

٨ - إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلُغَتْهَا قَدْ أَحْوجْتُ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ

٩ - قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِي:

[الطويل]

وَلِي مَنْطِقٌ لَمْ يَرْضَ لِي كُنْهَ مَنْزِلِي عَلَى أَنْبِي بَيْنَ السَّمَائِينَ نَازِلُ

١٠ - قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ يَخَاطِبُ الْمَأْمُونُ:

[الخفيف]

أَتَيْتُ جُرْمًا شَنِيعًا وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلُ

فَإِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ وَإِنْ قَتَلْتَ فَعَذْلُ

تطبيق (١)

أحص المؤكدات في العبارات التالية، ويُنضروب الخبر الثلاثة:

[الطويل]

١ - أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلٌ عَفَاً وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلُ

[الطويل]

٢ - وَإِنَّ امْرَأًا قَدْ سَارَ خَمْسِينَ حِجَّةً إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِيبُ

[الكامل]

٣ - لَيْسَ الصَّدِيقُ بِمَنْ يَعِيرُكَ ظَاهِرًا مُتَبَسِّمًا عَنْ بَاطِنٍ مُتَجَهِّمُ

٤ - قَالَ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ أَجَبْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(١).

٥ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكَ سَبَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لَبَاسًا ۖ وَجَعَلْنَا أَلْهَارَ مَعَاشًا ۖ﴾^(٢).

(٢) سورة النبأ: الآيات ٩ - ١١.

(١) سورة الأنعام: الآية ٦٣.

٨ - الغرض إظهار الضعف والعجز.

٩ - الغرض الافتخار بالعقل واللسان.

١٠ - الغرض الاسترحام والاستعطاف.

ضرب الخبر

المؤكدات

الرقم

طلبي

ألا (أداة استفتاح وتنبيه)

١ -

إنكاري لزيادة المؤكدات على واحد

إن - قد - اللام في لقريب

٢ -

طلبي

الباء الزائدة في بمن

٣ -

إنكاري

لام القسم - لام التوكيد - نون التوكيد

٤ -

طلبي

تكرار جعلنا

٥ -

- ٦ - أَمَّا الْفِرَاقُ فَلِمَّاهُ مَا أَعْهَدُ [الكامل]
هُوَ تَوَهُّمِي لَوْ أَنَّ بَيْنَنَا يُولَدُ
٧ - وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي [الطويل]
وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمَخْتَلَفٌ جِدَا
٨ - ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾^(١) .
- ١ - وَإِنِّي لَصَبَّارٌ عَلَى مَا يَنْوِينِي [الطويل]
وَحَسْبُكَ أَنَّ اللَّهَ أَثْنَى عَلَى الصَّبْرِ
٢ - وَإِنِّي لَقَوْلٌ لِّذِي الْبَيْتِ مَرْحَبًا [الطويل]
وَإِنِّي لَحَلُّو تَعْتَرِينِي مَرَارَةً
٣ - وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي [الكامل]
٤ - إِنَّ الْغَنِيَّ مِنَ الرِّجَالِ مُكْرَّمٌ [البسيط]
وَالنَّصِيحَ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ
وَتَرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْغَبُ
٥ - فَمَا الْحَدَاثَةُ عَنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ [البسيط]
قَدْ يَوْجَدُ الْحِلْمَ فِي الشَّبَّانِ وَالشَّيْبِ

(١) سورة يس: الآية ١٤ .

الرقم	المؤكدات	ضرب الخبر
٦ -	أما - إن - أن	طلبي لأن كل مؤكد في جملة وحده
٧ -	أن - لام الابتداء	إنكاري لزيادة المؤكدات على واحد
٨ -	لما روى القرآن قصة رسل عيسى الذين أرسلهم إلى قومه فأنكروا رسالتهم قال لهم الرسل إنا إليكم مرسلون فآلقوا إليهم الكلام مؤكداً بمؤكدين - فكذبوا فقالوا لهم «إنا إليكم لمرسلون» مؤكدين لهم القول بمؤكد ثالث - فجحدهوا - فقالوا لهم «ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون» فزادوا مؤكداً رابعاً وهو القسم .	
الرقم	الجملة	المؤكدات
١ -	وإني لصبار	إن ولام الابتداء
٢ -	وإني لقوال	إن ولام الابتداء
	وإني لحلو	إن ولام الابتداء
	وإني لتراك	إن ولام الابتداء
٣ -	ولقد نصحتك	القسم . قد
	والنصح أغلى	
٤ -	إن الغني	
	وتراه يرجى	
٥ -	فما الحداثة الخ	الباء الزائدة «بمانعة»
	قد يوجد الحلم	قد
		طلبي

[البسيط]

- ٦ - إِنَّ الْحَيَاةَ لَثَوْبٌ سَوْفَ نَخْلَعُهُ وكل ثوبٍ إذا ما رثَ يَنْخَلِيعُ
- ٧ - ﴿ثُمَّ لَنْكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ لَيْتُونَ﴾ (١) ﴿١٥﴾ (١).

تطبيق (٢)

أذكر أَضْرَبَ الخبرِ وَبَيِّنْ المؤكِّداتِ فيما يأتي:

[البسيط]

- ١ - وعاد في طَلَبِ المَترُوكِ تاركهُ إِنَّا لَنَغْفِلُ والأيام في الطَّلَبِ
- ٢ - ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (١) ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلَ يَأَسًا﴾ (٢) ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (٣) (٢).

[الطويل]

- ٣ - أما دون مصر للغنى مُتَطَلِّبٌ بَلَى إِنَّ أسباب الغنى لكثيرُ

[المقارب]

- ٤ - فيومٌ لنا ويومٌ علينا ويومٌ نُسَاءُ ويومٌ نُسَرُ
- ٥ - إِنَّ من البيان لَسِحْرًا وَإِنَّ من الشعر لَحِكْمَةٌ.
- ٦ - قد يُدْرِكُ الشَّرَفَ الفَتَى وِرْدَاؤُهُ خَلِيقٌ.

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٥.

(٢) سورة النبأ: الآيات ٩ - ١١.

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
٦	إن الحياة لثوب	إن ولام الابتداء	إنكاري
	وكل ثوب الخ		ابتدائي
٧	غفلتهم عن الموت تعذ من أمارات الإنكار		إنكاري
١	وعاد في طلب المترك		ابتدائي
	إننا لنغفل	إن ولام الابتداء	إنكاري
٢	وجعلنا نومكم الخ	تكرير جعل	طلبي
٣	أما دون مصر	حرف التنبيه (أما)	طلبي
	إن أسباب الغنى لكثير	إن ولام الابتداء	إنكاري
٤	يوم لنا ويوم علينا	التكرير	طلبي
٥	إن من البيان لسحراً	إن ولام الابتداء	إنكاري
	إن من الشعر لحكمة	إن ولام الابتداء	إنكاري
٦	قد يدرك	قد	طلبي

المبحث الثالث

في تقسيم الخبر إلى جملة فعلية وجملة اسمية

أ - الجملة الفعلية [موضوع] الإفادة التَّجَدُّد والحدوث في زمن مُعَيَّن مع الاختصار^(١) نحو: أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ وَقَدْ وَلَّى الظَّلَامُ هَارِبًا.

فلا يُستفاد من ذلك إلَّا ثبوتُ الإشراق للشمس، وذهاب الظلام في الزَّمان الماضي.

وقد تُفيد الجملة الفعلية الاستمرار التجديدي شَيْئًا فَشِيئًا بحسب المقام وبمعونة القرائن لا بحسب الوضع^(٢) بشرط أن يكونَ الفعلُ مضارعًا، نحو قول المتنبي:

[الطول]

تُدبِّرُ شَرْقَ الأرض والغربَ كَقَهْ وليسَ لها يومًا عن المجد شاغلٌ
فقرينة المدح تدل على أن تدبير الممالك ديدنه وشأنه المستمر الذي لا يحيد عنه،
ويتجدد آثا فآثا.

ب - والجملة الاسمية تُفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء^(٣) ليس غير - بدون نظر إلى تجدد ولا استمرار - نحو الأرض متحركة - فلا يستفاد منها سوى ثبوت الحركة للأرض، بدون نظر إلى تجدد ذلك ولا حدوثه.

وقد تخرج الجملة الإسمية عن هذا الأصل وتفيد الدوام والاستمرار بحسب القرائن - كأن يكونَ الحديثُ في مقام المدح، أو في معرض الذم كقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ خُلِّيَ عَنْكَ عِظِيمٌ﴾^(٤) فسياق الكلام في معرض المدح دالٌّ على إرادة الاستمرار مع

(١) وذلك أن الفعل دال بصيغته على أحد الأزمنة الثلاثة بدون احتياج لقرينة بخلاف الاسم فإنه يدل على الزمن بقرينة ذكر لفظة الآن أو أمس أو غداً.

ولما كان الزمان الذي هو أحد مدلولي الفعل غير قارِّ الذات أي لا تجتمع أجزاؤه في الوجود كان الفعل مع إفادته التقييد بأحد الأزمنة الثلاثة مفيداً للتجدد أيضاً.

(٢) وذلك نظير الاستمرار الثبوتي في الجملة الاسمية نحو ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧] أي لو استمر على إطاعتكم وقتاً فوقتاً لحصل لكم عنت ومشقة.

(٣) قال الشيخ عبد القاهر: موضوع الاسم على أن يثبت به الشيء للشيء من غير اقتضاء أنه يتجدد ويحدث شيئاً فشيئاً: فلا تعرض في نحو زيد منطلق - لا كثر من إثبات الانطلاق له فعلاً - كما في زيد طويل وعمرو قصير أي أن ثبوت الطول والقصير هو بأصل الوضع، وأما استفادة الدوام فمن الملازمة في هذين الوصفين، وحيثلُ فالتمثيل للمنفى.

(٤) سورة القلم: الآية ٤.

الثبوت - ومنه قول النَّضر بن جُوْبة يتمدَّح بالغنى والكرم:

[البسيط]

لا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ المَضْرُوبَ صُرَّتْنَا لكن يَمَرَّ عَلَيْهَا «وَهُوَ مُنْطَلِقٌ»
يُرِيدُ أَنْ دَرَاهِمَهُ لَا ثَبَاتَ لَهَا فِي الصُّرَّةِ وَلَا بَقَاءَ، فَهِيَ دَائِمًا تَنْطَلِقُ مِنْهَا وَتَمْرُقُ
مَرْوَقُ السُّهَامِ مِنْ قِسِيَّهَا، لَتُوَزَّعَ عَلَى الْمُعْوزِينَ وَأَرْبَابِ الْحَاجَاتِ.
واعلم أن الجملة الاسمية لا تفيد الثبوت بأصل وضعها، ولا الاستمرار بالقرائن إلا
إذا كان خبرها مفردًا نحو: الوطنُ عزيزٌ، أو جملة اسمية نحو: الوطن هو سعادتي.
أما إذا كان خبرها جملة فعلية فإنها تفيد التجدد نحو: الوطن يسعدُ بأبنائه.

أسئلة يطلب أجوبتها

ما هو علم المعاني؟ ما هو الإسناد؟ ما هي مواضع المسند والمسند إليه؟ ما
المراد بصدق الخبر وكذبه؟ ما الفرق بين النسبة الكلامية والنسبة الخارجية؟ ما هو
الأصل في إلقاء الخبر؟ ما هي الأغراض الأخرى التي يلقي إليها الخبر؟ ما هي
أضرب الخبر؟ ما هي أدوات التوكيد؟ لماذا يعدل عن مقتضى الظاهر؟ إلى كم ينقسم
الخبر؟ لأي شيء وضعت الجملة الاسمية والفعلية؟ هل تفيد الجملة الفعلية والاسمية
غير ما وضعنا لأجله؟

تدريب

بين فائدة التعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية في التراكيب الآتية:

١ - قال تعالى: ﴿يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِتْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٣٩) (١).

(١) سورة الرعد: الآية ٣٩.

الرقم الجملة	نوعها	ما تفيده	الإيضاح
١ - يمحو الله	مضارعية	الاستمرار التجديدي	إذ محو بعض الخلائق وإفنائها وإثبات البعض الآخر مستمر على جهة التجدد
وعنده أم الكتاب	اسمية	الدوام	أم الكتاب اللوح المحفوظ والقرينة الإسناد إلى الله

[المتقارب]

٢ - نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي

[الخفيف]

٣ - وَعَلَى إِثْرِهِمْ تَسَاقُطُ نَفْسِي حَسَرَاتٍ وَذَكَرُهُمْ لِي سِقَامٌ

٤ - يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ - أَمِنَ الْحَلَالُ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ:

[الكامل]

٥ - أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عُكَازُ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

الرقم الجملة	نوعها	ما تفيد	الإيضاح
٢ - نروح ونغدو	مضارعية	الاستمرار التجديدي	القرينة قوله وحاجة من عاش
٣ - تساقط	مضارعية	الاستمرار التجديدي	القرينة الحالية والأسى
وذكرهم لي سقام	اسمية	الاستمرار والدوام	وهي الحزن والأسى
٤ - يأتي	مضارعية	التجدد	
٥ - يريد أن قبيلة ترد سوق عكاظ تبعث عريفها ورئيسها ليتفرس في وجوه القوم مرة بعد أخرى، لعله يهتدي إلى معرفتي، لتأخذ بثأرها مني وتنكل بي لأنني طالما أوقعت بها وأذقتها صنوف المذلة والهوان.			
وعكاظ سوق للعرب كانت تجتمع فيها للتفاخر والتنافر ليلاً ولتصريف المتاجر نهاراً.			

الباب الثاني

في حقيقة الإنشاء وتقسيمه

الإنشاء لغة الإيجاد؛ واصطلاحاً ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته^(١)، نحو: اغفر وارحم، فلا يُنسب إلى قائله صدق أو كذب.

وإن شئت فقل في تعريف الإنشاء ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به - فطلبُ الفعل في «افْعَلْ» وطلبُ الكفِّ في «لَا تَفْعَلْ» وطلبُ المحبوب في «التمني» وطلبُ الفهم في (الاستفهام) وطلبُ الإقبال في «النِّداء» كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصَّيغ المُتلفِظ بها.

وينقسم الإنشاء إلى نوعين: إنشاء طلبي - وإنشاء غير طلبي.

«فالإنشاء غير الطلبي» ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب كصيغ المدح والذم، والعقود، والقسم، والتعجب، والرجاء، وكذا رُبَّ ولعلَّ، وكم الخبرية «ولا دخل لهذا القسم في علم المعاني».

١ - أما المدح والذم فيكونان بنعم وبئس وما جرى مجراهما نحو: حبذا ولا حبذا، والأفعال المحوَّلة إلى فعلٍ نحو طاب عليّ نفساً، وخَبْتُ بكر أصلاً.

٢ - وأما العقود فتكون بالماضي كثيراً، نحو بعث واشتريت ووهبت وأعتقت - وبغيره قليلاً نحو أنا بائع. وعبدي حرٌّ لوجه الله تعالى.

٣ - وأما القسم فيكون بالواو والباء والتاء وبغيرها نحو: لعمرك ما فعلت كذا.

٤ - وأما التعجب - فيكون بصيغتين، ما أفعله - وأفعل به.

وبغيرهما نحو لله درّه عالمًا - ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾^(٢).

٥ - وأما الرجاء فيكون بعسى وخرى واخْلَوْلَقْ نحو: عسى الله أن يأتي بالفتح.

(١) أي بقطع النظر عما يستلزمه الإنشاء فإن اغفر يستلزم خبراً وهو أنا طالب المغفرة منك - وكذا لا تكسل يستلزم خبراً وهو أنا طالب عدم كسلك - لكن هذا ليس لذاته.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨.

وأنواع الإنشاء غير الطلبي كثيرة ولكنها ليست من مباحث علم المعاني ولذا نقتصر فيه على ما ذكرناه ولا نطيل البحث في هذا القسم الذي أكثره في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء.

ولئنما المبحوث عنه في علم المعاني هو:

«الإنشاء الطلبي» وهو الذي يَسْتَدْعِي مطلوباً^(١) غير حاصل^(٢) في اعتقاد المتكلم وقت الطلب - ويكون بخمسة أشياء، الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء^(٣) وفي هذا الباب خمسة مباحث:

المبحث الأول

في الأمر

الأمر هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء^(٤) وله أربع صيغ:

- (١) اعلم أنه إذا كان المطلوب غير متوقع كان الطلب (تمنياً) وإن كان متوقعاً فإما حصول صورة أمر في الذهن فهو (الاستفهام) وإما حصوله في الخارج فإن كان ذلك الأمر انتفاء فعل فهو (النهي) وإن كان ثبوته فإما بأحد حروف (النداء) فهو النداء - وإما بغيرها فهو (الأمر) وبهذا تعلم أن الطلب هنا منحصر في هذه الأمور الخمسة لاختصاصها بكثير من اللطائف البلاغية.
- (٢) أي لأنه لا يليق طلب الحاصل، فلو استعمل صيغ الطلب لمطلوب حاصل امتنع اجراؤها على معانيها الحقيقية، ويتولد من تلك الصيغ ما يناسب المقام كطلب دوام الإيمان والتقوى في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ﴾ [النساء: ١٣٦] وهلم جرا كما سيأتي.
- (٣) ويكون الإنشاء الطلبي أيضاً، بالعرض والتحضيض، ولكن لم يتعرض لهما البيانين لأنهما مولدان على الأصح من الاستفهام والتمني - فالأول من الهمزة مع لا النافية في «ألا» والثاني من هل ولو للتمني مع لا وما الزائدتين في «هلاً وألاً» بقلب الهاء همزة.
- وكذا لولا ولوما - واعلم أن الإنشاء الطلبي نوعان ما يدل على معنى الطلب بلفظه ويكون بالخمسة المذكورة. وما يدل على معنى الطلب بغير لفظه كالدعاء.
- (٤) بأن يعدّ الأمر نفسه عالياً سواء كان عالياً في الواقع أو لا. ولهذا نسب إلى سوء الأدب إن لم يكن عالياً. واشترط الاستعلاء بهذا المعنى هو ما عليه الأكثر من الماتريدية - والإمام الرازي والأندلسي من الأشعرية - وأبو الحسن من المعتزلة. وذهب الأشعري إلى أنه لا يشترط هذا - وبه قال كثير من الشافعية والأشبه أن الصدور من المستعلي يفيد إيجاباً في الأمر وتحريضاً في النهي - واعلم أن الأمر للطلب مطلقاً - والفور والتراخي من القرائن - ولا يوجب الاستمرار والتكرار في الأصح. وقيل ظاهره الفور كالنداء والاستفهام إلا بقرينة وهو ما اختار السكاكي واعلم أيضاً أن الأمر يكون استعلاء مع الأدنى، ودعاء مع الأعلى، والتماساً مع النظير.

- ١ - فعل الأمر - كقوله تعالى: ﴿يَبْحَثْ خُذِ الْكِتَابَ يَقُودُ﴾^(١).
- ٢ - والمضارع المجزوم بلام الأمر كقوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾^(٢).
- ٣ - واسم فعل الأمر - نحو: صَهْ، وَآمِينَ، وَنَزَالٍ، وَدَرَاكِ.
- ٤ - والمصدر النائب عن فعل الأمر - نحو: سَعِيًّا فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ.
- وقد تخرجُ صيغُ الأمر عن معناها الأصلي إلى معاني أخرى تُستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال.
- ١ - كالدعاء في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾^(٣).
- ٢ - والالتماس كقولك لمن يُساويك - أَعْطِنِي الْقَلَمَ أَيُّهَا الْأَخ.
- ٣ - والإرشاد - كقوله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾^(٤).
- ٤ - والتَّهْدِيد - كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٥).
- ٥ - والتَّعْجِيز - كقوله تعالى: ﴿فَاتُوا سُورَةَ مِن مِّثْلِهِ﴾^(٦).
- ٦ - والإباحة - كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾^(٧) نحو: اجلس كما تشاء.
- ٧ - والتسوية - نحو قوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾^(٨).
- ٨ - والإكرام - كقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ؕ آمِينَ﴾^(٩).
- ٩ - والامتنان نحو قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنَّمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾^(١٠).
- ١٠ - والإهانة - كقوله تعالى: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾^(١١).
- ١١ - والدوام كقوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١٢).
- ١٢ - والتَّامَنِي كقول امرئ القيس:

-
- | | |
|---|------------------------------|
| (١) سورة مريم: الآية ١٢. | (٢) سورة الطلاق: الآية ٧. |
| (٣) سورة النمل: الآية ١٩، سورة الأحقاف: الآية ١٥. | |
| (٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٢. | (٥) سورة فصلت: الآية ٤٠. |
| (٦) سورة البقرة: الآية ٢٣. | (٧) سورة البقرة: الآية ١٨٧. |
| (٨) سورة الطور: الآية ١٦. | (٩) سورة الحجر: الآية ٤٦. |
| (١٠) سورة النحل: الآية ١١٤. | (١١) سورة الإسراء: الآية ٥٠. |
| (١٢) سورة الفاتحة: الآية ٦. | |

[الطويل]

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي بُضْبُحْ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

١٣ - وَالْإِذْنَ - كَقَوْلِكَ لِمَنْ طَرَقَ الْبَابَ - أَدْخُلْ .

١٤ - وَالْإِذْنَ - كَقَوْلِكَ لِمَنْ طَرَقَ الْبَابَ - أَدْخُلْ .

١٥ - وَالتَّخْيِيرَ - نَحْوُ تَرْوُجٍ هَذَا أَوْ أَخْتَهَا .

١٦ - وَالتَّأْدِيبَ - نَحْوُ كُلِّ مِمَّا يَلِيكَ .

١٧ - وَالتَّعَجُّبَ - كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ صَرُّوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ (٣) .

تمرين

يَبَيِّنْ مَا يُرَادُ مِنْ صَيَغِ الْأَمْرِ فِي التَّرَاكِبِ الْآتِيَةِ:

١ - خُذِ الْعَفْوَ، وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ .

[الطويل]

٢ - أَسَيْتِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةً لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ

[المتقارب]

٣ - يَا لَيْلُ طُلْ يَا نَوْمُ زُلْ يَا صُبْحُ قِفْ لَا تَطْلَعْ

[مجزوء الكامل]

٤ - عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِمًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ

٥ - ﴿وَأَيِّرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِنَّ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٤) .

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٩ .

(٢) سورة يس: الآية ٨٢، سورة غافر: الآية ٦٨، سورة مريم: الآية ٣٥، سورة الأنعام: الآية ٧٣، سورة النحل: الآية ٤٠ .

(٣) سورة الإسراء: الآية ٤٨ . (٤) سورة الملك: الآية ١٣ .

الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها
١ -	خذو العفو	الإرشاد
٢ -	أسيئي بنا	التسوية
٣ -	طل - زل	التمني
٤ -	عش سالماً	الدعاء
٥ -	أسروا قولكم	التسوية

- ٦ - تَرَفَّقْ أَيُّهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ [الوافر]
فَلِإِنَّ الرِّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابُ [الوافر]
- ٧ - أَرَى الْعَنْقَاءَ تَكْبُرُ أَنْ تُصَادَا [الطويل]
فَعَانِذْ مَنْ تُطِيقُ لَهُ عِنَادًا [الطويل]
- ٨ - خَلِيلِي هُبَا طَالَمَا قَدْ رَقْدْتُمَا [الطويل]
أَجِدُّكُمَا لَا تَقْضِيَانِ كِرَاكُمَا [الطويل]
- ٩ - أَرِنِي جَوَادًا مَاتَ هُزْلًا لَعَلَّنِي [الطويل]
أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بِخِيَلًا مُخَلَّدَا [الطويل]
- ١٠ - قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١).
- ١١ - قَدْ رَشَحَوْكَ لِأَمْرِ إِنْ فِطْنَتْ لَهُ [البسيط]
فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرَعَى مَعَ الْهَمَلِ [البسيط]
- ١٢ - ﴿رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَتَر لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾﴾^(٢).
- ١٣ - لَيْسَ هَذَا بِعَشْكَ فَادْرُجِي.
- ١٤ - اْعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا. وَاْعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا.
- ١٥ - فَمَنْ شَاءَ فَلْيَبْخُلْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَجْدْ [الطويل]
كَفَّانِي نَدَاكُمُ عَنْ جَمِيعِ الْمَطَالِبِ [البسيط]
- يَا رَبِّ لَا تَسْلُبْنِي حَبَّهَا أَبَدًا وَيَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ آمِينَ

(١) سورة البقرة: الآية ١١١.

(٢) سورة طه: الآية ٢٥ - ٢٦.

الرقم	صيغة الأمر	الفرض منها
٦ -	ترفق	الدعاء
٧ -	عاند	الإهانة
٨ -	هُبَا	الالتماس
٩ -	أريني جوادًا	التعجيز
١٠ -	هاتوا برهانكم	التعجيز
١١ -	فاربأ بنفسك	الإرشاد
١٢ -	اشرح لي صدري	الدعاء
١٣ -	ادرجي	الإهانة
١٤ -	اعمل لدنياك	الإرشاد
١٥ -	فليبخل	التخيير

[الطويل]

١٦ - أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

[الطويل]

أروني بخيلاً طال عُمرًا ببخله وهاتوا كريمًا مات من كثرة البذل

نموذج

بَيِّنْ نَوْعَ الْإِنْشَاءِ وصيغته في الأمثلة الآتية

[البسيط]

١ - يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّيْ غَيْرِ شَيْمَتِهِ وَمَنْ شَمَائِلِهِ التَّبْدِيلُ وَالْمَلْقُ
إِرْجِعْ إِلَى خُلُقِكَ الْمَعْرُوفِ دَيْدُنُهُ إِنَّ التَّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ

[الخفيف]

٢ - يَا ابْنَتِيْ إِنْ أَرَدْتَ آيَةَ حُسْنِ وَجَمَالًا يَزِينُ جِسْمًا وَعَقْلًا
فَانْبِذِيْ عَادَةَ التَّبَرُّجِ نَبْذًا فَجَمَالَ النُّفُوسِ أَسْمَى وَأَعْلَى
يَضْنَعُ الصَّانِعُونَ وَزَدًا وَلَكِنْ وَزْدَةُ الرُّوضِ لَا تُضَارِعُ شَكْلًا

[البسيط]

٣ - يَا لَيْتَ مَنْ يَمْنَعُ الْمَعْرُوفَ يَمْنَعُهُ حَتَّى يَذُوقَ رِجَالُ غَبٍّ مَا صَنَعُوا

[الطويل]

٤ - لَعَمْرُكَ مَا بِالْعَقْلِ يُكْتَسَبُ الْغِنَى وَلَا بِاِكْتِسَابِ الْمَالِ يَكْتَسَبُ الْعَقْلُ

أَسْئَلُهُ عَلَى الْإِنْشَاءِ وَالْأَمْرِ يَطْلُبُ أَجَوِبَتَهَا

ما هو الإنشاء لغة واصطلاحاً؟ إلى كم ينقسم الإنشاء؟ ما هو الإنشاء الغير
الطلبى؟ كم أقسام الإنشاء الطلبى؟ ما هو الأمر؟ كم صيغة للأمر؟ ما هي المعاني التي

الرقم	صيغة الأمر جئني	الفرض منها التعجيز	الرقم
١٦ -	صيغة الإنشاء	نوعه	طريقته
١ -	يأياها المتحلي غير شيمته الخ	طلبى	النداء
	ارجع إلى خلقك المعروف	طلبى	الأمر
٢ -	يا ابنتي إن أردت آية حسن	طلبى	النداء
	فانبذي عادة التبرج	طلبى	الأمر
٣ -	يا ليت من يمنع المعروف	طلبى	التمني
٤ -	لعمرك بالعقل يكتسب الغنى	غير طلبى	القسم

تخرج إليها صيغ الأمر عن أصل معناها؟

المبحث الثاني

في النهي

النَّهْيُ هو طلب الكفِّ عن الفعل على وجه الاستعلاء^(١).

{وله صيغة واحدة وهي المضارع مع لا الناهية} كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(٢).

وقد تخرج هذه الصيغة عن أصل معناها إلى معانٍ آخر تُستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

- ١ - كالدُّعاء - نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾^(٣).
- ٢ - والالتماس - كقولك لمن يُساويك - أيها الأخ لا تتوانَ.
- ٣ - والإرشاد - كقوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ فَسْأَلُكُمْ﴾^(٤).
- ٤ - والدوام - كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الْظَالِمُونَ﴾^(٥).
- ٥ - وبيان العاقبة - نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ﴾^(٦).
- ٦ - والتوبيخ - نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَدُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾^(٧).
- ٧ - والتمني - نحو يا ليلة الأنس لا تنقضي - وقوله:

[المقارب]

يَا لَيْلُ طُلْ يَا نَوْمُ زُلْ يَا صَبْحُ قِفْ لَا تَطْلُعْ

٨ - والتهديد - كقولك لخادمك - لا تطع أمري.

٩ - والكراهة - نحو لا تَلْتَفِتْ وَأَنْتَ فِي الصَّلَاةِ.

١٠ - والتوبيخ - نحو لا تَنَّهُ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ.

(١) اعلم أن النهي حقيقة في التحريم: كما عليه الجمهور - فمتى وردت صيغة النهي أفادت الحظر والتحريم على الفور.

واعلم أن النهي كالأمر فيكون استعلاء مع الأدنى، ودعاء مع الأعلى، والتماسا مع النظير.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٦. (٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٤) سورة المائدة: الآية ١٠١. (٥) سورة إبراهيم: الآية ٤٢.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٦٩. (٧) سورة التوبة: الآية ٦٦.

١١ - والانتناس - نحو: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(١).

١٢ - والتحقيق - كقوله:

[الطويل]

لا تَطْلُبِ المَجْدَ إِنَّ المَجْدَ سُلْمُهُ صَعْبٌ وَعِشْ مُسْتَرِيحًا نَاعِمَ البَالِ

تطبيق

أذكر ما يُراد من صِيغِ التَّهْيِ الآتية.

١ - ﴿وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْنُبُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾^(٢).

[الطويل]

٢ - فلا تُلْزِمَنَّ النَّاسَ غيرَ طَبَاعِهِمْ فَتَتَعَبُ مِنْ طُولِ الْعِتَابِ وَيَتَعَبُوا
ولا تَغْتَرِرْ مِنْهُمْ بِحَسَنِ بَشَاشَةٍ فَاكْثُرْ إِيْمَاضَ الْبَوَارِقِ خُلْبُ

[السريع]

٣ - فلا تَهْجِ إِنْ كُنْتَ ذَا إِزْبَةٍ حَرْبُ أَخِي التَّجَرِبَةِ الْعَاقِلِ
٤ - لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ.

[البسيط]

٥ - لا تَحْسَبِ المَجْدَ ثَمَرًا أَنْتَ أَكَلُهُ لَنْ تَبْلُغَ المَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَا
٦ - لا تَحْتَجِبْ عَنِ الْعُيُونِ أَيُّهَا الْقَمَرُ.

[الكامل]

٧ - لَا تَغْرِضَنَّ لِجُغْفَرٍ مُتَشَبِّهَا بِنَدَى يَدِيهِ فَلَسْتَ مِنْ أَنْدَادِهِ

[الكامل]

٨ - لَا تَيَاسُوا أَنْ تَسْتَرِدُّوا مَجْدَكُمْ فَلَرُبَّ مَغْلُوبٍ هَوَى ثُمَّ اذْتَقَى

(١) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٢.

١ - التوبيخ لهم على خلطهم الحق بالباطل.

٢ - الإرشاد إلى حسن الخلق.

٣ - الإرشاد والنصح.

٤ - التوبيخ والتقريع.

٥ - التوبيخ والتعنيف.

٦ - التمني.

٧ - التوبيخ والتأنيب.

٨ - الإرشاد والنصح.

[الوافر]

ولا تجلس إلى أهل الدنيا فإن خلائق السفهاء تُعدي

المبحث الثالث

في الاستفهام

الاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل.

وذلك بأداة من إحدى أدواته - وهي:

الهمزة. وهل. وما. ومن. ومتى. وأيان. وكيف. وأين. وأنى. وكم. وأي.

وتنقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:

أ - ما يُطلب به التصور تارة والتصديق تارة أخرى وهو - الهمزة.ب - وما يُطلب به التصديق فقط وهو - هل.ج - وما يُطلب به التصور فقط وهو بقية ألفاظ الاستفهام.

١ - الهمزة

يُطلب بالهمزة أحد أمرين: تصوّر. أو تصديق.

١ - فالتصوّر هو إدراك المفرد^(١) نحو أعليّ مسافر أم سعيد تعتقد أنّ السفر حصل من أحدهما ولكن تطلب تعيينه.

ولذا يُجاب بالتعيين، فيقال سعيد مثلاً.

وحكم الهمزة التي لطلب التصور، أن يليها المسؤول عنه بها، سواء أكان:

١ - مُسندًا إليه - نحو: أنت فعلت هذا أم يوسف.

٢ - أم مُسندًا - نحو: أراغب أنت عن الأمر أم راغب فيه.

٣ - أم مفعولاً - نحو: إياي تقصد أم سعيداً.

٤ - أم حالاً - نحو: أراكباً حضرت أم ماشياً.

(١) أي إدراك عدم وقوع النسبة وذلك كإدراك الموضوع وحده - أو المحمول وحده - أو هما معاً - أو ذات النسبة التي هي مورد الإيجاب والسلب.

فالاستفهام عن التصور يكون عند التردد في تعيين أحد الشئيين.

والاستفهام عن التصديق يكون عن نسبة تردّد الذهن فيها بين ثبوتها ونفيها وحينئذٍ للهمزة استعمالان - فتارة يطلب بها معرفة مفرد، وتارة يطلب بها معرفة نسبة، وتسمى معرفة المفرد تصوراً، ومعرفة النسبة تصديقاً.

٥ - أم ظرفاً - نحو: أيومَ الخميس قدمت أم يوم الجمعة.

✱ ويُذكر غالباً مع همزة التصور مُعادل مع لفظة «أم» وتُسمَّى مُتصلة كالأمثلة السابقة. ويجوز حذف هذا المُعادل.

نحو: أخيلٌ حضر - ونحو: أيومَ الخميس سافرت - وهَلُم جراً.

ب - والتصديق [هو إدراك وقوع نسبة تامة بين شيئين أو عدم وقوعها] ^(١).

ويكثر التصديق في الجمل الفعلية - كقولك أحضر الأمير ^(٢) تستفهم عن ثبوت النسبة ونفيها - وفي هذه الحالة يجب لفظة: نعم - أو - لا ويقل التصديق في الجمل الاسمية - نحو أعليّ مسافر.

- ويمتنع أن يُذكر مع همزة التصديق معادل كما مُثّل.

✱ فإن جاءت «أم» بعدها قُدرت منقطعة ^(٣) وتكون بمعنى (بل) كقوله:

[الطويل]

ولستُ أبالي بعدَ فقدي مالكا أموتِي ناءٍ أم هُو الآن واقعٌ

٢ - هل

يطلبُ بها التصديق فقط «أي معرفة وقوع النسبة. أو عدم وقوعها لا غير». نحو هل جاء الأمير - والجواب نعم - أو لا.

✱ ولأجل اختصاصها بطلب التصديق لا يذكر معها المعادل بعد أم المتصلة - فلذا:

أ - امتنع هل سعد قام أم سعيد: لأن وقوع المفرد وهو سعيد بعد «أم» الواقعة في حيز الاستفهام دليل على أن أم متصلة، وهي لطلب تعيين أحد الأمرين - ولا بد حينئذٍ أن يُعلم بها أولاً أصل الحكم.

(١) أي إدراك موافقتها لما في الواقع أو عدم موافقتها له - واعلم أن إدراك وقوع النسبة أو عدم وقوعها كما يسمى تصديقاً يسمى حكماً، وإسناداً، وإيقاعاً، وانتزاعاً أو إيجاباً وسلباً.

(٢) أي فقد تصورت الحضور والأمير والنسبة بينهما - وسألت عن وقوع النسبة بينهما؛ هل هو محقق خارجاً أو لا - فإذا قيل حضر. حصل التصديق وكذا يقال فيما بعده. فالمسؤول عنه في التصديق نسبة يتردد الذهن في ثبوتها ونفيها كما سبق توضيحه.

(٣) أي ولا بد من وقوع الجملة بعد أم المنقطعة. فإن وقع بعدها مفرد قُدرت بجملة نحو أحضر الأمير أم جيشه - أي بل حضر جيشه.

وتلخص ممّا تقدم أن همزة التصور إن جاء بعدها «أم» تكون متصلة وإن همزة التصديق أو هل إن جاء بعدهما «أم» قُدرت منقطعة وتكون بمعنى بل.

(وهل) لا يناسبها ذلك - لأنها لطلب الحكم فقط، فالحكم فيها غير معلوم، وإلا لم يُستفهم عنه بها، وحينئذٍ يُؤدّي الجمع بين (هل وأم) إلى التناقض، لأنَّ (هل) تفيد أن السائل جاهلٌ بالحكم لأنها لطلبه.

«وأم» المتصلة تفيد أنَّ السائل عالم به، وإنما يُطلب تعيين أحد الأمرين - فإن جاءت أم كذلك كانت مُنقطعة بمعنى بل التي تفيد الإضراب نحو: هل جاء صديقك أم عدوك.

ب - وَقَبَّحَ اسْتِعْمَالُ «هَلْ» فِي تَرْكِيبِ هُوَ مَظَنَّةٌ لِلْعِلْمِ بِحُصُولِ أَضَلِّ النَّسْبَةِ وَهُوَ مَا يَتَقَدَّمُ فِيهِ الْمَعْمُولُ عَلَى الْفِعْلِ، نَحْوُ: هَلْ خَلِيلًا أَكْرَمْتُ، فَتَقْدِيمُ الْمَعْمُولِ عَلَى الْفِعْلِ يَقْتَضِي غَالِبًا حُصُولَ الْعِلْمِ لِلْمَتَكَلِّمِ، وَتَكُونُ هَلْ لَطَلْبِ حُصُولِ الْحَاصِلِ وَهُوَ عِبْثٌ.

تنبيهات

الأول: هَلْ - كَالسَّيْنِ وسوف تُخْلَصُ المضارع للاستقبال، فلا يُقال هل تصدُق؟ جوابًا لمن قال أحبك الآن، بل تقول له، أتصدق؟ ولأجل اختصاصها بالتصديق وتخليصها المضارع للاستقبال قَوِيَ اتصالها بالفعل لفظًا أو تقديرًا نحو هل يجيء عليّ - أو هل عليّ يجيء؟.

فإن عُذِلَ عن الفعل إلى الاسم لإبراز ما يحصل في صورة الحاصل دلالة على كمال العناية بحصوله كان هذا العُدُولُ أبلغ في إفادة المقصود كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أُنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾^(١) فهذا التركيب أدلُّ على طلبِ الشُّكْرِ من قولك، هل تشكرون - وذلك لأن الفعل لازمٌ بعد هل والعُدُولُ عنه يدلُّ على قوَّة الدَّاعِي لِمَا ذُكِرَ.

الثاني: هَلْ نوعان: بسيطة - ومركبة:

أ - البسيطة: هي التي يُستفهم بها عن وجود شيء في نفسه، أو عدم وجوده، نحو هل العنقاء^(٢) موجودة - هل الخُلُ موجود.

ب - والمركبة: هي التي يُستفهم بها عن وجود شيءٍ لشيءٍ، أو عدم وجوده له - نحو هل المريخ مسكون؟ هل النَّبَات حسَّاس؟.

(١) سورة الأنبياء: الآية ٨٠.

(٢) حكى الزمخشري في ربيع الأبرار أن العنقاء كانت طائرًا وكان فيها من كل شيء من الألوان وكانت في زمن أصحاب الرس تأتي إلى أطفالهم وصغارهم فتخطفهم وتغرب بهم نحو الجبل فتأكلهم فشكوا ذلك إلى نبيهم صالح عليه السلام فدعا الله عليها فأهلكها وقطع عقبها ونسلها فسميت عنقاء مغرب لذلك.

الثالث: (هل) لا تدخل على:

- ١ المنفي^(١) فلا يقال هل لم يفهم علي
- ٢ ولا على المضارع الذي هو للحال فلا يقال هل تحتقر عليًا وهو شجاع
- ٣ ولا على إنَّ فلا يقال هل إنَّ الأمير مسافر
- ٤ ولا على الشرط فلا يقال هل إذا زرتك تكرمني
- ٥ ولا على حرف العطف فلا يقال هل فيتقدم أو هل ثم يتقدم^(٢)
- ٦ ولا على اسم بعده فعل فلا يقال هل بَشْرًا مِنَّا واحدًا نَتَّبِعُهُ

بخلاف الهمزة فإنها تدخل على جميع ما ذكر.

الرابع: بَقِيَّةُ أدوات الاستفهام موضوعة للتصوّر فقط - وهي: مَا، وَمَنْ، وَمَتَى، وَأَيَّانَ، وَكَيْفَ، وَأَيْنَ، وَأَتَى، وَكَمْ، وَأَيَّ.

ما - ومن

ما: موضوعة للاستفهام عن غير العقلاء - ويُطلب بها:

- أ - إيضاح الاسم: نحو ما العَسَجْدُ؟ فيقال في الجواب إنه ذهب.
- ب - أو يُطلبُ بها بيان حقيقة المُسمَّى: نحو: ما الشمس؟ فيُجاب بأنه كوكبٌ نهارِيٌّ.

ج - أو يُطلبُ بها بيان الصِّفة نحو: ما خليلٌ؟ وجوابه طويل أو قصير: مثلاً. ~~✗~~ وتقع هل البسيطة في الترتيب العقلي^(٣) بين «ما» التي لشرح الاسم والتي للحقيقة، فَمَنْ يجهل معنى البشر مثلاً يسأل أولاً «بما» عن شرحه فيُجاب بإنسان؛ ثم «بهل» البسيطة عن وجوده، فيُجاب بنعم.

ثم «بما» عن حقيقته، فيُجاب بحيوان ناطق.

ومن: موضوعة للاستفهام - ويُطلب بها تعيين العقلاء - كقولك: مَنْ فتح مصر؟ ونحو: مَنْ شَيَّدَ الهرم الأكبر؟ وَمَنْ شَيَّدَ القَنَاطِرَ الخيرية.

(١) أي لأن هل في الأصل بمعنى قد، وهي لا تدخل على المنفي، فلا يقال قد لا يقوم خليل - فحيتلُ هي مخصوصة بدخولها على النسب المثبتة، سواء أكانت جملاً فعلية أو اسمية - واعلم أن عدم دخولها على المنفي لا ينافي أنها لطلب التصديق مطلقاً سواء في الإيجابي والسلبي.

(٢) أي لا تقع هل قبل الحرف العاطف بل تقع بعده دائماً.

(٣) الترتيب العقلي هو أن يكون المتأخر متوقفاً على المتقدم من غير أن يكون المتقدم علة له - كتقدم المفرد على المركب.

متى - وأيان

متى: موضوعة للاستفهام، ويُطلب بها تعيين الزمان سواء أكان ماضيًا أو مستقبلاً - نحو متى تولّى الخلافة عُمرُ؟ ومتى نحظى بالاستقلال. **وأيان** موضوعة للاستفهام، ويُطلب بها تعيين الزمان المُستقبل خاصة.

وتكون في موضع التّهويل والتّفخيم دون غيره كقوله تعالى: ﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ (١).

كيف وأين وأنى وكم وأي

كيف موضوعة - للاستفهام - ويُطلب بها تعيين الحال كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ

جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ (٢) - وكقوله:

[الطويل]

وكيف أخافُ الفقرُ أو أحرّمُ الغنى ورأى أمير المؤمنين جـ
وأين للاستفهام - ويُطلب بها تعيين المكان نحو: ﴿أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ﴾ (٣) **وأنى** للاستفهام - وتأتي لمعان كثيرة:

١ - فتكون بمعنى كيف - كقوله تعالى: ﴿أَنَّى يُعْجِبَ هَٰذَا اللَّهَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (٤).

٢ - وتكون بمعنى من أين - كقوله تعالى: ﴿يَقْرَأُ أَنَّى لَكَ هَٰذَا﴾ (٥).

٣ - وتكون بمعنى متى - كقولك - زُرني أنى شئت.

وكم للاستفهام - ويُطلب بها تعيين عدد مُبهم كقوله تعالى: ﴿كَمْ لَيْسَتْ﴾ (٦).

وأى للاستفهام - ويُطلب بها تمييز أحد المُتشاركين في أمرٍ يَعْمُهَا كقوله تعالى:

﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ (٧) **ويسأل** بها عن الزمان والمكان والحال، والعدد، والعاقل؛ وغيره - على حسب ما تضاف إليه.

✂ وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي - فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به - لأغراض أخرى تُفهم من سياق الكلام ودلالته.

ومن أهم ذلك:

(١) أي فقد استعملت أيان مع يوم القيامة للتّهويل والتّفخيم بشأنه - وجواب عن السؤال ﴿يَوْمَ تَمُوتُ عَلَى النَّارِ يُقْتَلُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]، سورة القيامة: الآية ٦.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٢٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٤١.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

(٧) سورة مريم: الآية ٧٣.

(٦) سورة الكهف: الآية ١٩.

- ١ - الأمر: كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾^(١) أي انتهوا.
- ٢ - والنهي: كقوله تعالى: ﴿اتَّخِذُونَهُمْ^(٢) فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾^(٣).
- ٣ - والتسوية كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤).
- ٤ - والنفي: كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾^(٥).
- ٥ - والإنكار^(٦) كقوله تعالى: ﴿أَعَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾^(٧).
- ٦ - والتشويق: كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكُمْ عَلَىٰ بَحْرٍ لَّيْسَ بِيَمِينِكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٨).
- ٧ - والاستثناء: كقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَتُومِسُونَ﴾^(٩).
- ٨ - والتقرير^(١٠): كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ تَشْرَحُ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(١١).
- ٩ - والتوهيل: كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ١ مَا الْحَاقَّةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣﴾^(١٢).
- ١٠ - والاستبعاد: كقوله تعالى: ﴿إِنِّي لَمُمْ أَلَذَّكِرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾^(١٣) ونحو: أئنّى يكون لي مالٌ قارون.
- ١١ - والتعظيم: كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١٤).
- ١٢ - والتحقيق: نحو: أهذا الذي مدحته كثيراً.

(١) سورة المائدة: الآية ٩١. (٢) أي لا تخشونهم فإله أحق أن تخشوه

(٣) سورة التوبة: الآية ١٣. (٤) سورة البقرة: الآية ٦.

(٥) أي ما جزاء الإحسان إلا الإحسان، سورة الرحمن: الآية ٦٠.

(٦) اعلم أن الإنكار إذا وقع في الإثبات يجعله نفياً - كقوله تعالى: ﴿إِنِّي اللَّهُ شَكَّ﴾ [إبراهيم: ١٠]؟ أي لا شك فيه. وإذا وقع في النفي يجعله إثباتاً نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَحْذَرِكَ يَتِيمًا﴾ [الضحى: ٦] - أي قد وجدناك. وبيان ذلك أن إنكار الإثبات والنفي نفي لهما. ونفي الإثبات نفي - ونفي النفي إثبات. ثم الإنكار قد يكون للتكذيب نحو ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] - وقد يكون للتوبيخ واللوم على ما وقع نحو ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: ٩٥].

وهذه الآية من كلام إبراهيم عليه السلام لقومه حينما رآهم يعبدون الأصنام من الحجارة.

(٧) سورة الأنعام: الآية ٤٠. (٨) سورة الصف: الآية ١٠.

(٩) سورة طه: الآية ١٧.

(١٠) ويكون غالباً بالهمزة يليها المقرر به كقولك أفعلت هذا - إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه، وكقولك أنت فعلت هذا - إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل، وكقولك أخليلاً ضربت - إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه خليل ويكون التقرير أحياناً بغير الهمزة نحو: لمن هذا الكتاب، وكم لي عليك.

(١١) سورة الشرح: الآية ١. (١٢) سورة الحاقة: ١ - ٣.

(١٣) سورة الدخان: الآية ١٣. (١٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

- ١٣ - وَالْتَعْجِبْ: كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا هَذَا الرَّسُولُ يَا كُلُّ الطَّعَامِ وَيَتَمَنَّى فِي الْأَسْوَاقِ﴾^(١) - ونحو مَا بِأَلْكَ تَضِيْعُ الْوَقْتُ سُدَى.
- ١٤ - وَالْتَهَكُمُ: نحو: أَعْقَلُكَ يُسَوِّغُ لَكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا.
- ١٥ - وَالْوَعِيدُ: نحو: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾^(٢).
- ١٦ - وَالِاسْتِبْطَاءُ: كقوله تعالى: ﴿مَتَى نَعْرُ اللَّهَ﴾^(٣) ونحو: كم دعوتك.
- ١٧ - وَالْتَنْبِيهِ عَلَى الْخَطَا: كقوله تعالى: ﴿أَنْتَبِذْ لِرَبِّكَ الَّذِي هُوَ أَذَنٌ بِالْأَذَى هُوَ خَيْرٌ﴾^(٤).
- ١٨ - وَالْتَنْبِيهِ عَلَى الْبَاطِلِ: كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْشِئُ السَّاعَةِ أَوْ تَهْدِي السَّاعَةَ﴾^(٥).
- ١٩ - وَالْتَنْبِيهِ عَلَى ضَلَالِ الطَّرِيقِ: كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ تَذَهَبُونَ﴾^(٦).
- ٢٠ - وَالتَّكْثِيرُ: كقول أبي العلاء المعري:

[الخفيف]

صاح هذه قبورنا تملأ الرّحـ بَ فَايِن الْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادَ

تطبيق

ماذا يراد بالاستفهام فيما يلي:

[الوافر]

وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ

[المتقارب]

وَنَلْعَبُ وَالْمَوْتُ لَا يَلْعَبُ

[الطويل]

إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرُكَ يَهْدُمُ

[الكامل]

مِنْ بَعْدِ مَا عَرَفَ الْخَلَائِقُ شَانِي

١ - أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا

٢ - أُنْلَهُوْا وَيَأْمَنَّا تَذَهَبُ

٣ - مَتَى يَبْلُغُ الْبَنِيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ

٤ - فَعَلَامَ يَلْتَمَسُ الْعَدُوُّ مَسَاءَتِي

(٢) سورة الفجر: الآية ٦.

(٤) سورة البقرة: الآية ٦١.

(٦) سورة التكويز: الآية ٢٦.

(١) سورة الفرقان: الآية ٧.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٤.

(٥) سورة الزخرف: الآية ٤٠.

١ - التقرير لأن المقام للمدح وذلك أبلغ فيه.

٢ - النهي عن اللعب ويصح أن يكون للتهجم.

٣ - الإنكار وبيان أن ذلك لن يكون.

٤ - التعجب من عمل لا يجديه نفعاً.

- ٥ - وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى
[الطويل]
ورأيُ أمير المؤمنين جميل
٦ - وهل نافعي أن تُرفع الحُجب بيننا
[الطويل]
ودُونَ الذي أملتُ منك حِجاب
٧ - أضاعوني وأيُّ فتى أضاعوا
[الوافر]
ليوم كريهةٍ وسداد ثغر
٨ - ومن مثل كافور إذا الخيل أحجمت
[الطويل]
وكان قليلاً من يقول لها اقدمي
٩ - أفي الحق أن يُعطى ثلاثون شاعرا
[الطويل]
ويحرم ما دون الرضا شاعرٌ مثلي
١٠ - أعندي وقد مارسْتُ كلَّ خفيّةٍ
[الطويل]
يُصدّق واش أو يُخيّب سائل
١١ - فدع الوعيد فما وعيدك ضائري
[الطويل]
أطنينُ أجنحة الذباب يَضِيرُ
١٢ - ومن ذا الذي يُذلي بعذرٍ وحجّةٍ
[البسيط]
وسيف المنايا بين عينيه مُصلتُ
١٣ - إذا محاسنيّ اللَّاتي آتیه بها
[الوافر]
عُدَّتْ ذنوبًا فقل لي كيف أعتذر
١٤ - إلآمَ وفيَمَ تنقلنا ركابَ
ونأمل أن يكون لنا أوان

أسئلة على الاستفهام يطلب أجوبتها

ما هو الاستفهام؟ ما هي أدواته؟ ما الذي يُطلب بالهمزة؟ ما هو التصوُّر؟ ما هو التصديق؟ ما الفرق بين همزة التصور وهمزة التصديق وهل؟ ماذا يطلب بأدوات

-
- ٥ - النفي وذلك أوقع في المدح.
٦ - النفي وبيان أن ذلك ليس بمفيد.
٧ - التعظيم وإكبار شأنه.
٨ - التعظيم والتنويه بشجاعته.
٩ - الإنكار وبيان أن ذلك لا ينبغي أن يكون.
١٠ - الإنكار وبيان أن ذلك لا ينبغي أن يكون.
١١ - التهكم والتحقير.
١٢ - التعظيم وتهويل شأن ذلك الموقف.
١٣ - النفي.
١٤ - الاستبطاء.

الاستفهام غير الهمزة وهل؟ ما الذي يطلب بمن؟ ما الذي يطلب بما؟ ما الذي يطلب بمتى؟ ما الذي يطلب بكيف؟ ما الذي يطلب بكم؟ ما الذي يطلب بأيان؟ ما الذي يطلب بآنى؟ ما الذي يطلب بأي؟

ما هي المعاني التي تخرج إليها أدوات الاستفهام عن معانيها الأصلية.

المبحث الرابع

في التَّمَنِّي

التَّمَنِّي - هو طلبُ الشيء المحبوب الذي لا يُرجى حصوله.

١ - إِمَّا لكونه مستحيلًا - كقوله:

[الوافر]

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ
٢ - وإِمَّا لكونه ممكنًا غير مطموع في نياله كقوله تعالى: ﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوقِيَ قُتْرُونَ﴾^(١).

✳ وإذا كان الأمرُ المحبوبُ مِمَّا يُرْجَى حصوله كان طلبه تَرْجِيًا.
وَيُعْبَرُ فِيهِ «بَعْسَى، وَلَعَلَّ» كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهُ يُخْدِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(٢) و﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِالْفَتْحِ﴾^(٣).

وقد تُسْتَعْمَلُ فِي التَّرْجِي «لَيْتَ» لِفَرْضِ بِلَاغِيٍّ^(٤).

✳ وَلِلتَّمَنِّي أَرْبَعُ أَدَوَاتٍ - وَاحِدَةٌ أَصْلِيَّةٌ وَهِيَ «لَيْتَ».

وثَلَاثٌ غَيْرُ أَصْلِيَّةٍ نَائِبَةٌ عَنْهَا وَيُتِمَّنِي بِهَا لِفَرْضِ بِلَاغِيٍّ - وَهِيَ:

١ - هَلْ^(٥): كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾^(٦).

(١) سورة القصص: الآية ٧٩. (٢) سورة الطلاق: الآية ١.

(٣) سورة المائدة: الآية ٥٢.

(٤) الفرض هو إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بُعد نياله - نحو: [الطويل]

فيا ليت ما بيني وبين أحبتي من البعد ما بيني وبين المصائب
وقد تستعمل أيضًا للتندّم نحو «يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً».

(٥) اعلم أن سبب العدول عن ليت إلى «هل» إبراز التمني لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا يجوز بانتفائه وهو المستفهم عنه.

(٦) لما كان عدم الشفاء معلومًا لهم امتنع حقيقة الاستفهام وتولّد منه التمني المناسب للمقام، سورة الأعراف: الآية ٥٣.

٢ - ولو^(١): كقوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

٣ - ولعل^(٣): كقوله:

[الطويل]

أَسِرْبَ الْقَطَا هَلْ مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ لِعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ
✱ ولأجل استعمال هذه الأدوات في التَّمَنِّي يُنْصَبُ المضارع الواقع في جوابها.

تمرين

يُبَيِّنُ المعاني المُستفادَة من صِيغِ التَّمَنِّي فيما يأتي .
قال تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَيَّ خُرُوجٌ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(٤).

[البسيط]

عَلَّ اللَّيَالِي الَّتِي أَضْنَتْ بِفُرْقَتِنَا جِسْمِي سَتَجْمَعُنِي يَوْمًا وَتَجْمَعُهُ
لو يَأْتِنَا فَيُحْدِثُنَا - لِعَلِّي أَحْجُ فَازُورُكَ - يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا - هل إلى
مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ - ﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُورَيْشٌ﴾^(٥) - لِعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ - لو تَتْلُوا
الآيَاتِ فَتَشْقَى سَمْعِي .

[الرمل]

كَلَّ مِنْ فِي الْكَوْنِ يَشْكُو دَهْرُهُ لَيْتَ شِعْرِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَمِنْ

[الوافر]

فَلَيْتَ اللَّيْلِ فِيهِ كَانَ شَهْرًا وَمَرَّ نَهَارُهُ مَرَّ السَّحَابِ

[الوافر]

فَلَيْتَ هَوَى الْأَحِبَّةِ كَانَ عَذْلًا فَحَمَلَ كُلَّ قَلْبٍ مَا أَطَاقَا

(١) وسبب العدول إلى «لو» الدلالة على عزة متمناه وندرته حيث أبرزه في صورة الذي لا يوجد لأن «لو» تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط .

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٠٢ .

(٣) وذلك لبعد المرجو فكأنه مما لا يرجى حصوله، واعلم أن «هَلَّا» و«أَلَّا» و«لَوْ» و«لَوْ لَا» - مأخوذة من «هل ولو» بزيادة ما ولا عليهما - وأصل «أَلَّا هَلَّا» قلبت الهاء همزة ليتعين معنى التمني ويزول احتمال الاستفهام والشرط فيتولد من التمني معنى التنديم في الماضي نحو: هَلَّا قُمْتُ، ومعنى التحضيض في المستقبل نحو هَلَّا تَقِفْ وَلَا يُتَمَنَّى بهل ولو ولعل إلا في المقطوع بعدم وقوعه لئلا تحمل على معانيها الأصلية .

(٥) سورة القصص: ٧٩ .

(٤) سورة غافر: الآية ١١ .

المبحث الخامس

في النداء

النداء: هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب «أنادي» المنقول من الخبر إلى الإنشاء، وأدواته ثمانية:

الهمزة. وأي. ويا. وآ. وآي. وآيا. وهيا. ووا^(١).

❖ وهي في الاستعمال نوعان:

١ - الهمزة وأي - لنداء القريب.

٢ - وباقي الأدوات لنداء البعيد.

وقد يُنزلُ البعيد منزلة القريب - فينادي بالهمزة وأي. إشارة إلى أنه لشدة استحضاره في ذهن المتكلم صار كالحاضر معه لا يغيب عن القلب وكأنه ماثلاً أمام العين - كقول الشاعر:

[الطويل]

أُسْكَانَ نَعْمَانِ الْأَرَاكِ تَيْقَنَّا بأنكم في ربع قلبي سَكَّانَ

وقد يُنزلُ القريب منزلة البعيد - فينادي بغير «الهمزة وأي».

أ - إشارة إلى علو مرتبته. فيجعل بُعدُ المنزل كأنه بُعد في المكان، كقولك «أيا مولاي» وأنت معه للدلالة على أن المُنَادَى عظيمُ القدر رفيعُ الشأن.

ب - أو إشارة إلى انحطاط منزلته ودرجته - كقولك «أيا هذا» لمن هو معك.

ج - أو إشارة إلى أن السامع لغفلته وشرود ذهنه كأنه غير حاضر كقولك للسَّاهِي - أيا فلان - وكقول البارودي:

[البسيط]

يَأْيُهَا السَّادِرُ الْمُزَوَّرُ مِنْ صَلَفٍ مَهْلًا فَإِنَّكَ بِالْأَيَّامِ مُنْحَدِعٌ^(٢)

❖ وقد تخرج ألفاظ النداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تفهم من السياق بمعونة القرائن - ومن أهم ذلك:

١ - الإغراء: نحو قولك لمن أقبل يتظلم: يا مظلوم.

(١) اعلم أن لفظ الجلالة يختص نداؤه بياء.

(٢) السادر الزاهب عن الشيء ترفعا عنه، والذي لا يبالي ولا يهتم بما صنع، المزور: المنحرف. والصلف: الكبير.

٢ - والاستغاثه : نحو : يَا لَهِ لِلْمُؤْمِنِينَ .

٣ - والتُدْبَة : نحو :

[الطويل]

فَوَا عَجَبًا كَمْ يَدَّعِي الْفَضْلَ نَاقِصٌ وَوَا أَسْفَا كَمْ يُظْهِرُ النَّقْصَ فَاضِلٌ
٤ - والتَّعَجُّب : كقوله :

[الرجز]

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَغْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْ فَبِضْيٍ وَاصْفَرِي
٥ - والزُّجْر - كقوله :

[الرجز]

أَفْؤَادِي مَتَى الْمَتَابُ أَلَمَّا تَضَحُّ وَالشَّيْبُ فَزَقَ رَأْسِي أَلَمَّا
٦ - والتَّحْسُرُ والتَّوَجُّعُ كقوله تعالى : ﴿يَلْتَمِئَنِي كُتٌّ تَرْبًا﴾^(١) وكقول الشاعر :

[الطويل]

أَيَا قَبَرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُتْرَعَا
٧ - والتَّذَكُّر : كقوله :

[الطويل]

أَيَا مَنْزِلَنِي سَلَمَى سَلَامٌ عَلَيْكُمَا هَلِ الْأَزْمَنُ اللَّاتِي مَضَيْنَ رَوَاجُعُ
٨ - والتَّحْيِيرُ والتَّضْجِيرُ - نحو قوله :

[البسيط]

أَيَا مَنَازِلَ سَلَمَى أَيْنَ سَلَمَاكِ مِنْ أَجْلِ هَذَا بَكِينَاهَا بَكِينَاكِ
ويكثر هذا في نداء الأطلال والمطايا ونحوها .

٩ - والاختصاص^(٢) : وهو ذكر اسم ظاهر بعد ضمير لبيانه . نحو قوله تعالى :
﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّكُمْ حِمْدٌ نَجِيدٌ﴾^(٣) .

ونحو : نحن العلماء ورثة الأنبياء - ويكون الاختصاص :

أ - إِمَّا لِلتَّفَاخُر : نحو : أَنَا أَكْرَمُ الضَّيْفِ أَيُّهَا الرَّجُلُ .

ب - وإِمَّا لِلتَّوَاضِع : نحو : أَنَا الْفَقِيرُ الْمَسْكِينُ أَيُّهَا الرَّجُلُ .

(١) سورة النبأ : الآية ٤٠ .

(٢) بيان ذلك أن النداء تخصيص المنادى بطلب إقباله عليك - فجرد عن طلب الإقبال واستعمل في

تخصيص مدلوله من بين أمثاله بما نسب إليه منها .

(٣) سورة هود : الآية ٧٣ .

ونحو: اللهم اغفر لنا أيتها العصابة^(١).

تمرين

يُبين المعاني الحقيقيَّة المستفادة من صيغ النداء - والمعاني المجازيَّة المستفادة من القرائن:

صاحِ شَمَّرَ ولا تَزَلْ ذَاكِراً المَو	[الطويل]
يا لِقَوْمِي وَيَا لَأَمْثَالِ قَوْمِي	[البسيط]
يَا لِلرَّجَالِ ذَوِي الْأَبَابِ مِنْ نَفَرٍ	[البسيط]
أَيُّهَا الْقَلْبُ قَدْ قَضَيْتَ مَرَامًا	[الخفيف]
أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكَ مُورَقًا	[الطويل]
يَا أَيُّهَا الظَّالِمِ فِي فَعْلِهِ	[السريع]
أَرِيحَانَةُ الْعَيْنِينَ وَالْأَنْفِ وَالْحِشَا	[الطويل]
يَا نَاقُ سِيرِي عَنَقًا فسيحًا	[الرجز]
حَجَبُوهُ عَنِ الرِّيَّاحِ لِأَنِّي	[الخفيف]
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ صَبِيًّا مُرْضِعًا	[الرجز]
يَا لَيْلَةً لَسْتُ أَنْسَى طَيِّبَهَا أَبَدًا	[البسيط]
يَا لَيْلَةً كَالْمَسْكَ مَخْبُورَهَا	[أحد الكامل]
أَحْيَيْنَهَا وَالْبَدْرُ يَخْدُمُنِي	
تِ فَنَسِيَانُهُ ضَلَالٌ مُبِين	
لَأَنَاسٍ عُثُوهُمْ فِي أَزْدِيَادٍ	
لَا يَبْرَحُ السَّفَهُ الْمُرْدِي لَهُمْ دِينًا	
فإِلَامَ الْوَلُوعِ بِالشَّهَوَاتِ	
كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ	
الظُّلَمِ مَرْدُودٌ عَلَى مَنْ ظَلَمَ	
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَتْ مِنْ بَعْدِي	
إِلَى سُلَيْمَانَ فَتَسْتَرِيحًا	
قُلْتُ يَا رِيحُ بَلِّغِيهِ السَّلَامَا	
تَحْمِلْنِي الذَّلْفَاءَ حَوْلًا أَكْتَعَا	
كَأَنَّ كُلَّ سُرُورٍ حَاضِرٌ فِيهَا	
وَكَذَاكَ فِي التَّشْبِيهِ مِنْظَرُهَا	
وَالشَّمْسُ أَنْهَاهَا وَأَمْرُهَا	

(١) أي اللهم اغفر لنا مخصوصين من بين العصائب، فصورته صورة النداء وليس به - إذا لم يرد به إلا ما دل عليه ضمير المتكلم السابق. ولذا لا يجوز إظهار حرف النداء فيه.

[أخذ الكامل]

يا من تذكّرني شمائله ريح الشّمال تنفّست سحرا
وإذا امتطى قلّم أنامله سحر العقول به وما سحرا

[الكامل]

يا قلب ويحك ما سمعت لنا صح لَمّا ارتميت ولا اتّقيت ملاما

[البسيط]

يا أعدل الناس إلّا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

تنبيهات

الأول: يُوضع الخبر موضع الإنشاء لأغراض كثيرة - أهمها:

١ - التّفاؤل: نحو: هداك الله لصالح الأعمال.

(كأن الهداية حصلت بالفعل) فأخبر عنها، ونحو: وفقك الله.

٢ - والاحتراز عن صورة الأمر تأدّباً واحتراماً نحو: رحم الله فلاناً، ونحو: ينظر مولاي في أمري ويقضي حاجتي.

٣ - والتنبيه على تيسر المطلوب لقوة الأسباب.

كقول الأمير لجنده «تأخذون بنواصيهم وتزولونهم من صياصيهم».

٤ - والمبالغة في الطلب للتنبيه على سرعة الامثال.

نحو: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾^(١).

لم يقل لا تسفكوا قصداً للمبالغة في التّهي حتى كأنهم نهوا فامتثلوا ثم أخبر عنهم بالامثال.

٥ - إظهار الرّغبة - نحو قولك في غائب: رزقني الله لقاءً.

الثاني: يُوضع الإنشاء موضع الخبر لأغراض كثيرة:

أ - منها إظهار العناية بالشّيء والاهتمام بشأنه - كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٢).

لم يقل وإقامة وجوهكم إشعاراً بالعناية بأمر الصلاة، لعظيم خطريها، وجليل قدرها في الدّين.

ب - ومنها التحاشي والاحتراز عن مساواة اللاحق بالسّابق، كقوله تعالى: ﴿قَالَ

إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِّنْ دُونِهِ ﴿٥٥﴾ لَمْ يَقُلْ وَأُشْهِدْكُمْ تَحَاشِيًا وَفَرَارًا مِّنْ مُّساوَاةٍ شَهَادَتِهِمْ بِشَهَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

الثالث: الإنشاء كالخبر في كثير مما ذكر فيه، ومما سيذكر في الأبواب التالية - من الذكر والحذف وغيرهما إن شاء الله تعالى .

تطبيق (١)

يَبَيِّنُ الْمَعَانِي الْمُسْتَفَادَةَ مِنَ النَّدَاءِ، وَسَبَبَ اسْتِعْمَالِ أَدَاةٍ دُونَ غَيْرِهَا فِيمَا يَلِي:

- [البسيط]
- ١ - أَيَا مَنَازِلَ سَلَمَى أَيْنَ سَلَمَاكِ مِنْ أَجْلِ هَذَا بَكَيْنَاهَا بِكَيْنَاكِ^(٢)
- [الخفيف]
- ٢ - صَادِحَ الشَّرْقِ قَدْ سَكَّتْ طَوِيلًا وَعَزِيزٌ عَلَيْنَا أَلَّا تَقُولَا^(٣)
- [الطويل]
- ٣ - أَيَا قَبْرِ مَعْنِ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مَتَرَعًا^(٤)
- [البسيط]
- ٤ - يَا دُرَّةُ نَزَعَتْ مِنْ تَاجٍ وَالدَّهَى فَأَصْبَحْتَ حَلِيَّةً فِي تَاجِ رِضْوَانٍ
- [الطويل]
- ٥ - فَيَا لَائِمِّي دَعْنِي أَغَالِي بِقِيَمَتِي فَقِيْمَةُ كُلِّ النَّاسِ مَا يُحَسِّنُونَهُ

(١) سورة هود: الآية ٥٤ .

(٢) يريد لعدم وجود سلمى بكيناها وبكينا المنازل - فواو العطف محذوفة .

(٣) صدح الرجل رفع صوته بالغناء .

(٤) المترع أي المملوء .

الرقم	الأداة	المعنى المستفاد	سبب إظهار الأداة
١ -	أيا	التضجر والتحير مما	تنزيل المنازل المخاطبة منزلة البعيد لعظم شأنها لديه
٢ -	يا	التضجر والتحير مما	كون المنادى بعيد المرتبة حقيقة
٣ -	أيا	التحسر	تنزيل المخاطب منزلة البعيد إشعارًا برفعة شأنه
٤ -	يا	التحسر	تنزيل المنادى منزلة البعيد تنويعها بعظم الأمر ورفعة القدر
٥ -	يا	الطلب	للإشارة إلى أن المخاطب منحط الدرجة

تطبيق (ب)

الاعتبار الداعي لوضع كل من الخبر والإنشاء موضع الآخر.

قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْ رُبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١).

٢ - قال تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾^(٢).

[الطويل]

٣ - أتاني معن أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصب^(٣)

[البسيط]

٤ - إذا فعاقبني ربّي مُعاقبة قرّت بها عين من يأتيك بالحسد

تدريب

يُن فيما يلي الغرض من وضع الإنشاء موضع الخبر وبالعكس:

[السرّيع]

١ - كلّ خليل كنتُ خالته لا ترك اللّه له واضحه

٢ - قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ أَزْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ بِحَبْرٍهَا﴾^(٤).

٣ - قولك لصديقك: رزقني اللّه لقاءك.

[الطويل]

٤ - ولائمة لأمّتك يا فضل في الندى فقلت لها هل أثر اللوم في البحر

أتنهين فضلاً عن عطاياه للورى ومن ذا الذي ينهى الغمام عن القطر

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

(٢) سورة آل عمران: ٩٧.

(٣) آيت اللعن. كانت تحية الملوك ومعناها آيت أن تفعل شيئاً تلعن به أهتم أي أصير ذا هم. أنصب أي أتعب.

(٤) سورة هود: الآية ٤١.

الرقم	نوع الكلام	البيان	الاعتبار
١ -	الإنشاء	إذ التقدير أحسنوا بالوالدين والمقام للإخبار	الاهتمام وإظهار العناية
٢ -	الخبر	إذ المعنى ليأمن من دخله	إظهار الحرص على وقوعه
٣ -	الخبر	المقام للإنشاء إذ الغرض الدعاء له	التفاؤل بالدعاء
٤ -	الخبر	المقام للطلب	لإظهار الحرص على وقوعه

أسئلة يطلب أجوبتها

- ١ - عَرَفَ التَّمَنِي وَاذْكُرَ أَلْفَاظَهُ .
- ٢ - بَيَّنَ الْفَرْقَ بَيْنَ التَّمَنِي وَالتَّرَجِي . وَاذْكُرَ أَلْفَاظَ ثَانِيهِمَا .
- ٣ - بَيَّنَ النَّدَاءَ وَاذْكُرَ أَدَوَاتَهُ . وَقَسِّمَهَا مِنْ حَيْثُ الِاسْتِعْمَالُ .
- ٤ - مَتَى يُنْزَلُ الْقَرِيبُ مَنْزِلَةَ الْبَعِيدِ وَبِالْعَكْسِ .
- ٥ - بَيَّنَ الْمَعْنَى الْمَجَازِيَّةَ الَّتِي تُسْتَفَادُ مِنْ أَلْفَاظِ النَّدَاءِ .
- ٦ - بَيَّنَ الْأَغْرَاضَ الدَّاعِيَةَ لِإِيْثَارِ الْخَبَرِ فِي مَقَامِ الْإِنْشَاءِ .
- ٧ - لِمَ يُوَضَّعُ الْإِنْشَاءُ مَوْضِعَ الْخَبَرِ؟

تطبيق عام على الباب الثاني

[الطويل]

أَنَا الذَّائِدُ الْحَامِي الذَّمَّارُ وَإِنَّمَا يُدَافَعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي
الجملة الأولى: خبرية اسمية من الضرب الابتدائي. والمراد به الفخر وإظهار
الشجاعة - المسند إليه أنا. والمسند الذائد. والجملة الثانية خبرية فعلية من الضرب
الثالث لما فيها من التوكيد بإنما. والمراد بها الفخر وإظهار الشجاعة أيضًا. المسند
يدافع. والمسند إليه أنا.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْغَيْبِ﴾^(١) جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث - والمراد بها
التوبيخ - المسند إليه ربّ والمسند ظلام.

أنت خرجت عن حدّك: جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث - والمراد بها
التوبيخ - المسند إليه أنت. والمسند جملة خرجت.

﴿رَبِّ إِنَّا قَوْمٌ كَاذِبُونَ﴾^(٢): جملة ربّ إنشائية ندائية. والمراد بها الدعاء. المسند
والمسند إليه محذوفان نابت عنهما ياء النداء المحذوفة - وجملة إن قومي كاذبون.
خبرية اسمية من الضرب الثالث. المراد بها إظهار التحسر. المسند إليه قومي.
والمسند جملة كاذبون.

زارنا الغيث: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. المراد بها إظهار الفرح -
المسند إليه الغيث. والمسند زاد. وأتى بها فعلية لإفادة الحدوث في الزمن الماضي
مع الاختصار.

(١) سورة فصلت: الآية ٤٦.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١١٧.

ذهب عنا الحزن: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. والمراد بها إظهار الشماتة بمدير - المسند ذهب. والمسند إليه الحزن - وأتى بها فعلية لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار.

قابلت الأمير: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. والمراد بها إظهار السرور. المسند قابل. والمسند إليه التاء.

أنا ممثّل لأمرّك: جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي والمراد بها إظهار التواضع - المسند إليه أنا. والمسند ممثّل. وأتى بها اسمية من الضرب الثالث، والمراد بها التوبيخ للناس. المسند إليه لفظ الجلالة. والمسند جملة لا يظلم وأتى بالمسند جملة لتقوية الحكم بتكرار الإسناد - والجملة الإسمية مفيدة للاستمرار الآن بقرينة الإسناد إلى الله تعالى.

ما جاءنا من أحد: جملة خبرية فعلية من الضرب الثالث. والمراد بها فائدة الخبر. المسند جاء، والمسند إليه أحد، وأتى بها فعلية لما تقدم.

أنت نجحت: جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد. والمراد بها لازم الفائدة. المسند إليه أنت. والمسند جملة نجحت.

حضر الأمير: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. والمراد بها أصل الفائدة - المسند حضر. والمسند إليه الأمير.

سيحرم المقصر: خبرية فعلية من الضرب الابتدائي - والمراد بها الذم. المسند سيحرم. والمسند إليه المقصر. وهي تفيد الاستمرار التجديدي بقرينة الذم.

ما برح المقصر نادماً: جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي - والمراد بها الذم، المسند إليه المقصر. والمسند نادماً. وهي مفيدة للاستمرار بقرينة ما برح.

كلما جئتني أكرمتك - جملة أكرمتك خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. وهي الجملة، وما قبلها قيد لها، لأن الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها، المسند أكرم، والمسند إليه التاء، وهي مفيدة للاستمرار التجديدي بقرينة كلما.

ما مجتهد صاحبك: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، ولا يقال اسمية لأن الاسم حل محل الفعل - ولذلك رفع ما بعده على أنه فاعله، والمراد بها الاستمرار بقرينة الذم، المسند مجتهد. والمسند إليه صاحبك، وقس عليها نحو ما مبغوض أنت - وما حسن فعل أعدائك، وأقائم أخواك، وهل منصف أصحابك.

كلما ذاكر المجتهد استفاد - جملة استفاد فعلية خبرية من الضرب الابتدائي المسند استفاد، والمسند إليه هو، وهي مفيدة للاستمرار التجديدي بقرينة كلما.

الشمس طالعة: للعائر - جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي.

المسند إليه الشمس: والمسند طالعة. والمراد بها التوبيخ.

الكريم محبوب - جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، المسند إليه الكريم.

والمسند محبوب، والمراد بها الاستمرار بقرينة المدح.

من يسافر: جملة إنشائية استفهامية. المسند إليه من. والمسند جملة يسافر التفتوا - جملة إنشائية أمرية. المسند التفت والمسند إليه الواو.

لا تتركوا المذاكرة: جملة إنشائية نهية. المسند تترك والمسند إليه الواو.

ليت البخيل وجود: جملة إنشائية تمنية اسمية. المسند إليه البخيل. والمسند جملة وجود.

هل فهمتم - جملة إنشائية استفهامية. المسند فهم. والمسند إليه التاء.

يا تلاميذ - جملة إنشائية ندائية. المسند والمسند إليه محذوفان تقديرهما أدعو نابت عنها يا.

الباب الثالث

في أحوال المُسند إليه

المُسندُ إليه هو المبتدأ الذي له خبر، والفاعل ونائبه وأسماء النواسخ وأحواله هي الذكر، والحذف، والتعريف، والتثنية، والتقديم، والتأخير وغيرها. وفي هذا الباب عدة مباحث.

المبحث الأول

في ذكر المسند إليه

كل لفظ يدل على معنى في الكلام خليق بالذكر لتأدية المعنى المراد به فلهذا يُذكر المُسند إليه وجوباً. حيث لا قرينة تدل عليه عند حذفه. وإلا كان الكلام معتمداً مُبهماً لا يستبين المراد منه. وقد يُعتمد إلى الذكر مع وجود قرينة تُمكن من الحذف. وذلك لأغراض بلاغية كثيرة^(١) منها:

١ - زيادة التقرير والإيضاح للسامع - كقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ عَلَىٰ هٰذِهِ مِّن رَّبِّهِمْ وَأَوَلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢) وكقول الشاعر:

[الطويل]

هو الشَّمس في العَلْيَا هو الدَّهر في السَّطَا هو البدرُ في النَّادي هو البحرُ في النَّدى

٢ - قلة الثقة بالقرينة لضعفها، أو ضعف فهم السامع.

نحو: سعدٌ نِعَم الرَّعِيم: تقول ذلك إذا سبق ذلك ذكر سعدٍ، وطال عهد السامع

(١) بيان ذلك أنه لم يكن في الكلام قرينة تدل على ما يراد حذفه، أو وجدت قرينة ولم يكن هناك غرض يدعو إلى الحذف فلا بد من الذكر جرياً على الأصل، وقد تدعو الظروف والمناسبات إلى ترجيح الذكر مع وجود قرينة تمكّن من الحذف وذلك لأغراض مختلفة كالمذكورة هنا.

(٢) الشاهد في أولئك هم المفلحون حيث كرر اسم الإشارة المسند إليه للتقرير والإيضاح تنبيهاً على أنهم كما بُتت لهم الأثرة والميزة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح أيضاً، سورة البقرة: الآية ٥.

به، أو ذكر معه كلام في شأن غيره.

٣ - الرّد على المُخاطب نحو: الله واحد، ردًا على من قال: اللَّهُ ثَلَاثَةٌ.

٤ - التلذُّذ. نحو الله ربِّي، الله حسيبي.

٥ - التعويضُ بعبارة السامع نحو سعيدٌ قال كذا، في جواب ماذا قال سعيد.

٦ - التسجيل على السامع^(١)، حتّى لا يتأتّى له الإنكار - كما إذا قال الحاكم لشاهد - هل أقرّ زيد هذا بأنّ عليه كذا؟ فيقول الشاهد نعم، زيد هذا أقرّ بأنّ عليه كذا^(٢).

٧ - التعجب - إذا كان الحكم غريبًا - نحو عليّ يقاوم الأسد؟.

٨ - التعظيم - نحو: حضر سيف الدولة. في جواب من قال: هل حضر الأمير؟

٩ - الإهانة - نحو: السارق قادم. في جواب من قال: هل حضر السارق!

المبحث الثاني

في حذف المُسند إليه

الحذف خلاف الأصل وهو قسمان:

- أ - قسم يظهر فيه المحذوف عند الإعراب - كقولهم: أهلاً وسهلاً.
فإنّ نصبهما يدلّ على ناصب محذوف يقدر بنحو جئت أهلاً - ونزلت مكاناً سهلاً -
وليس هذا القسم من البلاغة في شيء.
- ب - وقسم لا يظهر فيه المحذوف بالإعراب - وإنما تعلم مكانه إذا أنت تصفّحت
المعنى ووجدته لا يتمّ إلا بمراعاته. نحو يُعطي ويمنع - أي يعطي ما يشاء ويمنع ما
يشاء - ولكن لا سبيل إلى إظهار ذلك المحذوف، ولو أنت أظهرته زالت البهجة وضاع
ذلك الرونق^(٣).

(١) أي كتابة الحكم عليه بين يدي الحاكم.

(٢) فيذكر المسند إليه ثلثا يجد المشهود عليه سبيلاً للإنكار بأن يقول للمحكم عند التسجيل إنما فهم
الشاهد أنك أشرت إلى غيري - فأجاب: ولذلك لم أنكر ولم أطلب الأعذار فيه.

(٣) وفي هذا القسم تظهر دقائق البلاغة ومكنون سرها ورائع أساليبها. ولهذا يقول الإمام عبد القاهر
الجرجاني في باب الحذف: إنه باب دقيق المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه
بالسحر، فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدر
أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأنتم ما تكون بياناً إذا لم تُبين، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر،
وتدفعها حتى تنظر والأصل في المحذوفات على اختلاف ضروبيها أن يكون في الكلام ما يدلّ
عليها وإلا كان الحذف تعمية وألغازاً لا يصار إليه بحال - ومن شرط حسن الحذف أنه متى ظهر =

ومن دواعي الحذف إذا دلَّت عليه قرينة وتعلَّق بتركه غرض من الأغراض الآتية:

١ - ظهوره بدلالة القرائن عليه - نحو: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾^(١) «أي أنا عجوز».

٢ - إخفاء الأمر من غير المخاطب - نحو: أقبَلْ «تريد عليًا مثلاً».

٣ - تيسر الإنكار عند الحاجة - نحو: لثيم خسيس - بعد ذكر شخص.

٤ - الحذر من فوات فرصة سانحة - كقول مُنَبِّهِ الصَّيَاد: غزال «أي هذا غزال».

٥ - اختبار تنبيه السامع - أو مقدار تنبيهه - نحو: نوره مستفاد من نور الشمس - أو هو واسطة عقد الكواكب «أي القمر» في كل من المثالين.

٦ - ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب تضجّر وتوجّع - كقوله:

[الخفيف]

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلٌ سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ^(٢)

٧ - المحافظة على السجع - نحو:

مَنْ طَابَتْ سَرِيرَتُهُ، حُمِدَتْ سِيرَتُهُ^(٣).

٨ - المحافظة على قافية - كقوله:

[الطويل]

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعٌ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ^(٤)

٩ - المحافظة على وزن - كقوله:

[الطويل]

عَلَى أَنِّي رَاضٍ بِأَنْ أَحْمَلَ الْهَوَى وَأَخْلَصَ مِنْهُ لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا^(٥)

١٠ - كون المسند إليه معينًا معلومًا «حقيقة» نحو ﴿عَلَيْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(٦) «أي

المحذوف زال ما كان في الكلام من البهجة والطلاوة، وصار إلى شيء غث لا تناسب بينه وبين ما كان عليه أولًا.

(١) سورة الذاريات: الآية ٢٩.

(٢) أي لم يقل أنا عليل لضيق المقام بسبب الضجر الحاصل له من الضنى.

(٣) أي لم يقل حمد الناس سيرته للمحافظة على السجع المستلزم رفع الثانية.

(٤) فلو قيل أن يرّد الناس الودائع لاختلّت القافية لصيرورتها مرفوعة في الأول منصوبة في الثاني.

(٥) أي لا علي شيء ولا لي شيء.

(٦) سورة المؤمنون: الآية ٩٢، سورة الرعد: الآية ٩، سورة الأنعام: الآية ٧٣، سورة التوبة:

الله» - أو «ادّعاء» نحو وَهَابُ الْأَلُوفِ «أي فلان».

١١ - إِتِّبَاعُ الاستعمال الوارد على تركه^(١) - نحو رَمِيَّةٌ من غير رامٍ «أي هذه رمية» ونحو - نَعَمَ الزَّعِيمُ سَعْدٌ: أي سعدٌ.

١٢ - الخوف منه أو عليه - نحو ضَرَبَ سعيد.

١٣ - تَكثِيرُ الفائدة - نحو ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾^(٢) «أي فأمرى صبرٌ جميل».

١٤ - تَعَيُّنُهُ بالعهدية - نحو ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾^(٣) أي السفينة ونحو «حتى توارت بالحجاب» أي الشمس.

تدريب

يَبَيِّنْ أسباب ذكر وحذف المسند إليه في الأمثلة الآتية.

﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾^(٤) الرَّئِيسُ كُلَّمَنِي فِي أَمْرِكَ وَالرَّئِيسُ أَمْرُنِي بِمَقَابِلَتِكَ،^(٥) الْأَمِيرُ نَشَرَ الْمَعَارِفَ وَأَمَّنَ الْمَخَافَ^(٦) - مُحْتَالٌ مُرَاوِعٌ،^(٧) مُنْضِجَةُ لِلزَّرْعِ، مُصْلِحَةُ لِلهَوَاءِ^(٨).

[الوافر]

فَعَبَّاسٌ يَضُدُّ الْخَطْبَ عَنَّا وَعَبَّاسٌ يَجِيرُ مَنْ اسْتَجَارَا
﴿خَلَقَ مِثْلَ﴾^(٩)، مَقَرَّرٌ لِلشَّرَائِعِ مُوَضَّحٌ لِلدَّلَائِلِ، ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١٠).

[الطويل]

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ وَالنَّوَادِي
[عجزوء الكامل]
أَنَا فَارِسٌ أَنَا شَاعِرٌ فِي كُلِّ مَلْحَمَةٍ وَنَادِي

(١) وكذا أيضًا الوارد على ترك نظائره مثل الرفع على المدح نحو: مررت بزيد الهمام - وعلى الذم نحو رأيت بكرًا اللئيم - وعلى الترحم مثل: ترفق بخالد المسكين.

(٢) سورة يوسف: الآيتان، ١٨، ٨٣.

(٣) قيل الجودي هو الجبل الذي وقفت عليه سفينة نوح وهي معهودة في الكلام السابق في قوله واصنع الفلك بأعيننا الخ، سورة هود: الآية ٤٤.

(٤) سورة الجن: الآية ١٠. (٥) تخاطب غيًّا.

(٦) جوابًا لمن سأل ما فعل الأمير؟. (٧) بعد ذكر إنسان.

(٨) تعني الشمس. (٩) سورة الأعلى: الآية ٢.

(١٠) أي لو شاء هدايتكم، سورة النحل: الآية ٩.

[الكامل]

إِنْ حَلَّ فِي رُومٍ فَفِيهَا قَيْصَرٌ أَوْ حَلَّ فِي غَرْبٍ فَفِيهَا تَبَعٌ

تطبيق

وَضَحَّ دَوَاعِي الحذف فِي التراكيب الآتية:

[الطويل]

أَحْكَمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ مَلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا مَدَحْتُهُمْ

[الطويل]

أَمَاتَ وَأَخِيَا وَالَّذِي أَمْرُهُ أَمْرٌ أَمَا وَالَّذِي أَبْكِي وَأَضْحَكَ وَالَّذِي

[الوافر]

قَلَمًا شَأَى الْخُطَبَاءَ وَالْكِتَابَا^(١) ١ - لَسِنْ إِذَا صَعِدَ الْمَنَابِرُ أَوْ نَضَا

[الوافر]

شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمُدَامِ ٢ - عَلِيلُ الْجِسْمِ مُمْتَنِعُ الْقِيَامِ

[الطويل]

مَنَايَا بَكَفَ اللَّهُ حَيْثُ تَرَاهَا^(٢) ٣ - أَحْجَاؤُ لَا يَفْلَلُ سَلَاخَكَ إِنَّمَا أَلْ

[الطويل]

وَلَيْسَ لِمَا فِي بَيْتِهِ بِمُضْهِجٍ ٤ - حَرِيصٌ عَلَى الدُّنْيَا مُضْهِجٌ لِدِينِهِ

[الطويل]

فَأَكْرَمْتُ نَفْسِي أَنْ يُقَالَ بِخَيْلٍ ٥ - وَإِنِّي رَأَيْتُ الْبُخْلَ يُزْرِئُ بِأَهْلِهِ

[الكامل]

كَرَمًا وَلَمْ تَهْدَمْ مَائِرَ خَالِدٍ ٦ - لَوْ شِئْتَ لَمْ تُفْسِدْ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ

[الكامل]

فَلَقَدْ تَضَرُّ إِذَا تَشَاءُ وَتَنْفَعُ^(٣) ٧ - بَرْدُ حَشَايَ إِنْ اسْتَطَعْتَ بِلَفْظَةٍ

(٢) فلول السيف كسور في حده.

(١) نضا بمعنى جَرَّ - شَأَى: سبق.

(٣) الحشا، ما انطوت عليه الضلوع.

الرقم	المحذوف	السبب
١ -	المسند إليه	ادعاء العلم به في مقام المدح
٢ -	المسند إليه	ضيق المقام من التوجع
٣ -	المسند إليه	العلم به
٤ -	المسند إليه	ادعاء العلم به في مقام الذم
٥ -	المسند إليه	العلم به
٦ -	المفعول	البيان بعد الإبهام
٧ -	المفعول	عدم تعلق الغرض به بتنزيل المتعدي منزلة اللازم

[الطويل]

٨ - نجومٌ سماءٍ كلما غَارَ كَوَكَبٌ بَدَا كَوَكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ الْكَوَاكِبُ^(١)

[الوافر]

وقد عَلِمَ القِبَائِلَ من مَعَدٍّ إذا قَبُبْ بأبطحها بنينا
بَأَنَّا الْمُطْعَمُونَ إذا قَدَرْنَا وَأَنَا الْمُهْلِكُونَ إذا ابْثُلْنَا
وَأَنَا الْمَانِعُونَ لما أَرَدْنَا وَأَنَا النَّازِلُونَ بحِثُّ شِينَا
وَأَنَا التَّارِكُونَ إذا سَخَطْنَا وَأَنَا الْآخِذُونَ إذا رَضِينَا

أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر -
خَلِّقْ لما يشاء - الحمد لله الحميد - لا تخاطب السفبه اللئيم وأحسن إلى الفقير
المسكين.

المبحث الثالث

في تعريف المسند إليه

اعلم أَنَّ حَقَّ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مَعْرِفَةً؛ لِأَنَّ الْمَحْكُومَ عَلَيْهِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
مَعْلُومًا لِيَكُونَ الْحُكْمُ مُفِيدًا.

وتعريفه^(٢) إمَّا بِالْإِضْمَارِ، وَإِمَّا بِالْعَلَمِيَّةِ، وَإِمَّا بِالْإِشَارَةِ، وَإِمَّا بِالْمَوْصُولِيَةِ وَإِمَّا
بِالْأَلِ، وَإِمَّا بِالْإِضَافَةِ، وَإِمَّا بِالنَّدَاءِ.

(١) أي هؤلاء نجوم.

(٢) اعلم أن كلا من المعرفة والنكرة يدل على معين وإلا امتنع الفهم - إلا أن الفرق بينهما أن النكرة
يفهم منها ذات المعين فقط ولا يفهم منها كونها معلومًا للسامع وأن المعرفة يفهم منها ذات المعين
وفيهما كونها معلومًا للسامع لدلالة اللفظ على التعيين، والتعيين فيها إما بنفس اللفظ من غير
احتياج إلى قرينة خارجية كما في الْعَلَمِ وإما بقرينة تكلم أو خطاب أو غيبة كما في الضمائر، وإما
بقرينة إشارة حسية كما في الإشارة - وإما بنسبة معهودة كما في الأسماء الموصولة وإما بحرف وهو
المعروف بال والنداء. وإما بإضافة معنوية وهو المضاف إلى واحد مما ذكر ما عدا المنادى.

* واعلم أنه قدم ذكر الإضمار لأنه أعرف المعارف - وأصل الخطاب أن يكون لمعين وقد يستعمل
أحيانًا دون أن يقصد به مخاطب معين كقول المتنبي: [الطويل]

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

السبب

ادعاء تعيينه في مقام المدح

المحذوف

المسند إليه

الرقم

٨

المبحث الرابع

في تعريف المسند إليه بالإضمار

يُؤْتَى بالمسند إليه ضميراً لأغراض:

١ - لكون الحديث في مقام «التكلم» كقوله عليه الصلاة والسلام: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب».

٢ - أو لكون الحديث في مقام (الخطاب) كقول الشاعر:

[الطويل]

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
٣ - أو لكون الحديث في مقام «الغيبة» نحو: هو الله تبارك وتعالى ولا بد من تقدم

ذكره:

أ - إِمَّا لَفْظًا - كقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(١).

ب - وَإِمَّا مَعْنَى - نحو: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾^(٢).

أي الرجوع ونحو: «اعدلوا هو أقرب للتقوى» أي العدل.

ج - أَوْ دَلَّتْ عَلَيْهِ حَالٌ - كقوله تعالى: ﴿فَلَهُنَّ ثَلَاثَا مِائَةُ نَفْسٍ﴾^(٣) «أي الميت».

تنبيهات

[الأول:] الأصل في الخطاب أن يكون لمشاهد معين.

نحو: أَنْتَ اسْتَرْفَقْتَنِي بِإِحْسَانِكَ - وقد يُخاطَب:

أ - غَيْرُ الْمُشَاهَدِ إِذَا كَانَ مُسْتَحْضَرًا فِي الْقَلْبِ نَحْوُ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾^(٤).

ب - وَغَيْرِ الْمُعَيَّنِ: إِذَا قُصِدَ تَعْمِيمُ الْخِطَابِ لِكُلِّ مَنْ يُمَكِّنُ خِطَابَهُ عَلَى سَبِيلِ الْبَدَلِ

- لَا التَّنَاوُلَ دَفْعَةً وَاحِدَةً بِقَوْلِ الْمُتَنَبِّي:

[الطويل]

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

[الثاني:] الأصل في وضع الضمير عدم ذكره إلا بعد تقدم ما يُفسره وقد يعدل عن

هذا الأصل فيقدم الضمير على مرجعه لأغراض كثيرة

(٢) سورة النور: الآية ٢٨.

(١) سورة الأعراف: الآية ٨٧.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٨٧.

(٣) سورة النساء: الآية ١١.

[أ] منها تمكين ما بعد الضمير في نفس السامع لشؤقه إليه .
كقوله :

[الطويل]

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحَمَّلُ
فإنها لا تغمى الأبصار - ونعم رجلاً عليّ - فالفاعل ضمير يفسره التمييز ويقرّد ذلك في بابي نعم وبئس ، وفي باب ضمير الشأن - نحو ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) .
[ب] ومنها ادعاء أنّ مرجع الضمير دائم الحضور في الذهن نحو - أقبل وعليه الهيبة والوقار . . . ونحو قول الشاعر :

[الكامل]

أَبَتِ الْوِصَالَ مَخَافَةَ الرُّقْبَاءِ وَأَتَتْكَ تَحْتَ مَدَارِعِ الظُّلَمَاءِ
[الثالث] : يوضع الظاهر - (سواء أكان علماً، أو صفة، أو اسم إشارة) موضع الضمير لأغراض كثيرة :
١ - منها إلقاء المهابة في نفس السامع - كقول الخليفة : أمير المؤمنين يأمر بكذا .
٢ - وتمكين المعنى في نفس المخاطب - نحو : اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا .
٣ - ومنها التلذذ - كقول الشاعر :

[الطويل]

سَقَى اللَّهَ نَجْدًا وَالسَّلَامَ عَلَى نَجْدٍ وَبَا حَبْدًا نَجْدٌ عَلَى الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ
٤ - ومنها الاستعطاف - نحو اللهم عبدك يسألك المغفرة (أي أنا أسألك) .
ويُسمّى هذا العدول بالإظهار في مقام الإضمار .

المبحث الخامس

في تعريف المسند إليه بالعمليّة

يُؤْتَى بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ عِلْمًا لِاحْتِضَارِ مَعْنَاهُ فِي ذَهْنِ السَّامِعِ بِاسْمِهِ الْخَاصِ لِيَمْتَازَ عَمَّا عَدَاهُ - كقوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾^(٢) .

وقد يُقصد به مع هذا أغراض أخرى تُناسب المقام . :

- ١ - كالمَدْح في الألقاب التي تُشعر بذلك - نحو جاء نصر - وحضر صلاح الدين .
- ٢ - والذم والإهانة - نحو جاء صخر - وذهب تأبط شراً .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٢٧ .

(١) سورة الإخلاص : الآية ١ .

- ٣ - والتقاؤل - نحو جاء سرور .
 ٤ - والتشاؤم - نحو حرب في البلد .
 ٥ - والتبرُّك - نحو الله أكرمني . في جواب هل أكرمك الله؟
 ٦ - والتلذذ - كقول الشاعر :

[البسيط]

بالله يَا ظَبِيَّاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ
 ٧ - والكنية عن معنى يصلح العلم لذلك المعنى بحسب معناه الأصلي قبل العلمية -
 نحو . أبو لهب فعل كذا . . . كناية عن كونه جَهَنَّمِيًّا .
 لأن اللَّهَبَ الحقيقي هو لهب جهنم - فيصح أن يُلاحظ فيه ذلك .

المبحث السادس

في تعريف المسند إليه بالإشارة

يُؤْتَى بالمسند إليه اسمُ إشارة إذا تَعَيَّنَ طريقًا لإحضار المُشار إليه في ذهن السَّامِعِ ،
 بأن يكون حاضرًا محسوسًا ، ولا يعرف المتكلم والسَّامِعُ اسمه الخاص ، ولا مُعَيَّنًا
 آخر ، كقولك أتبيع لي هذا - مشيرًا إلى شيء لا تعرف له اسمًا ولا وصفًا .
 أما إذا لم يتعَيَّن طريقًا لذلك ، فيكون لأغراض أخرى .

- أ - بيان حاله في القُرب - نحو هذه بضاعتنا .
 ب - بيان حاله في التَّوسُّط - نحو ذاك ولدي .
 ج - بيان حاله في البعد - نحو ذلك يوم الوعيد .
 ٢ - تعظيم درجته بالقرب نحو ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْيَانَ يَهْدِي لِيَّ هِيَ أَقْوَمُ ﴾^(١) أو تعظيم
 درجته بالبُعد كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾^(٢) .
 ٣ - والتَّحْقِيرُ بالقرب - نحو ﴿ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾^(٣) ؟
 أو التَّحْقِيرُ بالبُعد - كقوله تعالى : ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴾^(٤) .
 ٤ - وإظهار الاستغراب - كقول الشاعر :

[البسيط]

كم عاقلٍ عاقلٍ أُعِيَتْ مَذَاهِبُهُ وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلَقَّاهُ مَرْزُوقَا

(٢) سورة البقرة: الآية ٢ .

(٤) سورة الماعون: الآية ٢ .

(١) سورة الإسراء: الآية ٩ .

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٣ .

هذا الذي ترك الأوهام حائرةً وصير العالم النحرير زنديقا
٥ - وكمال العناية وتمييزه أكمل تمييز - كقول الفرزدق:

[البسيط]

هذا الذي نعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
ونحو قوله: هذا أبو الصقر فردًا في محاسنه.

٦ - والتعريض بغاوة المخاطب حتى كأنه لا يفهم غير المحسوس - كقوله:

[الطويل]

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريئ المجامع
٧ - والتنبية على أن المشار إليه المعقَّب بأوصاف جدير لأجل تلك الأوصاف بما
يذكر بعد اسم الإشارة - كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)

وكثيرًا ما يُشار إلى القريب غير المشاهد بإشارة البعد تنزيلاً للبعد من العيان منزلة
البعد عن المكان نحو: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾^(٢).

المبحث السابع

في تعريف المسند إليه بالموصلية

يؤتى بالمسند إليه اسم موصول إذا تعيَّن طريقًا لإحضار معناه كقولك - الذي كان
معنا أمس سافر، إذا لم تكن تعرف اسمه. أمّا إذا لم يتعين طريقًا لذلك فيكون
لأغراض أخرى.

١ - منها التشويق: وذلك فيما إذا كان مضمون الصلة حكمًا غريبًا كقوله:

[الخفيف]

والذي حارت البرية فيه حيوانٌ مستحدث من جماد^(٣)
٢ - ومنها إخفاء الأمر عن غير المخاطب - كقول الشاعر:

[الكامل]

وأخذت ما جاد الأمير به وقضيت حاجاتي كما أهوى

(١) أي فالشار إليه بأولئك. هم المتقون. وقد ذكر عقبه أوصاف هي الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة
وما بعدهما - ثم أتى بالمسند إليه اسم إشارة وهو أولئك تنبيهًا على أن المشار إليهم أحقاء من
أجل تلك الخصال، بأن يفوزوا بالهداية عاجلاً والفوز بالفلاح أجلاً، سورة البقرة: الآية ٥.

(٢) سورة الكهف: الآية ٨٢. (٣) يعني تحيّر البرية في المعاد الجسماني.

٣ - ومنها التَّنْبِيه على خطأ المخاطب نحو ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَثْمَالِكُمْ﴾^(١) وكقول الشاعر:

[الكامل]

إِنَّ الَّذِينَ تُرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ يَشْفَى غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا^(٢)
٤ - ومنها التَّنْبِيه على خطأ غير المخاطب - كقوله:

[الكامل]

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتُ فُؤَادَكَ مَلَّهَا خَلَعْتُ هَوَاكَ كَمَا خَلَعْتُ هَوَى لَهَا
٥ - ومنها تعظيم شأن المحكوم به - كقول الشاعر:

[الكامل]

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ^(٣)
٦ - ومنها التهويل تعظيمًا أو تحقيرًا - نحو ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنْ آلَيمٍ مَا غَشِيَهُمْ﴾^(٤) ونحو - مَنْ لَمْ يَدْرِ حَقِيقَةَ الْحَالِ قَالَ مَا قَالَ.

٧ - ومنها استهجان التصريح بالاسم - نحو الَّذِي رَبَّانِي أَبِي^(٥).

٨ - ومنها الإشارة إلى الوجه الذي يُبنى عليه الخبر من ثواب أو عقاب كقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٦).

٩ - ومنها التَّوْيِيخ - نحو: الَّذِي أَحْسَنَ إِلَيْكَ قَدْ أَسَأْتُ إِلَيْهِ.

١٠ - ومنها الاستغراق: نحو: الَّذِينَ يَأْتُونَكَ أَكْرَمَهُمْ.

١١ - ومنها الإِبْهَام نحو: لِكُلِّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ.

واعلم أَنَّ التَّعْرِيفَ بالموصولة مبحث دقيق المسلك، غريب التَّزَعُّع يُوقِفُكَ على دَقَائِقٍ من البلاغة تُؤَنِّسُكَ إِذَا أَنْتَ نَظَرْتَ إِلَيْهَا بِثَاقِبِ فِكْرِكَ، وَتُثَلِّجُ صَدْرَكَ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا بِصَادِقِ رَأْيِكَ، فَأَسْرَأُ وَلَطَائِفُ التَّعْرِيفِ بالموصولة لَا يُمْكِنُ ضَبْطُهَا، وَاعْتَبِرْ فِي كُلِّ مَقَامٍ مَا تَرَاهُ مُنَاسِبًا.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٩٤.

(٢) أي من تظنون أخوتهم يحبون دماركم فأنتم مخطئون في هذا الظن - ولا يفهم هذا المعنى لو قيل إن قوم كذا يشفي الخ.

(٣) أي إن من سمك السماء بنى لنا بيتًا من العز والشرف هو أعز وأقوى من دعائم كل بيت.

(٤) أي غطاهم وسترهم من البحر موج عظيم لا تحيط العبارة بوصفه، سورة طه: الآية ٧٨.

(٥) أي بأن كان اسمه قبيحًا كمن اسمه (برغوت أو جحش أو بطة أو غيره).

(٦) سورة الحج: الآية ٥٠.

المبحث الثامن

في تعريف المسند إليه بأل

يُؤْتَى بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ مُعَرَّفًا بِأَلِ الْعَهْدِيَّةِ - أَوْ - أَلِ الْجِنْسِيَّةِ : لأغراضٍ :

أَلِ الْعَهْدِيَّةِ

أَلِ الْعَهْدِيَّةِ : تدخل على المُسْنَدِ إِلَيْهِ للإشارة إلى فرد معهود خارجًا بين المُتَخاطِبِينَ - وعهده يكون :

أ - إِمَّا بِتَقْدِيمِ ذِكْرِهِ «صَرِيحًا» كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿كَأَنَّمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾^(١) - وَيُسَمَّى عَهْدًا صَرِيحًا .

ب - وَإِمَّا بِتَقْدِيمِ ذِكْرِهِ «تَلْوِيحًا» - كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾^(٢) فَلِلذَكَرِ وَإِنْ لَمْ يَكُن مَسْبُوقًا صَرِيحًا إِلَّا أَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى «مَا» فِي الْآيَةِ قَبْلَهُ ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ «مَا» فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾^(٣) .

فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يُحَرَّرُونَ لِخِدْمَةِ الْمُقَدَّسِ إِلَّا الذُّكُورُ ، وَهُوَ الْمَعْنِيُّ «بِمَا» - وَيُسَمَّى

عَهْدًا كِنَائِيًّا .

ج - وَإِمَّا بِحَضُورِهِ بِذَاتِهِ - نَحْوُ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٤) أَوْ بِمَعْرِفَةِ السَّامِعِ لَهُ

نَحْوُ : هَلْ انْعَقَدَ الْمَجْلِسُ - وَيُسَمَّى عَهْدًا حُضُورِيًّا .

(١) سورة المزمل : الآية ١٥ - ١٦ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٣٦ .

(٣) التحرير هو العتق لخدمة بيت المقدس ، سورة آل عمران : الآية ٣٥ .

تبيينها : الأول - علم مما تقدم أن أَلِ التعريفية قسمان :

القسم الأول - لام العهد الخارجي وتحت أنواع ثلاثة صريحي - وكنائي - وحضوري .

والقسم الثاني - لام الجنس وتحت أنواع أربعة لام الحقيقة من حيث هي - ولام الحقيقة في ضمن فرد مهم - ولام الاستغراق الحقيقي - ولام الاستغراق العرفي فمجموع أقسام أَلِ من حيث هي سبعة .

الثاني استغراق المفرد أشمل من استغراق المثني والجمع لأن المفرد يتناول كل واحد واحد من الأفراد . والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين . والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة - بدليل صحة لا رجال في الدار إذا كان فيها رجل أو رجلان - بخلاف قولك لا رجل : فإنه لا يصح إذا كان فيها رجل أو رجلان .

وهذه القضية ليست بصحيحة على عمومها ، وإنما تصح في النكرة المنفية دون .

(٤) سورة المائدة : الآية ٣ .

آل الجنسية

آل الجنسية: (وُتَسَمَّى لَامَ الْحَقِيقَةِ) تدخل على المسند إليه لأغراض أربعة:

١ - للإشارة إلى الحقيقة من حيث هي بقطع النظر عن عمومها وخصوصها نحو الإنسان حيوان ناطق (وُتَسَمَّى لَامَ الْجِنْسِ) لأن الإشارة فيه إلى نفس الجنس، بقطع النظر عن الأفراد - ونحو: الذهب أئمن من الفضة.

٢ - أو للإشارة إلى الحقيقة في ضمن فرد مبهم، إذا قامت القرينة على ذلك كقوله تعالى: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾^(١).

ومدخلوها في المعنى كالنكرة فيعامل مُعاملتها (وُتَسَمَّى لَامَ الْعَهْدِ الذَّهْنِي).

٣ - أو للإشارة إلى كل الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب اللغة.

أ - بمعونة قرينة «حالية» نحو ﴿عَلَيْكُمْ الْغَيْبِ وَالْشَّهَادَةِ﴾^(٢).

أي كل غائب وشاهد.

ب - أو قرينة «لفظية» نحو ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾^(٣).

أي كل إنسان - بدليل الاستثناء بعده - (وُتَسَمَّى اسْتِغْرَاقًا حَقِيقِيًّا).

٤ - أو للإشارة إلى كل الأفراد مقيّدًا - نحو: جمع الأمير التجار وألقى عليهم

نصائحه - أي جمع الأمير «تجار مملكته» لا تجار العالم أجمع (وُتَسَمَّى اسْتِغْرَاقًا عَرَفِيًّا).

المبحث التاسع

في تعريف المسند إليه بالإضافة

يُؤْتَى بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ مُعَرَّفًا بِالإضافة إلى شيء من المعارف السابقة لأغراض كثيرة.

١ - منها أنها أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السامع - نحو جاء غلامي - فإنه

أخصر من قولك: جاء الغلام الذي لي:

٢ - ومنها تعذر التعدّد أو تعسّره - نحو - أجمع أهل الحقّ على كذا وأهل مصر

كرام.

٣ - ومنها الخروج من تبعّة تقديم البعض على البعض - نحو حضر أمراء الجند.

٤ - ومنها التعظيم للمضاف - نحو كتاب السلطان حضر.

(٢) سورة الزمر: الآية ٤٦.

(١) سورة يوسف: الآية ١٣.

(٣) سورة العصر: الآية ٢.

أو للمضاف إليه: نحو الأمير تلميذي - أو غيرهما نحو: أخو الوزير عِنْدِي [الجمع المعرف باللام - لأن المعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد نحو ﴿الرَّجُلُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾^(١) بل هو في المفرد أقوى كما دلّ عليه الاستقراء وصرح به أئمة اللغة وعلماء التفسير في كل ما وقع في القرآن العزيز - نحو ﴿وَرَبُّكَ أَكْبَرُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) - و ﴿اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣) - و ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٤) - إلى غير ذلك مما لا يُعَدُّ ولا يحصى.

الثالث: قد يعرف الخبر بلام الجنس لتخصيص المسند إليه بالمسند المعرفة وعكسه «حقيقة» نحو هو الغفور الودود. ونحو - وتزودوا فإن خير الزاد التقوى أو «اذعاء» للتنبيه على كمال ذلك الجنس في المسند إليه نحو محمد العالم - أي الكامل في العلم - أو كماله في المسند - نحو الكرم التقوى (أي لا كرم إلا هي).

٥ - ومنها التحقير للمضاف - نحو وَلَدَ اللَّصُّ قَادِمَ.

أو للمضاف إليه نحو رفيق زيد لَصٌّ - أو غيرهما نحو: أخو اللَّصِّ عند عمرو.

٦ - ومنها الاختصار لضيق المقام لفرط الضجر والسآمة - كقول جعفر بن غلبة «وهو في السجن بمكة»:

[الطويل]

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدُ جَنِيْبٍ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوْتَقٌ^(٥)
واعلم أنَّ هيئة التركيب الإضافي موضوعة للاختصاص المصحح لأن يقال:
«المضاف للمضاف إليه» فإذا استعملت في غير ذلك مجازًا كما في الإضافة لأدنى مُلَابَسَةٍ نحو مكر الليل وكفوله:

[الطويل]

إِذَا كَوَكَبُ الْخُرْقَاءِ لَاحَ بِسَحْرَةٍ سُهَيْلٌ أَذَاعَتْ غَزْلَهَا فِي الْقَرَائِبِ^(٦)

(١) سورة النساء: الآية ٣٤. (٢) سورة الإسراء: الآية ٥٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٩٥، سورة المائدة: الآية ٩٣.

(٤) سورة البقرة: الآية ٣١.

(٥) أي من أهواء وأحبه ذاهب مع ركبنا الإبل القاصدين إلى اليمن منضم إليهم، مقود معهم، وجسمي مقيد بمكة محبوس وممنوع عن السير معهم - فلفظ هَوَايَ أَخْضَرُ من الذي أهواه - ونحوه.

(٦) أضاف الكوكب إلى الخرقاء أي المرأة الحمقاء مع أنه ليس لها لأنها لا تذكر كسوتها إلا وقت طلوع سهيل سحرًا في الشتاء - وتفصيل ذلك أنه يقال إن المرأة الحمقاء كانت تضع وقتها في الصيف فإذا طلع سهيل وهو كوكب قريب من القطب الجنوبي في السحر وذلك قرب الشتاء =

ملف
الدهر
في
الأسرار

المبحث العاشر

في تعريف المسند إليه بالنداء^(١)

يؤتى بالمسند إليه مُعرِّفًا بالنداء لأغراض:

- ١ - منها إذا لم يُعرف للمخاطب عنوان خاص - نحو - يا رجل.
- ٢ - ومنها الإشارة إلى علة ما يُطلب منه نحو - يا تلميذ أكتب الدرس.

المبحث الحادي عشر

في تنكير المسند إليه

يؤتى بالمسند إليه نكرة لعدم عِلْم المُتَكَلِّم بجهة من جهات التعريف حقيقةً أو ادعاءً، كقولك - جاء هنا رجل يسأل عنك. إذا لم تعرف ما يُعيّنه من عِلْم أو صلة أو نحوهما، وقد يكون لأغراض أخرى.

- ١ - كالتكثير^(٢) نحو: ﴿وَلَنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٣) (أي رُسُلٌ كثيرة).
- ٢ - والتقليل - نحو: لو كان لنا من الأمر شيء، ونحو: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(٤).

٣ - والتعظيم والتحقيق - كقول ابن أبي السَّمط:

[الطويل]

لَهُ حَاجِبٌ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ
أَيُّ لَهُ مَانِعٌ عَظِيمٌ وَكَثِيرٌ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ - وَلَيْسَ لَهُ مَانِعٌ قَلِيلٌ أَوْ حَقِيرٌ عَنْ طَالِبِ
الإحسان^(٥) فيحتمل التعظيم والتكثير والتقليل والتحقيق.

= أحست بالبرد واحتاجت إلى الكسوة ففرقت غزلها أي قطنها أو كتانها الذي يصير غزلًا في أقاربها ليغزلوا لها بسبب عجزها عن الغزل ما يكفيها لضيق الوقت، فإضافة كوكب الخرقاء لأدنى ملابسة - وقد جعل الشاعر هذه الملابس بمنزلة الاختصاص.

(١) اعلم أن أغلب البيانين لم يثبت التعريف بالنداء في تعريف المسند إليه. وتحقيق ذلك يطلب من المطولات.

(٢) اعلم أن الفرق بين التعظيم والتكثير أن التعظيم بحسب رفعة شأن وعلو الطبقة - وأن التكثير باعتبار الكميات والمقادير تحقيقًا كما في قولك إن له إبلا، وإن له لنمًا - أو تقديرًا نحو ورضوان من الله أكبر - أي قليل من الرضوان من كل شيء - ويلاحظ ذلك الفرق في التحقيق والتقليل أيضًا.

(٣) سورة فاطر: الآية ٤. (٤) سورة التوبة: الآية ٧٢.

(٥) أي ومنه قوله: والله عندي جانب لا أضيعه وللوه عندي والخلاعة جانب ويحتمل التكثير والتقليل =

٤ - وإخفاء الأمر - نحو قال رجلٌ إِنَّكَ انْحَرَفْتَ عَنِ الصَّوَابِ؛ تخفي اسمه حتى لا يلحقه أذى.

٥ - وقصد الأفراد - نحو: وَيْلٌ أَهْوُونَ مِنْ وَيْلَيْنِ «أي ويل واحد».

٦ - وقصد التَّوَعُّيَّة - نحو لكلِّ داءٍ دواءٌ (أي لكلِّ نوع من الدَّاء نوع من الدَّواء).

المبحث الثاني عشر

في تقديم المسند إليه^(١)

اعلم أنَّ مَرْتَبَةَ المُسْنَدِ إِلَيْهِ التَّقْدِيمُ، وذلك لأنَّ مدلوله هو الذي يخطر أولاً في الذَّهْنِ لأنَّه المحكوم عليه، والمحكوم عليه سابق للحكم طبعاً فلهذا تقدّم وضعاً، ولتقديمه دواعٍ شَتَّى.

قوله تعالى ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾ [مريم: ٤٥].

(١) معلوم أنَّ الألفاظ قوالب المعاني. فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي حسب ترتيبها الطبيعي. ومن البَيِّن أن رتبة المسند إليه التقديم لأنَّه المحكوم عليه ورتبة المسند التأخير إذ هو المحكوم به. وما عداهما فهو متعلقات وتوابع تأتي تالية لهما في الرتبة، ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا والاعتبارات ما يدعو إلى تقديمها وإن كان من حقها التأخير فيكون من الحسن إذا تغيير هذا الأصل واتباع هذا النظام ليكون المقدم مشيراً إلى الغرض الذي يؤدي إليه ومرتجماً عما يريد ولا يخلو التقديم من أحوال أربع:

الأول - ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ وذلك هو الغاية القصوى وإليه المرجع في فنون البلاغة - والكتاب الكريم هو العُمدَة في هذا. انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ النَّفْثَةُ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] تجد أنَّ تقديم الجار في هذا قد أفاد التخصيص وأنَّ النظر لا يكون إلا لله مع جودة الصياغة وتناسق السجع.

الثاني - ما يفيد زيادة في المعنى فقط نحو: ﴿كُلِّ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦] فمقدم المفعول في هذا لتخصيصه بالعبادة وأنه ينبغي ألا تكون لغيره، ولو أخر ما أفاد الكلام ذلك.

الثالث - ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير وليس لهذا الضرب شيء من الملاحاة كقوله: [الطويل]
«بحمد إلهي» وهي منه سليب

فتقديره: ثم أصبحت وهي منه سليب بحمد إلهي.

الرابع - ما يختل به المعنى ويضطرب، وذلك هو التعقيد اللفظي - أو المعاطلة التي تقدمت، كتقديم الصفة على الموصوف، والصلة على الموصول، أو نحو ذلك كما سلف من قول الفرزدق: [الطويل]

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كُليب تصاهره
فتقديره إلى ملك أبوه ما أمه من محارب، أي ما أم أبيه منهم، ولا شك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظرة الأولى بل يحتاج إلى تأمل ورفق حتى يفهم المراد منه.

- ١ - منها تعجيل المسرة - نحو: العفو عنك صدَرَ به الأمر.
- ٢ - ومنها تعجيل المساءة - نحو: القصاصُ حكم به القاضي.
- ٣ - ومنها التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدم مُشعِراً بغرابة كقول المعري:

[الخفيف]

وَأَلْذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ^(١)

٤ - ومنها التلذذ - نحو: ليلِي وصلت - وسلمى هجرت.

٥ - ومنها التبرُّك - نحو: اسْمُ اللَّهِ اهْتَدَيْتُ بِهِ.

٦ - ومنها النَّص على عموم السَّلب - أو سلب العموم.

فعوم السلب يكون بتقديم أداة العموم^(٢) ككلّ. وجميع. على أداة النفي نحو: كلّ ظالم لا يُفلح - المعنى لا يفلح أحد من الظلمة، ونحو كلّ ذلك لم يكن: أي لم يقع هذا ولا ذاك، ونحو كلّ تلميذ لم يقصّر في واجبه ويسمى «شمول النفي». واعلم أنّ عموم السَّلب يكون النفي فيه لكل فرد.

وتوضيح ذلك أنك إذا بدأت بلفظة «كلّ» كنت قد بنيت وسلطت الكلّية على النفي وأعملتها فيه - وذلك يقتضي ألا يشذ عنه شيء.

وسلب العموم يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم - نحو لم يكن كلّ ذلك، أي لم يقع المجموع، فيحتمل ثبوت البعض، ويحتمل نفي كل فرد، لأنّ النفي يُوَجِّه إلى الشمول خاصة دون أصل الفعل.

وَيُسَمَّى «نفي الشمول».

واعلم أن سلب العموم يكون النفي فيه للمجموع غالباً كقول المتنبي:

[البسيط]

ما كلُّ رأيٍ الفتى يدعُو إلى رَشَدٍ

(١) قبل الحيوان هو الإنسان - والجماد الذي خلق منه هو النطفة.

وحيرة البرية فيه هو الاختلاف في إعادته للحشر - وهو يريد أن الخلائق تحتار في المعاد الجسماني، يدل لذلك قوله قبله: [الخفيف]

بان أمر الإله واختلف النسا س فسداً إلى ضلال وهادي

(٢) بشرط أن تكون أداء لعموم غير معمولة لما بعدها كما مثل - فإن كانت معمولة لفعل بعدها سواء تقدمت لفظاً أو تأخرت نحو كلّ ذنب لم أصنع - ولم آخذ كلّ أسراهم، أفاد الكلام سلب العموم ومنع الشمول غالباً.

وقد جاء لعموم النفي قليلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾^(١).
ودليل ذلك الذوق والاستعمال.

٧ - ومنها إفادة التخصيص قطعاً^(٢) إذا كان المسند إليه مسبوقاً بنفي والمسند فعلاً - نحو ما أنا قلت هذا - أي لم أقله: وهو مقول لغيري.

(ولذا لا يصح أن يُقال ما أنا قلت هذا ولا غيري، لأن مفهوم ما أنا قلت أنه مقول للغير، ومنطوق ولا غيري كونه غير مقول للغير، فيحصل التناقض سلباً وإيجاباً).

وإذا لم يسبق المسند إليه نفي كان تقديمه محتملاً^(٣) لتخصيص الحكم به أو تقو إذا كان المسند فعلاً^(٤) نحو أنت لا تبخل - وهو يهب الألف، فإن فيه الإسناد مرتين، إسناد الفعل إلى ضمير المخاطب في المثال الأول، وإسناد الجملة إلى ضمير الغ في المثال الثاني.

٨ - ومنها كون المتقدم محط الإنكار والغرابة - كقوله:

[الطويل]

أبعد المشيب المنقضي ذي الذوائب تُحاول وصل الغانيات الكواعب

(١) سورة لقمان: الآية ١٨.

(٢) وذلك يكون في ثلاثة مواضع:

الأول - أن يكون المسند إليه معرفة ظاهرة بعد نفي نحو ما فؤاد فعل هذا.

الثاني - أن يكون المسند إليه معرفة مضمرة بعد نفي نحو ما أنا قلت ذلك.

الثالث - أن يكون المسند إليه نكرة بعد نفي نحو ما تلميذ حفظ الدرس.

(٣) وذلك في ستة مواضع:

الأول - أن يكون المسند إليه معرفة ظاهرة قبل نفي - نحو فؤاد ما قال هذا.

الثاني - أن يكون المسند إليه معرفة ظاهرة مثبتة نحو عباس أمر بهذا.

الثالث - أن يكون المسند إليه معرفة مضمرة قبل نفي نحو أنا ما كتبت الدرس.

الرابع - أن يكون المسند إليه معرفة مضمرة مثبتة نحو أنا حفظت درسي.

الخامس - أن يكون المسند إليه نكرة قبل نفي نحو رجل ما قال هذا.

السادس - أن يكون المسند إليه نكرة مثبتة نحو تلميذ حضر اليوم في المدرسة.

واعلم أن ما ذكرناه هو مذهب عبد القاهر الجرجاني وهو الحق وخالفه السكاكي.

(٤) فإن قيل: لماذا اشترط أن يكون المسند فعلاً وهل إذا كان المسند وصفاً مشتملاً على ضمير نحو

أنت بخيل لم يكن كالفعل في إفادة التقوية - أقول: لما كان ضمير الوصف لا يتغير تكلماً وخطاباً

وغيبة، فهو شبيه بالجوامد، وكانت تقويته قريبة من الفعل لا مثلها تماماً.

٩ - ومنها سُلوک سبیل الرُقي - نحو هذا الكلام صحيح، فصيح، بليغ.

فإذا قلت فصيح - بليغ، لا يحتاج إلى ذكر صحيح - وإذا قلت بليغ لا يحتاج إلى ذكر فصيح.

١٠ - ومنها مُراعاة الترتيب الوجودي - نحو ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(١).

المبحث الثالث عشر

في تأخير المسند إليه

يؤخر المسند إليه إن اقتضى المقام تقديم المسند - كما سيجيء ولا نلتبس دواعي للتقديم والتأخير إلا إذا كان الاستعمال يبيح كليهما.

تطبيق عام على أحوال المسند إليه وما قبله

أمير المؤمنين يأمر بكذا - جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، المراد بالخبر بيان سبب داعي الامتثال. المسند إليه أمير المؤمنين. ذكر للتعظيم. وقدم لذلك والمسند جملة يأمر، ذكر لأن الأصل فيه ذلك، وآخر لاقضاء المقام تقديم المسند إليه وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الإسناد (والتعظيم وتقوية الحكم وكون ذكر المسند هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه واقضاء المقام تقديم المسند إليه أحوال) والذكر والتقديم والتأخير مقتضيات - والإتيان بهذه الجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال أنت الذي أعاني. وأنت الذي سرتني - ذكر أنت ثانيًا لزيادة التقرير والإيضاح، فزيادة التقرير والإيضاح حال - والتكرير مقتضى - والإتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال.

سعيد يقتحم الأخطار «بعد مدحه» ذكر سعيد للتعظيم والتعجب، فالتعظيم والتعجب حال - والذكر مقتضى، والإتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال، حضر الكريم «بعد أحضر سعد» كرم الكريم لتعظيم سعد ومدحه فالتعظيم حال، والذكر مقتضى، والإتيان بالجملة في هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال، علي كتب الدرس «جواب - ما الذي عمل علي» - ذكر علي للتعريض بغباوة السامع. وقدم لتقوية الحكم لكون الخبر فعلاً، فالتعريض والتقوية حالان والذكر والتقديم مقتضيان. والإتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحالين، محمود نعم التلميذ «بعد مدح كثير له» - ذكر محمود لقلّة الثقة بالقرينة وقدم لتقوية الحكم.

﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾^(١) - حذف المسند وهو خلقنا - لعلم به ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(٢) - حذف المسند إليه وهو الله تعالى للعلم به .

معطي الوسامات والرتب - حذف المسند إليه للتنبيه على تعيين المحذوف ادعاء ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾^(٣) - حذف مفعول آوى للمحافظة على الفاصلة .
صاحبك يدعو إلى وليمة العرس - حذف مفعول يدعو للتعميم باختصار .
لا يعطي ولا يمنع إلا الله تعالى - حذف المفعولان لعدم تعلق الغرض بهما أهين الأمير - حذف الفاعل للخوف عليه .

[الكامل]

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

قدم نصف الثاني للمحافظة على الوزن :

[البسيط]

ما كل ما يتمنى المرء يدركه
قدمت أداة النفي على أداة العموم لإفادة سلب العموم ونفي الشمول .
جميع العقلاء لا يسعون في الشر - قدمت أداة العموم على أداة النفي لإفادة عموم السلب وشمول النفي .
﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٤) - قدم الجار والمجرور للتخصيص .

[الوافر]

ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضىنا
الجملة الأولى خبرية اسمية من الضرب الابتدائي - والمراد بالخبر إظهار الفخر والشجاعة . المسند إليه نحن . ذكر لأن ذكره الأصل . وقدم للتعظيم ، وعرف بالإضمار لكون المقام للتكلم مع الاختصار . والمسند التاركون . ذكر وآخر لأن الأصل ذلك .
[الطويل]

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم
جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي . والمراد بالخبر التوبيخ . المسند إليه أنت . ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك . وعرف بالإضمار لكون المقام للخطاب مع

(١) سورة الزخرف: الآية ٨٧ .

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٧ .

(٣) سورة الضحى: الآية ٦ .

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٦٠ ، سورة المائدة: الآية ١١ ، سورة التوبة: الآيتان ١١ ، ١٢ ، سورة المجادلة: الآية ١٠ .

الاختصار. والمسند لفظه الذي، وقد ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك. وعرف بالموصولية للتعليل.

يعني أن إخلاف وعده كان سبب الشماتة واللوم. وأما جملة أشتت فمعطوفة على جملة أخلفت. ووصلت بها لما تقدم. وعرف المسند إليه وهو الفاعل في يلوم بالإضمار لكون المقام للغيبة مع الاختصار.

أبو لهب فعل كذا - جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد. والمراد بالخبر أصل الفائدة لمن يجهل ذلك. المسند إليه أبو لهب. ذكر وقدّم لأن الأصل فيه ذلك. وعرف بالعلمية للكناية عن كونه جهنميًا.

أسئلة على أحوال المسند إليه يطلب أجوبتها

ما هو المسند إليه؟ ما هي أحواله؟ متى يجب ذكره؟ ما هي الوجوه التي ترجح ذكره عند وجود القرينة؟ متى يحذف؟ ما الفرق بين المعرفة والنكرة؟ لم يعرف المسند إليه بالإضمار؟ ما الأصل في الخطاب؟ ما الأصل في وضع الضمير؟ هل يقدم الضمير على مرجعه؟ هل يوضع الظاهر موضع الضمير؟ لم يعرف المسند إليه بالعلمية؟ لم يعرف بالإشارة؟ لم يعرف بالموصولية؟ لم يعرف بأل...؟ إلى كم تنقسم أل؟ لم يعرف بالإضافة؟ لم يعرف بالنداء؟ لأي شيء ينكر المسند إليه؟ لم يقدم؟ ما الفرق بين عموم السلب وسلب العموم لم يؤخر؟

الباب الرابع

في المسند وأحواله^(١)

المُسند هو - الخبر، والفعل الثَّام؛ واسم الفعل، والمبتدأ الوصف المُستغنى بمرفوعه عن الخبر. وأخبار النَّواسخ. والمصدر التائب عن الفعل. وأحواله هي: الذكر، والحذف، والتعريف، والتشكير، والتقديم والتأخير، وغيرها - وفي هذا الباب ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

في ذكر المسند أو تركه

- ١ - يُذكر المسند للأغراض التي سبقت في ذكر المسند إليه - وذلك:
 - ١ - ككون ذكره هو الأصل ولا مُقتضى للعدول عنه.
 - نحو: العلم خيرٌ من المال.
- ٢ - وكضعف التَّعويل على دلالة القرينة - نحو حالي مستقيم ورزقي ميسور «إذ لو حُذف ميسور - لا يدلُّ عليه المذكور».
- ٣ - وكضعف تنبه السَّامع، نحو: (أَضْلُهَا ثَابِتٌ وَفَزَعُهَا ثَابِتٌ). (إذا لو حُذف ثابت رُبما لا يتنبه له السَّامع لضعف فهمه).
- ٤ - وكالرَّد على المخاطب - نحو: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٢).
بعد قوله تعالى: ﴿مَنْ يُتِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(٣).
وكإفادة أنه «فِعْلٌ» فيفيد التَّجَدُّدَ والحدوثَ، مقيِّدًا بأحد الأزمنة الثلاثة بطريق الاختصار.

(١) وإنما ذكر المسند بعد المسند إليه لأن المسند محكوم به - والمسند إليه محكوم عليه - والمحكوم به مؤخر عن المحكوم عليه طبعًا - ففعل ذلك وضعًا.

(٢) سورة يس: الآية ٧٨.

(٣) سورة يس: الآية ٧٩.

«أو اسم» فيفيد الثبوت مطلقاً نحو ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾^(١) فَإِنَّ يُخَادِعُونَ تُفيد التَّجَدُّدَ مرةً بعد أخرى، مُقَيِّداً بالزمان من غير افتقار إلى قرينة تدلُّ عليه - كذكر الآن - أو - الغد.

وقوله وهو خادعهم - تُفيد الثبوت مطلقاً من غير نظر إلى زمان ويُحذف المسند لأغراض كثيرة. ٥

١ - منها إذا دلت عليه قرينة وتعلّق بتركه غرض مما مرّ في حذف المسند إليه.

والقرينة

أ - «إِذَا مَذْكُورَةٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٢) أَي خَلَقَهُنَّ اللَّهُ.

ب - «وَأَمَّا مَقْدَرَةٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^(٣) رِجَالٌ يُسَبِّحُهُ رِجَالٌ - كَأَنَّهُ قِيلَ مِنْ يُسَبِّحُهُ؟.

٢ - ومنها الاحتراز عن العبث - نحو ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾^(٤) - أَي ورسوله بريء منهم أيضاً.

فلو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثاً لعدم الحاجة إليه.

٣ - ومنها ضيق المقام عن ذكره - كقول الشاعر:

[المنسرح]

نحنُ بما عندنا وأنتَ بما عندك راضٍ والرأيُّ مُخْتَلِفٌ
«أَي نحن بما عندنا راضون - فحذف لضيق المقام».

٤ - ومنها اتباع الاستعمال - نحو: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾^(٥).

«أَي لولا أنتم موجودون»، ونحو ﴿فَصَبِّرْْ حَمِيدٌ﴾^(٦) «أَي أجمل».

(١) سورة النساء: الآية ١٤٢.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٨٧.

(٣) سورة النور: الآية ٢٦.

(٤) سورة التوبة: الآية ٣.

(٥) سورة سبأ: الآية ٣١.

(٦) سورة يوسف: الآيتان: ١٨، ٨٣.

المبحث الثاني في تعريف المسند أو تنكيره

يُعرّف المسند

- ١ - لإفادة السامع حُكمًا على أمر معلوم عنده بأمر آخر مثله بإحدى طُرُق التعريف - نحو هذا الخطيب. وذلك نقيب الأشراف.
- ٢ - وإفادة قصره على المسند إليه «حقيقة» نحو سعد الزعيم إذا لم يكن زعيم سواه - أو «ادعاء» مبالغة لكمال معناه في المسند إليه نحو: سعد الوطني أي الكامل الوطنية، فيخرج الكلام في صورة توهم أنّ الوطنية لم توجد إلا فيه لعدم الاعتداد بوطنية غيره.
- وذلك إذا كان المسند معرفًا بلام الجنس^(١).
- ويُنكر المسند لعدم الموجب لتعريفه - وذلك:
- ١ - لقصد إرادة العهد - أو الحصر - نحو أنت أميرٌ وهو وزير.
- ٢ - ولاتّباع المسند إليه في التّكثير - نحو تلميذ واقفٌ بالباب.
- ٣ - وإفادة التّفخيم - نحو ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).
- ٤ - ولقصد التحقير - نحو: ما خالد رجلًا يُذكر.

المبحث الثالث

في تقديم المسند أو تأخيرهِ

- يُقدّم المسند إذا وُجد باعث على تقديمه كان يكون عاملاً نحو قام عليٌّ - أو ممّا له الصّدارة في الكلام نحو: أين الطريق؟.
- أو إذا أُريد به غرض من الأغراض الآتية:
- ١ - منها التّخصيص بالمسند إليه - نحو ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣).
 - ٢ - ومنها التّنبية من أوّل الأمر على أنه خبرٌ لا نعتٌ كقوله:

(١) على أن التعريف بلام الجنس لا يفيد أحيانًا القصر كقول الخنساء: [الوافر]
إذا قبح البكاء على قَتِيلٍ وجدتُ بُكاءك الحسنَ الجميل
فالخنساء لا تقصد قصر الجنس على بكاء قَتيلها، ولكنها تريد أن تثبت له وتخرجه من جنس
بكاء غيره من القتلى - فهو ليس من القصر في شيء.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢. (٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٩.

[الطويل]

لَهُ هِمٌّ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْهُ الصُّغْرَى أَجَلَ مِنَ الذَّهْرِ
لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِعْشَارَ جُودِهَا عَلَى الْبَرِّ كَانَ الْبَرُّ أُنْذَى مِنَ الْبَحْرِ
فلو قيل «هم له» لتوهم ابتداء كون «له» صفة لما قبله.

٣ - ومنها التشويق للمُتَأَخَّرِ إذا كان في المتقدِّم ما يُشَوِّقُ لذكره.

كتقديم المسند في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١) وكقوله:

[الكامل]

خَيْرُ الصَّنَائِعِ فِي الْأَنَامِ صَنِيعَةٌ تَنْبُو بِحَامِلِهَا عَنِ الْإِذْلَالِ
٤ - ومنها التَّفَاوُلُ - كما تقوم للمريض - في عافية أنت: وكقوله:

[الكامل]

سَعَدْتُ بِغُرَّةٍ وَجْهَكَ الْأَيَّامُ وَتَزَيَّنْتُ بِلَقَائِكَ الْأَعْوَامُ
٥ - ومنها إفادة قصر المُسْنَدِ إليه على المُسْنَدِ نحو ﴿لَكَوْ دِينَكَوْ وَلِي دِينَ﴾ (٢).
«أي دينكم مقصورٌ عليكم وديني مقصورٌ علي».

٦ - ومنها المساءة كقول المتنبي:

[الطويل]

وَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صِدَاقَتِهِ بُدُّ
٧ - ومنها التَّعْجِبُ أَوْ التَّعْظِيمُ أَوْ الْمَدْحُ أَوْ الذَّمُّ أَوْ التَّرْحَمُ أَوْ الدَّعَاءُ نحو للهِ دَرَكٌ،
وعَظِيمٌ أَنْتَ يَا اللَّهُ. ونعم الزعيم سعد. وبنس الرجل خليل، وفقير أبوك، ومبارك
وصولك بالسلامة.

ويؤخَّرُ المُسْنَدُ لأنَّ تأخيرَهُ هو الأصل، وتقديم المسند إليه أهمُّ نحو الوطن عزيز.

وينقسم المسند من حيث الأفرادُ عدمه إلى قسمين - مفرد - وجُمْلَةٌ فالمسند المفرد
اِسْمَانِ فِعْلٍ: نحو قدم سعد - واسم: نحو: عد قادم والمسند الجملة ثلاثة أنواع:

١ - أن يكون سببًا نحو خليل أبوه مُتَنَصِّر - أو أبوه انتصر - أو انتصر أبوه.

٢ - وأن يُقْصَدَ تخصيص الحكم بالمسند إليه - نحو أنا سَعِيتُ في حاجتك (أي
الساعي فيها أنا لا غيري).

٣ - وأن يُقْصَدَ تأكيد الحكم - نحو سعد حضر. لما فيها من تكرار الإسناد مرتين.

ويؤتى بالمسند ظرفًا للاختصار - نحو خليل عندك.

وجارًا ومجرورًا - نحو محمود في المدرسة.

تمرين

يُبين أسباب التقديم والتأخير فيما يأتي:

[الكامل]

١ - ما كلّ ما فوق البسيطة كافيًا

[الطويل]

فإذا قنعت فبعض شيء كافي

[الطويل]

٢ - وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كلّ

[الطويل]

ولكنّ شعري فيه من نفسه شعر

[الطويل]

٣ - إذا شئت يومًا أن تسود عشيرة

[البسيط]

فبالحلم سُدّ لا بالتسرّع والشتم

[البسيط]

٤ - ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها

[الطويل]

شمس الضّحى وأبو إسحق والقمر

[الطويل]

٥ - أفي الحق أن يعطى ثلاثون شاعرًا

[الطويل]

ويُحرم ما دون الرّضا شاعرٌ مثلي

[الطويل]

٦ - فكيف وكلّ ليس يعدو حمامه

[الطويل]

وما لامرئ عمّا قضى الله مزحل

[الطويل]

- ١ - قدم حرف النفي وهو «ما» على لفظ العموم وهي (كل) على يوم السلب - والمعنى لا يكفيك جميع ما على الأرض إذا كنت طامعًا.
- ٢ - إذا كان المسند فعلًا متفياً ووسط المسند إليه بين الفعل وحرف النفي كما في هذا المثال وهو (ما أنا قلت) دلّ ذلك على التخصيص. والمعنى لست القائل لذلك الشعر وحدي، بل شاركني فيه غيره. ولذلك يعدّ من الخطأ الذي لا يستقيم مع معنى أن تقول ما أنا فعلت هذا ولا غيري، لأن معنى ما أنا فعلت - يفيد من نفسه نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك فقولك - ولا غيري، يكون تناقضًا.
- ٣ - قدم الجار والمجرور في قوله (بالحلم سد) ليدلّ على التخصيص أي أنك تسود بالحلم لا بغيره.
- ٤ - قدم العدد وهو ثلاثة وآخر المعدود ليشوّق إليه. لأن الإنسان إذا سمع العدد مجموعًا يشّاق إلى تفصيل آحاده.
- ٥ - قدم الجار والمجرور بعد الاستفهام في قوله أفي الحق أن يعطى - ليدلّ على أن ذلك المقدم هو محط الإنكار. فتحليل المعنى أنه لا ينكر الإعطاء ولكنه ينكر أن يُعَدّ ذلك حقًا وصوابًا مع حرمانه هو.
- ٦ - قدم أداة العموم على أداة السلب في قوله (كلّ ليس يعدو) ليدلّ على عموم السلب - أي أن الناس واحدًا واحدًا يشملهم حكم الموت ولا مفرّ منه.

٧ - قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(١).

[الطويل]

٨ - بك اقتدت الأيام في حسناتها وشيمنتها لولاك هم وتكريب

تطبيق عام على أحوال المسند

لما صدأت مرآة الجنان، قصدت لجلالها بعض الجنان - الجملة الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها وهو قصدت. وهي خبرية فعلية من الضرب الابتدائي - والمراد بها أصل الفائدة. المسند قصد. ذكر لأن ذكره الأصل. وقدم لإفادة الحدث في الزمن الماضي مع الاختصار. والمسند إليه التاء - ذكر لأن الأصل فيه ذلك - وآخر لاقتضاء المقام تقديم المسند. وعرف بالإضمار لكون المقام للتكلم مع الاختصار.

كأنه الكوثر الفياض - جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي - والمراد بها المدح. فهي تفيد الاستمرار بقرينة المدح. المسند إليه الهاء. ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بالإضمار لكون المقام للغيبة مع الاختصار. والمسند الكوثر ذكر وآخر لأن الأصل فيه ذلك - وعرف بآل للعهد الذهني.

كتاب في صحائفه حُكِم - التنكير في هذه الجملة للتعظيم.

ما هذا الرجل إنساناً - نكر المسند «إنساناً» للتحقير.

له همم لا منتهى لكبارها - المسند له - قدم لإفادة أنه خير من أول الأمر، لأنه لو تأخر لتوهم أنه صفة للمسند إليه لأنه نكرة.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كَفَوْا أَحَدًا﴾^(٢). قدم المسند كفوا. على المسند إليه «أحد» للمحافظة على الفاصلة - على رأي بعضهم. والمنصوص عليه في كتب التفسير المعتبرة أن التقديم للمبادرة إلى نفي المثل.

زهرة العلم أنضر من زهرة الروضة - جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي والمراد بها الاستمرار بقرينة المدح. المسند إليه زهرة العلم. ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك. وعرف بالإضافة إلى العلم لتعظيمه. والمسند أنضر. ذكر وآخر لأن الأصل

(٢) سورة الإخلاص: الآية ٤.

(١) سورة الزمر: الآية ٦٦.

٧ - قدم المفعول على الفعل في قوله (الله فاعبد) ليدل على التخصيص أي أعبد الله ولا تعبد غيره.

٨ - قدم الجار والمجرور على الفعل في قوله (بك اقتدت) ليدل على التخصيص أي أن الإقتداء كان بك لا بغيرك.

في ذلك، ونكر لتعظيمه.

غلامي سافر. أخي ذهبت جاريته. أنا أحب المطالعة - الحق ظهر. الغضب آخره ندم - أتى بالمسند في هذه المثل جملة لتقوية الحكم لما فيها من تكرار الإسناد.

أسئلة على أحوال المسند يطلب أجوبتها

ما هو المسند؟ ما هي أحواله؟ لأي شيء يذكر المسند؟ لأي شيء يحذف؟ لِمَ يُقَدَّم؟ لِمَ يؤخر؟ لِمَ يُعرَف؟ لِمَ ينكَّر؟ لِمَ يؤتى به جملة.

الباب الخامس

في الإطلاق^(١) - والتقييد

إذا اقْتَصِرَ في الجملة على ذكر المسند إليه والمسند. فالحكم مطلق والإطلاق يكون حينما لا يتعلّق الغرض بتقييد الحكم بوجه من الوجوه ليذهب السامع فيه كلّ مذهبٍ مُمكنٍ.

وإذا زيدَ عليهما شيءٌ ممّا يتعلّق بهما أو بأحدهما. فالحكم مُقيّدٌ والتقييد يكون حينما يتعلّق الغرض بتقييده بوجه مخصوص، بحيث لو حُذِفَ القيد لكان الكلام كذبًا - أو غيرَ مقصود - نحو ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنِ﴾^(٢) فلو حذف الحال وهو ﴿لِعَيْنِ﴾ لكان الكلام كذبًا بدليل المشاهدة - ونحو ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَيُّءُ﴾^(٣)، إذ لو حُذِفَ «يكاد» لفات الغرض المقصود وهو إفادة المقاربة. وهلم جرا.

واعلم أن معرفة خواصّ التراكيب وأسرار الأساليب وما فيها من دقيق الوضع، وBAهر الصنع، ولطائف المزايا، يسترعي لبك إلى أنّ التقييد بأحد الأنواع الآتية يكون لزيادة الفائدة وتقويتها عند السامع لما هو معروف من أنّ الحكم كلّما ازدادت قيوده ازداد إيضاحًا وتخصيصًا، وحينئذٍ تكون فائدته أتمّ وأكمل.

والتقييد يكون بالتوابع، وضمير الفصل؛ والنواسخ، وأدوات الشرط والنفي، والمفاعيل الخمسة، والحال والتمييز - وفي هذا الباب جملة مباحث^(٤).

(١) الإطلاق والتقييد وصفان للحكم. فالإطلاق أن يقتصر في الجملة على ذكر المسند والمسند إليه حيث لا غرض يدعو إلى حصر الحكم ضمن نطاق معين بوجه من الوجوه - نحو: الوطن عزيز. والتقييد أن يزداد على المسند والمسند إليه شيء يتعلّق بهما أو بأحدهما ممّا لو أغفل لفات الفائدة المقصودة، أو كان الحكم كاذبًا نحو الولد النجيب يسرّ أهله.

(٢) سورة الدخان: الآية ٣٨. (٣) سورة النور: الآية ٣٥.

(٤) اعلم أن التقييد يكون لتمام الفائدة لما تقرّر من أن الحكم كلّما زاد قيده زاد خصوصية، وكلّما زاد خصوصية زادت فائدته لا فرق بين مسند إليه أو مسند أو غيرهما، كما لا فرق بين تقييده بالتوابع أو غيرها.

المبحث الأول في التقييد بالنعت

أَمَّا النَّعْتُ فَيُؤْتَى بِهِ لِأَغْرَاضٍ كَثِيرَةٍ:

أ - منها تخصيص المنعوت بصفة تُميزُه إن كان نكرة - نحو:

جاءني رجل تاجر.

ب - ومنها توضيح المنعوت إذا كان معرفة لغرض.

١ - الكشف عن حقيقته - نحو - الجسم الطويل العريض العميق يُشغل حيزًا من

الفراغ.

٢ - أو التأكيد - نحو - تلك عشرة كاملة، وأمس الدَّابِرُ كان يومًا عظيمًا.

٣ - أو المدح - نحو حضر سعد المنصور.

٤ - أو الذم - نحو ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾^(١).

٥ - أو الترحم - نحو قديم زين المسكين.

المبحث الثاني في التقييد بالتوكيد

أَمَّا التَّوْكِيدُ فَيُؤْتَى بِهِ:

١ - لمجرد التقرير، وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السامع:

نحو جاء الأمير - الأمير.

٢ - وللتقرير مع دفع توهم خلاف الظاهر - نحو جاءني الأمير نفسه.

٣ - وللتقرير مع دفع توهم عدم الشمول نحو ﴿سَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ

﴿٢٠﴾﴾^(٢).

٤ - ولإرادة انتقاش معناه في ذهن السامع. نحو ﴿أَسْكَنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٣).

(١) سورة المسد: الآية ٤.

(٢) سورة الحجر: الآية ٣٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٥.

المبحث الثالث في التقييد بعطف البيان

أما عطف البيان فيؤتى به :

- أ - لمجرد التوضيح للمتبوع باسم مُختص به^(١) نحو أقسم بالله أبو حفص عُمر .
ب - وللمدح . كقوله تعالى : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَبَكَةَ أَلَبَّتَ الْحَرَامَ قَيْنًا لِلنَّاسِ ﴾^(٢) فالبيت الحرام عطف بيان للمدح .

المبحث الرابع في التقييد بعطف النسق

أما عطف النسق فيؤتى به للأغراض الآتية :

- ١ - لتفصيل المسند إليه باختصار، نحو : جاء سعد وسعيد، فإنه أخصر من : جاء سعد، وجاء سعيد، ولا يعلم منه تفصيل المسند لأن الواو لمطلق الجمع .
٢ - ولتفصيل المسند مع الاختصار أيضًا، نحو - جاء نصر فمَنْصُور^(٣) أو ثم منصور، أو جاء الأمير حتى الجند . لأن هذه الأحرف الثلاثة مُشتركة في تفصيل المسند - إلا أن الأول يفيد الترتيب مع التعقيب والثاني يفيد الترتيب مع التراخي - والثالث يفيد ترتيب أجزاء ما قبله ذاهبًا من الأقوى إلى الأضعف - أو بالعكس - نحو مات الناس حتى الأنبياء .

(١) يكفي في التوضيح أن يوضح الثاني الأول عند الاجتماع، وإن لم يكن أوضح منه عند الانفراد، نحو على زين العابدين، ونحو: عسجد ذهب .

(٢) سورة المائدة: الآية ٩٧ .

(٣) قد تجيء الفاء للتعقيب في الذكر دون الزمان - إما مع ترتيب ذكر الثاني على الأول كما في تفصيل الإجمال في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوحِ رَبِّكَ ﴾ [هود: ٤٥] فقال : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ أَهْلَ ﴾ [هود: ٤٥] - ونحو ﴿ أَدْخُلُوا أَبْوََابَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا قَدْ قَسَّ مَثْوَى الْمُتَكِينِينَ ﴾ [غافر: ٧٦، الزمر: ٦٠] .

وإما بدون ترتيب وذلك عند تكرير اللفظ الأول - نحو بالله - فبالله وقد تجيء ثم للتراخي في الذكر دون الزمان - إما مع الترتيب المذكور نحو : [الخفيف]

إن ما ساد ثم ساد أبوه ثم ساد قبل ذلك جده

فإن الغرض ترتيب درجات حال الممدوح . فابتدأ بسيادته ثم بسيادة أبيه . ثم بسيادة جده . وإما بدون ترتيب نحو ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْآزِنِ ﴾ [الانفطار: ١٧ - ١٨] ثم ما أدراك ما يوم الدين . . ولاستبعاد مضمون جملة عن مضمون جملة أخرى نحو ﴿ ثُمَّ أَنْشَأَتْهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ [المؤمنون: ١٤] فنزلوا الترتيب في هذه الأمور منزلة الترتيب الزماني المستفاد منها بأصل الوضع ولذا يكون استعمالها في هذه الأمور مجازًا .

٣ - ولرّد السامع إلى الصّواب مع الاختصار - نحو جاء نصر - لا منصور أو: لكن منصور .

٤ - ولصرف الحكم إلى آخر - نحو ما جاء منصور بل نصر .

٥ - وللشك من المتكلم - أو التشكيك للسامع ، أو للإبهام - نحو ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَانُوا يَسْمَعُونَ﴾ (١) .

٦ - وللإباحة أو التخيير - نحو تعلّم نحوًا أو صرفًا . وتزوّج هنّدًا أو أختها - ونحو تعلّم إمّا صرفًا وإمّا نحوًا ، وتزوّج إمّا هنّدًا أو أختها .

المبحث الخامس

في التقييد بالبدل

يؤتى بالبدل لزيادة التقرير والإيضاح ، لأن البدل مقصودٌ بالحكم بعد إبهام ، نحو حضر ابني عليّ . في بدل الكلّ - وسافر الجندُ أغلبه في بدل البعض . ونفعني الأستاذ علمه . في بدل الاشتمال - ووجهك بدرّ شمسٍ - في بدل الغلط (٢) لإفادة المبالغة التي يقتضيها الحال .

المبحث السادس

في التقييد بضمير الفضل

يؤتى بضمير الفضل لأغراض :

١ - منها التخصيص ، نحو ﴿أَلَمْ يَكْمُلُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ (٣) .

٢ - ومنها تأكيد التخصيص إذا كان في التركيب مخصص آخر .

كقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٤) .

٣ - ومنها تمييز الخبر عن الصفة ، نحو - العالم هو العاملُ بعلمه .

(١) سورة سبأ : الآية ٢٤ .

(٢) لكن الحق الذي عليه الجمهور أن بدل الغلط لا يقع في كلام البلاء .

(٣) سورة التوبة : الآية ١٠٤ .

(٤) سورة التوبة : الآية ١٠٤ .

المبحث السابع في التقييد بالنواسخ

التقييد بها يكون للأغراض التي تؤذيها معاني ألفاظ النواسخ كالاستمرار - أو لحكاية الحال الماضية في «كان»^(١).

والتوقيت بزمان معين في «ظلّ، وبات، وأصبح، وأمسى وأضحى».

والتوقيت بحالة معينة في «مادام».

والمقاربة في «كاد، وكرب، وأوشك».

والتأكيد في «إنّ وأنّ» - والتشبيه في «كأنّ».

وكالاستدراك في «لكنّ» - والرجاء في «لعلّ» - والتمني في «ليتّ» - واليقين في

«وجد، وألفى، ودري، وعلم - والظنّ في خال، وزعم، وحسب، والتحوّل: في اتّخذ وجعل وصيرّ» وهلمّ جرّاً.

المبحث الثامن في التقييد بالشّروط

التقييد به يكون للأغراض التي تؤذيها معاني أدوات الشّروط - كالزمان في «متى وأيان» والمكان في أين، وأنى، وحيثما - والحال في «كيفما» واستيفاء ذلك وتحقيق الفرق بين تلك الأدوات يُذكر في علم النحو وإنّما يفرّق هنا بين «إنّ وإذا ولو» لاختصاصها بمزايا تُعدّ من وجوه البلاغة.

الفرق بين إن - وإذا - ولو

الأصل عدم قطع المتكلّم بوقوع الشّروط في المستقبل مع «إن» ومن ثمّ كُثِرَ أن تُستعمل «إن» في الأحوال التي يندُر وقوعها ووجب أن يتلوها لفظ المضارع لاحتمال الشكّ في وقوعه^(٢).

بخلاف «إذا» فتُستعمل بحسب أصلها في كلّ ما يقطع المتكلّم بوقوعه في المستقبل

(١) فالجملة تتعقد من الاسم والخبر - أو من المفعولين اللذين أصلهما مبتدأ وخبر ويكون الناسخ قيّداً - فإذا قلت: رأيت الله أكبر كل شيء، فمعناه الله أكبر كل شيء على وجه العلم واليقين. وهكذا.

(٢) ولذا لا يقال إن طلعت الشمس أزرك: لأن طلوع الشمس مقطوع بوقوعه، وإنما يقال إذا طلعت الشمس أزورك.

- ومن أجل هذا لا تُستعمل «إذا» إلّا في الأحوال الكثيرة الوقوع، ويتلوها الماضي لدلالته على الوقوع قطعاً - كقوله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾^(١).

فلكون مجيء الحسنة منه مُحققاً - ذكر هو والماضي مع (إذا).

وإنّما كان ما ذكر مُحققاً - لأنّ المراد بها مُطلق الحسنة الشامل لأنواع كثيرة من خصب ورخاء وكثرة أولاد، كما يفهم من التعريف بال الجنسية في لفظة «الحسنة».

ولكون مجيء السيئة نادراً ذكر هو والمضارع مع (أن).

وإنّما كان ما ذكر نادراً لأنّ المراد بها نوعٌ قليلٌ هو جذبٌ وبلاءٌ كما يفهم من التثكير في لفظة «سيئة» الدال على التقليل.

ولو - تفيد انتفاء الشيء بسبب انتفاء غيره في الماضي مع القطع بانتفاء الوقوع.

ويجب كون جملتيها فعليّتين ماضويّتين، نحو: لو أتقنت عملك لبلغت أملك.

وتُسمّى «لو» حرف امتناع لامتناع - كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ فَسَدَّتَا﴾^(٢) ونحو: ﴿لَوْ شَاءَ لَدَلَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٣) أي انتفت هدايته إياكم بسبب انتفاء مشيئته لها.

تنبيهات

الأول: يُعلم ممّا تقدم أن المقصود بالذات من الجملة الشرطية هو الجواب فإذا قلت إن اجتهد فريد كافأته، كنت مخبراً بأنك ستكافئه، ولكن في حال حصول الاجتهاد، إلا في عموم الأحوال^(٤).

ويتفرّع على هذا أنها تُعدّ خبريّة أو إنشائية باعتبار جوابها.

الثاني: ما تقدّم من الفرق بين «إن» و«إذا» هو مقتضى الظاهر.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٣١. (٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

(٤) قال السكاكي قد يُقيّد الفعل بالشرط لاعتبارات تستدعي التقييد به ولا يخرج الكلام بتقييده به عما كان عليه من الخبرية والإنشائية - فالجزاء إن كان خبراً فالجملة خبرية نحو إن جئتني أكرمك أي أكرمك لمجيئك، وإن كان إنشاءً فالجملة إنشائية نحو إن جاءك خليل فأكرمه، أي أكرمه وقت مجيئه، فالحكم عنده في الجمل المصدرة بأن وأمثالها في الجزاء، وأمّا نفس الشرط فهو قيد للمسند فيه، وقد أخرجته الأداة عن الخبرية واحتمال الصدق والكذب.

وقد يَخْرُجُ الكلامُ على خلافه، فتستعمل «إن» في الشرط المقطوع بثبوته أو نفيه - لأغراض كثيرة.

أ - كالتجاهل - نحو قول المعتذر - إن كُنْتُ فعلتُ هذا فعن خطأ.

ب - وكتنزيل المخاطب العالم منزلة الجاهل لمخالفته مقتضى علمه .
كقولك للمتكبر تويخًا له - إن كُنْتُ من تراب فلا تفتخر.

ج - وكتغليب غير المتّصف بالشرط على المتّصف به كما إذا كان السّفر قطعيّ الحصول لسعيد، غير قطعيّ لخليل، فتقول إن سافرْتُما كان كذا^(١) وقد تُستعمل إذا في الشرط المشكوك في ثبوته أو نفيه، لأغراض:

أ - منها الإشعار بأن الشك في ذلك الشرط لا ينبغي أن يكون مشكوكًا فيه: بل لا ينبغي ألا يكون مجزومًا به - نحو إذا كثر المطر في هذا العام أخصب الناس.

ب - ومنها تغليب المتّصف بالشرط على غير المتّصف به - نحو إذا لم تسافرْ كان كذا - وهلمّ جرًا من عكس الأغراض التي سبقت.

الثالث: لما كانت (إن) و(إذا) لتعليق الجزاء على حصول الشرط في المستقبل وجب أن يكون شرطُ وجزاءُ كلّ منهما جملةً فعليةً استقباليةً لفظًا ومعنى، كقوله تعالى: ﴿وإن يَسْتَفِئُوا بِأَعْوَابِكَ كَالْمَهِلِ﴾^(٢).

وكقول الشاعر:

[الكامل]

وَإِذَا تُرِدَّ إِلَى قَلِيلٍ تَفْنَعُ

ولا يُعدّلُ عن استقباليّة الجملة لفظًا ومعنى إلى استقباليّتها معنى فقط إلا لدواعٍ غالبًا.

(١) أي ففيه تغليب لمن لم يقطع له بالسفر على من قطع له به، فاستعملت إن في المجزوم وهو من قطع له به بسبب تغلبه على من لم يقطع له به - وهذا السبب مساغ لذكر إن - واعلم أن التغليب (الذي هو أن يعطى أحد المصطحبين أو المتشاكلين حكم الآخر) باب واسع يجري في أساليب كثيرة لنكات عديدة، سمحت بها المطولات في هذا المقام. واعلم أن المقصود بالذات من جمليتي الشرط والجواب هو جملة الجواب فقط وأما جملة الشرط فهي قيد لها، فإذا قلت إن زارني سليم أكرمه فالمقصود أنك ستكرم سليمًا ولكن في حال زيارته لك. فتعدّ اسمية أو فعلية خبرية أو إنشائية باعتبار الجواب كما سبق توضيحه مفصلاً، فارجع إليه إن شئت.

- أ - منها التَّفَاوُل - نحو - إِنْ عِشْتُ فَعَلْتُ الْخَيْرَ^(١).
- ب - ومنها تخييل إظهار غير الحاصل «وهو الاستقبال» في صورة الحاصل «وهو الماضي» - نحو - إِنْ مِتُّ كَانَ مِيرَاثِي لِلْفُقَرَاءِ.
- الرَّابِع: عُلِمَ مما تقدّم من كون «لو» للشَّرْطِ في الماضي لزوم كون جملتي شرطها وجزائها فعليتين ماضويتين. وعدم ثبوتها.
- وهذا هو مُقْتَضَى الظَّاهِر - وقد يخرج الكلام على خلافه.
- فَتُسْتَعْمَلُ «لو» في المضارع لدواعٍ اقتضاها المقام - وذلك.
- أ - كالأشارة إلى أن المضارع الذي دخلت عليه يُقصد استمراره فيما مضى وقتاً بعد وقت، وحصوله مرّة بعد أخرى - كقوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾^(٢).

ب - وكتنزيل المضارع منزلة الماضي لصدوره عَمَّنِ المُسْتَقْبَلِ عنده بمنزلة الماضي في تحقّق الوقوع، ولا تخلّف في أخباره كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾^(٣).

المبحث التاسع

في التقييد بالنفي

التقييد بالنفي يكون لسلب النسبة على وجه مخصوص ممّا تفيده أحرف النّفي السّبعة - وهي - لا. وما. ولات. وإن. ولن. ولم. ولما.

(١) وقد تستعمل إن في غير الاستقبال لفظاً ومعنى - وذلك فيما إذا قصد بها تعليق الجزاء على حصول الشرط في الماضي حقيقة كقول أبي العلاء المعري: [الطويل]

فيا وطني إن فاتني بك سابق
من الدهر فلينعم بساكنك البال

وقد تستعمل إذا أيضاً في الماضي حقيقة نحو ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّنَدَيْنِ﴾ [الكهف: ٩٦] وللاستمرار نحو: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٤].

(٢) أي امتنع عنكم أي وقوعكم في جهد وهلاك بسبب امتناع استمراره فيما مضى على إطاعتكم، سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٣) نزل وقوفهم على النار في يوم القيامة منزلة الماضي فاستعمل فيه إذ ولفظ الماضي وحينئذ فكان الظاهر أن يقال ولو رأيت بلفظ الماضي - لكن عدل عنه إلى المضارع تنزيلاً للمستقبل الصادر عَمَّنِ لا خلاف في خبره منزلة الماضي الذي عُلِمَ وتحقّق معناه - كأنه قيل قد انقضى هذا الأمر وما رأيت - ولو رأيت لرأيت أمراً فظيماً، سورة السجدة: الآية ١٢.

(فلا) للنفي مطلقاً - (وَمَا وَإِنْ وَلَآتْ) لنفي الحال إن دخلت على المضارع - (ولن) لنفي الاستقبال - (ولم ولَمَّا) لنفي المضي - إلا أنه (بَلَمَّا) يَنسحبُ إلى ما بعد زمن التكلم: ويختص بالمتوقع - وعلى هذا فلا يقال لَمَّا يَقم خليلٌ ثم قام - ولا: لَمَّا يجتمع التقيضان - كما يقال لم يَقم عليٌّ ثم قام ولم يجتمع الضدان؛ فلَمَّا في النفي تقابل (قد) في الإثبات - وحينئذ يكون منفيها قريباً من الحال - لا يصح لَمَّا يَجيء خليل في العام الماضي.

المبحث العاشر

في التقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها

التقييد بها يكون لبيان نوع الفعل؛ أو ما وقع عليه. أو فيه. أو لأجله أو بمُقارنته. ويُقيد بالحال لبيان هيئة صاحبها وتقييد عامِلها. ويُقيد بالتمييز لبيان ما خفي من ذات أو نسبة. فتكون القيودُ هي محطُّ الفائدة، والكلام بدونها كاذبٌ - أو غير مقصود بالذات - كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ﴾^(١) وقد سبق القولُ في ذلك مفصلاً.

تنبيهان

الأول: عَلِمَ ممَّا تقدَّم أن التقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها للأغراض التي سبقت - وتقييدها إذا كانت (مذكورة).

أما إذا كانت (محذوفة) فتفيد أغراضاً أخرى:

- ١ - منها التعميم باختصار - كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾^(٢) (أي جميع عباده) لأنَّ حذف المعمول يؤذن بالعموم^(٣). (ولو ذُكر لفات غرض الاختصار).
- ٢ - ومنها الاعتماد على تقدُّم ذكره - كقوله تعالى: ﴿يَمَحُورُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾^(٤) أي وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ.

(١) سورة الدخان: الآية ٣٨.

(٢) سورة يونس: الآية ٢٥.

(٣) أي ما لم يكن تعلق فعل المشبهة بالمفعول قريباً كقوله: [الطويل]

فلو شئت أن أبكي دماً لبكيتَه عليه ولكن ساحة الصبر أوسع
وأعدته ذخراً لكلِّ ملَمّة وسهم المنايا بالذخائر أولع
فإن تعلق فعل المشبهة ببكاء الدم غريب. فلذا لم يحذف المفعول ليتقرر في نفس السامع.

(٤) سورة الرعد: الآية ٣٩.

٣ - ومنها طلب الاختصار - نحو ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾^(١) أي يغفر الذنوب .

٤ - ومنها استهجان التصريح به نحو: (ما رأيت منه ولا رأى مني) أي العورة .

٥ - ومنها البيان بعد الإبهام - كما في حذف مفعول فعل المشيئة^(٢) ونحوها^(٣) إذا وقع ذلك الفعل شرطاً فإنّ الجواب يدلّ عليه ويبيّنه بعد إبهامه فيكون أوقع في النفس، ويقتّر المفعول مصدرًا من فعل الجواب نحو ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ﴾^(٤) أي فمن شاء الإيمان .

٦ - ومنها المحافظة على سجع - أو: وزن .

فالأول: كقوله تعالى: ﴿سَيَذْكُرُ مَنْ يَخْشَى﴾^(٥) .

إذ لو قيل يخشى الله - لم يكن على سنن رؤوس الآي السابقة والثاني - كقول المتنبي:

[الطويل]

بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا يَقْرَعُ الْقَنَا وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمٌ

٧ - ومنها تعيّن المفعول - نحو رعت الماشية (أي نباتًا) .

٨ - ومنها تنزيل المتعدي منزلة اللازم لعدم تعلق الغرض بالمعمول بل يجعل المفعول نسيًا، بحيث لا يكون ملحوظًا مقدّرًا .

ولا يلاحظ تعلق الفعل به أصلًا كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٦) .

الثاني: الأصل في العامل أن يُقدّم على المعمول .

وقد يُعكس فيقدّم المعمول على العامل لأغراض شتى:

١ - منها التخصيص - نحو ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٧) .

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٤، سورة المائدة: الآية ٤٠ .

(٢) هذا التعميم وإن أمكن بذكر المفعول على صيغة العام، لكن يفوت الاختصار المطلوب .

(٣) أي ما يرادفها في المعنى كالإرادة والمحبة .

(٤) سورة الكهف: الآية ٢٩ . (٥) سورة الأعلى: الآية ١٠ .

(٦) أي فالغرض مجرد إثبات العلم ونفيه بدون ملاحظة تعلقه بمعلوم عام أو خاص - والمعنى لا يستوي من ثبت له حقيقة العلم ومن لم تثبت له، فلو قدر له مفعول وقيل: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] لفات هذا الغرض، سورة الزمر: الآية ٩ .

(٧) وذلك لأن المناسب لمقام عرض العبادة له تعالى تخصيصها به، لا مجرد الإخبار بأن العبادة له، فاستفاد التخصيص من التقديم إنما هي بحسب المقام لا بأصل الوضع، سورة الفاتحة: الآية ٥ .

- ٢ - ومنها رَدُّ المخاطَب إلى الصُّواب عند خَطِئِهِ في تعيين المفعول نحو: نصرًا رأيت - ردًا لمن اعتقد أنك رأيت غيره.
- ٣ - ومنها كون المتقدم محطَّ الإنكار مع التعجب - نحو أبعدَ طُولِ التَّجَرِبَةِ تنخدع بهذه الزُّخارف.
- ٤ - ومنها رعاية مُوازاة رُؤوس الآي - نحو ﴿خُذُوا فُلُوكُمْ﴾ ﴿فَرَّ الْبَاجِمِ صَلَواتُهُ﴾^(١) وهلمَّ جرًّا من بقية الأغراض التي سبقت^(٢).

تطبيق عام على الإطلاق والتقييد

[المتقارب]

إذا كنتَ في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم
جملة فارعها إنشائية أمرية والأمر مستعمل في أصل معناه، المسند إليه أنت وهي مقيدة بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل، ومقيدة بالشرط للتعليق، وكانت أداة الشرط إذا لتحقق الحصول «فإن المعاصي تزيل النعم» جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بالخبر التحذير من المعاصي.

المسند إليه المعاصي والمسند جملة تزيل، وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الإسناد، وقيد بالمفعول به «النعم» لبيان ما وقع عليه الفعل، والحكم مقيد بأن للتوكيد.

إن اجتهد خليل أكرمه - الجملة «أكرمه» وهي جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي المسند أكرم والمسند إليه التاء وهي مقيدة بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل، وبالشرط للتعليق. وكانت أداة الشرط «إن» لعدم الجزم بوقوع الفعل.

(١) سورة الحاقة: الآية ٣٠.

(٢) أي فيكون التقديم للتبرك والاستلذاذ وموافقة كلام السامع والاهتمام وضرورة الشعر، وغير ذلك - واعلم أن اختلاف الترتيب بين المعمولات:

إِنَّمَا لأمر معنوي نحو ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ [يس: ٢٠] - فلا آخر المجرور لتوهم أنه من صلة الفاعل، والمراد كونه من صلة فعله.

وإما لأمر لفظي نحو ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْمُنْكَرُ﴾ [النجم: ٢٣] - فلو قدم الفاعل لاختلفت الفواصل لأنها مبنية على الألف - وقد يتقدم بعض المفاعيل على بعض إما لأصالة في التقدم لفظًا نحو حسبت زيدًا كريمًا فإن زيدًا وإن كان مفعولًا في الحال لكنه مبتدأ في الأصل - أو معنى نحو أعطى زيد عمرًا درهمًا فإن عمرًا وإن كان مفعولًا بالنسبة إلى زيد لكنه لا يخلو من معنى الفاعلية بالنسبة إلى الدرهم لأنه أخذ الدرهم وأخوذ.

[الخفيف]

وأصابت تلك الرُّبى عين شمس أورثتها من لونها اصفرارا
كلما جال طرفها تركت النسا س سكارى وما هم بسكارى

«وأصابت تلك الرُّبى» جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. والمراد بالخبر أصل الفائدة - المسند أصاب، ذكر لأن الأصل فيه ذلك. وقدم لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار، والمسند إليه عين شمس، ذكر لأن الأصل فيه ذلك وآخر لاقتضاء المقام تقديم المسند وخصص بالإضافة لتعنيها طريقاً لإحضار معناه في ذهن السامع. والمضاف إليه شمس قيد بالصفة «أورثتها من لونها» لأنها في محل جر صفة شمس للتخصيص. وقيد الحكم بالمفعول به «تلك» لبيان ما وقع عليه الفعل وعرف المفعول به بالإشارة لبيان حاله في البعد. وقيد المفعول بالبدل «الرُّبى» لتقرير حاله في نفس السامع «تركت الناس سكارى» هي الجملة لأن الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها وهي جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي والمراد بالخبر التفخيم المسند إليه الناس، ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بأل للعهد الذهني لأن المراد بالناس الذين نظروا إليها، والمسند سكارى ذكر وآخر لأن الأصل فيه ذلك ونكر للتهويل والحكم مقيد بترك لإفادة التحويل وبالشرط للتعليق وكانت أداة الشرط كلما لإفادة التكرار. «وما هم بسكارى» جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث والمراد بالخبر أصل الفائدة، المسند إليه هم والمسند سكارى والحكم مقيد بما لنفي الحال.

[البسيط]

لا تياسنّ وكن بالصبر معتصماً لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

«لا تياسن» جملة إنشائية نهية والمراد بالنهي الإرشاد. المسند لا تياسن والمسند إليه أنت. و«كن بالصبر معتصماً» أصلها أنت معتصم بالصبر، وهي جملة إنشائية أمرية والمراد بالأمر الإرشاد أيضاً، المسند إليه الضمير المستتر في كن والمسند معتصماً والحكم مقيد «بالصبر» لبيان ما وقع عليه الفعل، وبالأمر «كن» لإفادة التوقيت بالاستقبال «لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا» أصلها لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر وهي جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي والمراد بالخبر الحث على الصبر. المسند تبلغ والمسند إليه أنت والحكم مقيد بلن للنفي في المستقبل. وبالجار والمجرور لبيان غاية الفعل.

[الوافر]

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراء فرج قريب

في البيت جملة إنشائية غير طلبية وهي إسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد - المسند إليه «الكرب» ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك وعرف

بأل للعهد الذهني، وقيد بالنعته «الذي أمسيت فيه» لتوضيحه والمسند يكون الخ والحكم مقيد بعسى لإفادة الرجاء - وأما جملة النعت «الذي أمسيت فيه» فهي جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي المسند إليها فيها التاء - والمسند الجار والمجرور والحكم مقيد بأمسى لإفادة المساء وجملة الخبر «يكون وراءه فرج قريب» جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي. المسند إليه فيها «فرج» ذكر لأن الأصل فيه ذلك وآخر لضرورة النظم وقيد بالنعته «قريب» لإفادة القرب والمسند وراءه - ذكر لأن الأصل فيه ذلك وقدم للضرورة والحكم مقيد بالناسخ «يكون» لإفادة الاستقبال.

[المنسرح]

يوشك من فر من منيته في بعض غرّاته يوافقها أصل الجملة يوشك من فر من منيته يوافقها في بعض غرّاته وهي جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بها التثبيس من الخلود في هذه الدنيا، المسند إليه «من» ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك وعرف بالموصولية لعدم العلم بما يخصه غير الصلة والمسند جملة يوافقها. ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك وأتى به جملة لتقوية الحكم وقيد بالجار والمجرور لبيان زمنه. والحكم مقيد بالناسخ «يوشك» لإفادة المقاربة.

[السريع]

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان إن الثمانين قد أحوجت. جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث والمراد بها إظهار الضعف - المسند إليه «الثمانين» ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بأل للعهد الذهني. والمسند (قد أحوجت) ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك وأتى به جملة لتقوية الحكم - والحكم مقيد بأن وقد للتوكيد، وأما قوله وبلغتها فهي معترضة للدعاء وهي جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. المسند إليه التاء والمسند بلغ، والحكم مقيد بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل.

أسئلة على الإطلاق والتقييد يطلب أجوبتها

ما هو الإطلاق؟ ما هو التقييد؟ متى يكون الإطلاق؟ متى يكون التقييد؟ لماذا يقيد بالنعته؟ لماذا يقيد بعطف النسق؟ لماذا يقيد بالبدل؟ لماذا يقيد بالمفاعيل الخمسة؟ لماذا يقيد بالحال؟ لماذا يقيد بالتمييز؟ لماذا يقيد بالنواسخ؟ لماذا يقيد بضمير الفصل؟ لماذا يقيد بالشرط؟ ما الفرق بين إن وإذ ولو؟ ما المقصود من الجملة الشرطية؟ هل يمكن أن تستعمل إن في مقام الجزم بوقوع الشرط؟ هل يمكن أن تستعمل إذا في مقام الشك؟ هل يمكن أن تستعمل لو مع المضارع؟ لماذا يقيد بالنفي.

الباب الساس

في أحوال متعلقات الفعل

الأصل في الفعل بناؤه للمعلوم، وقد يُبنى للمجهول ويُحذف الفاعل لأغراض شتى.

- ١ - للعلم به - نحو ﴿وَلَخْلَقَ الْإِنْسَانَ صَوِيْفًا﴾^(١).
- ٢ - أو للجهل به - نحو - سُرِقَ المتاع - إذا لم يُعرف السارق.
- ٣ - أو للخوف عليه - نحو شَتِمَ الأمير. إذا خِيفَ على الشاتم.
- ٤ - أو للخوف منه - نحو قَتَلَ قَتِيلٌ: إذا خِيفَ مِنَ القاتل.
- ٥ - أو للمحافظة على سجع - نحو (من طابت سريرته حُمدت سيرته).
- ٦ - أو لتعظيم الفاعل إذا كان الفعل خسيساً - أو صونه عن اللسان نحو تَكَلَّمَ بما لا يليق.
- ٧ - أو لتحقيقه بصون اللسان عنه - نحو - قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ.

والأصل في المفعول أن يُؤخر عن الفعل ولا يُقدَّم عليه إلا لأغراض كثيرة:

- ١ - منها التخصيص - نحو ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾^(٢) ردًا على من قال أعتقد غير ذلك.
 - ٢ - ومنها رعاية الفاصلة - نحو ﴿ثُمَّ لَمْ يَجِمْ صَلَوَةُ﴾^(٣).
 - ٣ - منها التبرُّك - نحو - كِتَابًا مَقْدَسًا تَلُوْثُ.
 - ٤ - ومنها التلذُّذ - نحو - الحبيبَ قابِلْتُ.
- والأصل في العامل أن يُقدَّم على المفعول؛ كما أن الأصل في المفعول أن يُقدَّم عُمْدَتُهُ على فضيلته - فيُحفظ هذا الأصل بين الفعل والفاعل.
- أما بين الفعل والمفعول ونحوه كالظرف والجار والمجرور فيختلف الترتيب للأسباب الآتية:

(٢) سورة الفاتحة: الآية ٥.

(١) سورة النساء: الآية ٢٨.

(٣) سورة الحاقة: الآية ٣١.

- أ - إمّا لأمر معنويّ - نحو ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾^(١) (فلو أخطر المجرور لتوهم أنه من صلة الفاعل وهو خلاف الواقع لأنه صلة لفعله).
- ب - وإمّا لأمر لفظي - نحو ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾^(٢).
فلو قدّم الفاعل لاختلّفت الفواصل، لأنّها مبنية على الألف.
- ج - وإمّا للأهمية - نحو - قُتل الخارجي فلانّ.
وأما تقديم الفضلات على بعض - فقد يكون:
- أ - للأصالة في التقدّم لفظاً - نحو حسبّ الهلال طالعا، فإنّ الهلال وإن كان مفعولاً في الحال لكنه مبتدأ في الأصل أو للأصالة في التقدّم معنى - وذلك كالمفعول الأول في نحو: أعطى الأمير الوزير جائزة، فإن الوزير وإن كان مفعولاً بالنسبة إلى الأمير، لكنه فاعل في المعنى بالنسبة إلى الجائزة^(٣).
- ب - أو لإخلال في تأخيره - نحو مررت راكباً بفلان - فلو أخرت الحال لتوهم أنها حال من المجرور، وهو خلاف الواقع فإنها حال من الفاعل والأصل في المفعول ذكره، ولا يحذف إلّا لأغراض تقدّم ذكرها.

(١) سورة يس: الآية ٢٠.

(٢) سورة النجم: الآية ٢٣.

(٣) لأن الجائزة مأخوذة، والأخذ لها الوزير الذي فيه معنى الفاعلية التي تستدعي حق التقديم.

الباب السابع

في القصر

القصر لغة الحبس - واصطلاحاً هو تخصيص أمرٍ بآخرٍ بطريق مخصوص أو - هو: إثبات الحكم لما يذكر في الكلام ونفيه عما عداه بإحدى الطرق الآتية:

نحو: ما فهم إلا خليل - فمعناه تخصيص الفهم بخليل، ونفيه عن غيره ممن يُظنُّ فيه ذلك - فما قبل «إلاً» وهو الفهم يسمّى مقصوراً وما بعدها وهو (خليل) يسمى مقصوراً عليه (وما - وإلاً) طريق القصر ولكن قصر طرفان «مقصور، ومقصور عليه» وفي هذا الباب أربعة مباحث:

المبحث الأول

في طريق القصر

للقصر طرقٌ كثيرة - وأشهرها في الاستعمال أربعة^(١) وهي:

- (١) ومن طرق القصر التي ليست مشهورة الاستعمال لفظ: وحده. أو فقط. أو لا غير. أو ليس غير. أو مادة الاختصاص، أو مادة القصر. أو توسط ضمير الفصل. أو تعريف المسند إليه. أو تقديم المسند إليه على خبره الفعلي أحياناً وغير ذلك. وهذه الطرق خالية من اللطائف البلاغية وقد أوصلها السيوطي في كتاب «الإتقان في علوم القرآن» إلى أربعة عشر طريقاً.
- أهمها الطرق الأربعة المشهورة الاستعمال وهي تختلف من أوجه كثيرة:
- منها أن لا العاطفة لا تجتمع مع النفي والاستثناء لأن شرط المنفي بها أن لا يكون منفياً صريحاً قبلها بغيرها فلا تقول ما عليّ إلا مجتهدٌ لا متكاسل - ولذا عيب على الحريري قوله: [الطويل]
- لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما تحلى يومه ابن أمسه
- وتجتمع «لا» مع إنما أو التقدم نحو إنما أنا مصري سوري. ونحو المجتهدٌ أكرمٌ لا المتكاسلُ لأن النفي فيهما غير مصرح به - ومنها أن الأصل في الحكم مع النفي والاستثناء - أن يكون مجهولاً منكراً للمخاطب (أي شأنه أن يجهله المخاطب وينكره) بخلاف إنما لأن النفي مع الاستثناء لصراحته أقوى في التأكيد من إنما فينبغي أن يكون لشديد الإنكار. ونحو: قولك (وقد رأيت شبهاً من بعد) ما هو إلا زيد لمن اعتقد أنه غيره. ونحو: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠]. لما كانوا مصريين على دعوى الرسالة مع زعم المكذبين امتناع الرسالة في =

- ١ - النفي والاستثناء، نحو: ما شوقي إلا شاعر - أو: ما شاعر إلا شوقي.
- ٢ - وإنما - نحو: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١).
- ٣ - والعطف بلا - وبل - ولكن - نحو: الأرض متحركة لا ثابتة.
- أو: ما الأرض ثابتة بل متحركة - أو: ما الأرض ثابتة لكن متحركة.
- ٤ - وتقديم ما حقه التأخير - نحو ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٢).

= البشر. رد المكذبون إصرارهم عليها بقولهم ذلك.

وقد ينزل المعلوم منزلة المجهول لغرض بلاغي فيستعمل فيه النفي والاستثناء نحو ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤] أي مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبرّي من الموت.

وهذا معلوم للصحابة منزلة المعلوم نحو إنما نحن مصلحون. لا دعائهم أن كونهم مصلحين أمر ظاهر. ولهذا رد عليهم بقوله ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [البقرة: ١٢] مؤكدا بما ترى بالجملة - فالاستثناء لقوته يكون لرد شديد الإنكار حقيقة أو ادعاء - و«إنما» لضعفها تكون لرد الإنكار في الجملة حقيقية أو ادعاء - ومنها زيادة «إنما» على العطف بمزية أنه يفهم منها الحكمان أعني الإثبات للمذكور - والنفي عما عداه معاً، بخلاف العطف فإنه يفهم منه أولاً الإثبات، ثم النفي، أو عكسه، نحو إنما خليل فاهم - خليل فاهم لا حافظ - وأحسن مواقعها التعريض نحو ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أَوْلَا الْأَنْبِيَاءِ﴾ [الرعد: ١٩].

واعلم أن «غير» كإلا في إفادة القصرين، وفي امتناع اجتماعه مع لا العاطفة فلا يقال ما علي غير شاعر لا منجم، وما شاعر غير علي لا نصر.

تنبيهات: الأول - الأصل في العطف أن ينص فيه على المثبت له الحكم والمنفي عنه إلا إذا خيف التطويل - وفي الثلاثة الباقية يُنص على المثبت فقط.

الثاني - النفي بلا العاطفة - لا يجتمع مع النفي والاستثناء فلا تقول ما محمد إلا ذكي لا غبي. لأن شرط جواز النفي بلا أن يكره ما قبلها منفياً بغيرها ويجتمع النفي بلا العاطفة مع كل من إنما والتقديم. فتقول: ما محمد ذكي لا غبي. وبالذكاء يتقدم محمد لا بالغباوة.

الثالث - الأصل في (النفي والاستثناء) أن يجيء لأمر ينكره المخاطب - أو يشك فيه - أو لما هو منزل هذه المنزلة: ومن الأخير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ إِن أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٢ - ٢٣].

الرابع - الأصل في (إنما) أن تجيء لأمر من شأنه أن لا يجهله المخاطب ولا ينكره، وإنما يراد تنبيهه فقط. أو لما هو منزل هذه المنزلة. فمن الأول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠] ومن الثاني قوله تعالى حكاية عن اليهود: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِّحُونَ﴾ [البقرة: ١١]، فهم قد ادّعوا أن إصلاحهم أمرٌ جلّي لا شك فيه - وقال الشاعر: [الطويل]

أنا الزائد الحامي الذمار وإنما
يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

«وتوضيح ذلك» أن المقصور عليه «في النفي والاستثناء» هو ما بعد أداة الاستثناء - نحو: وما توفيقى إلا بالله.

والمقصور عليه مع (إنما) يكون مؤخرًا في الجملة وجوبًا نحو: إنما الدنيا غرور.
والمقصور عليه مع (لا) العاطفة هو الواقع قبلها والمُقابل لما بعدها نحو: الفخر بالعلم لا بالمال.

والمقصور عليه مع (بل) أو (لكن) العاطفتين هو الواقع ما بعدهما نحو: ما الفخر بالمال بل بالعلم - ونحو: ما الفخر بالنسب لكن بالتقوى.

والمقصور عليه في (تقديم ما حقه التأخير) هو المُقدّم نحو: على الله توكلنا.

ملاحظات

١ - للقصر بآثما مزية على العطف لأنها تفيد الإثبات للشيء، والنفي عن غيره دفعة واحدة، بخلاف العطف فإنه يفهم منه الإثبات أولاً، ثم النفي ثانيًا - أو عكسه.

٢ - القصر بالتقديم لا يُدلّ عليه بطريق الوضع كالثلاثة الأول، بل مرجع دلالة إلى الذوق السليم والفكر الصائب - يُسمّى علماء المعاني التخصيص المُستفاد من هذه الوسائل بالقصر - ويُسمّون الوسائل نفسها طُرُقَ القصر.

المبحث الثاني

في تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع إلى قسمين

أ - قصر حقيقي^(١) وهو أن يختصّ المقصورُ بالمقصورِ عليه بحسب الحقيقة والواقع بآلاً يتعداه إلى غيره أصلاً - نحو لا إله إلا الله.

ب - وقصر إضافي - وهو أن يختصّ المقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر مُعيّن، لا لجميع ما عداه، نحو: ما خليل إلا مسافر: فإنك تقصد قصر السفر عليه بالنسبة لشخص غيره كمحمود مثلاً وليس قصدك أنه لا يوجد مسافر سواه، إذ الواقع يشهد ببطلانه.

(١) ومنه نوع يسمى بالقصر الحقيقي الادعائي ويكون على سبيل المبالغة بفرض أن ما عدا المقصور عليه لا يعتد به.

المبحث الثالث

في تقسيم القصر باعتبار طرفيه

ينقسم القصر باعتبار «طرفيه المقصور والمقصور عليه».

سواء أكان القصر حقيقياً أم إضافياً إلى نوعين:

أ - قصر صفة على موصوف - ومثاله من الحقيقي لا رازقَ إلا الله، ومثاله من الإضافي، نحو: لا زعيم إلا سعد.

ب - قصر موصوف على صفة. ومثاله من الحقيقي، نحو: ما الله إلا^(١) خالقُ كلِّ شيءٍ^(١).

ومثاله من الإضافي قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾^(٢).

(١) قصر الموصوف على الصفة في القصر الحقيقي لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها - ويكثر القصر الحقيقي في قصر الصفة على الموصوف بخلاف القصر الإضافي الذي يأتي كثيراً في كلِّ من قصر الصفة على الموصوف، وقصر الموصوف على الصفة - وأعلم أنَّ المراد بالصفة هنا الصفة المعنوية التي تدلُّ على معنى قائم بشيء، سواء أكان اللَّفْظ الدال عليه جامداً أو مشتقاً، فعلاً أو غير فعل، وليس المراد بها الصفة النحوية المسماة بالنعت.

أسباب ونتائج

الغاية من القصر تمكين الكلام وتقريره في ذهن كقول الشاعر: [الطويل]

وما المرء إلا كالهلال وضوئه يوافي تمام الشهر ثم يغيب
ونحو: [الطويل]

وما لامرئ طول الخلود وإنما يخلّده طول الشناء فيخلد
وقد يراد بالقصر المبالغة في المعنى كقول الشاعر: [الطويل]

وما المرء إلا الأصفران لسانه ومعقوله والجسم خلقٌ مُصور
وكقوله: [مجزوء الكامل]

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي
وذو الفقار لقب سيف الإمام علي، وسيف العاص بن منبه والقصر قد ينحو فيه الأديب مناحي

شئى، كأن يتجه إلى القصر الإضافي رغبة في المبالغة كقوله: [الرملي]

وما الدنيا سوى حلمٍ لذيذ تُنبّه تباشير الصّباح

وقد يكون من مرامي القصر التعريض كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ﴾ [الرعد: ١٩] إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها ولكنها تعريض بالمشركين الذين في حكم من لا عقل له.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

المبحث الرابع في تقسيم القصر الإضافي

ينقسم القصر الإضافي بنوعيه^(١) على حسب حال المخاطب إلى ثلاثة أنواع:

أ - قصر أفراد - إذا اعتقد المخاطب الشَّرِكَةَ - نحو ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدَهُ﴾^(٢) «ردًا على مَنْ اعتقد أن الله ثالث ثلاثة».

ب - قصر قلب - إذا اعتقد المخاطب عكسَ الحكم الذي تُثبِتُهُ نحو: ما سافر إلا عليّ. «ردًا على مَنْ اعتقد أن المسافرَ خليل لا عليّ». فقد قلبت وعكست عليه اعتقاده.

ج - قصر تعيين - إذا كان المخاطب يتردّد في الحكم: كما إذا كان متردّدًا في كون الأرض متحرّكة أو ثابتة فتقول له: الأرض متحركة لا ثابتة «ردًا على مَنْ شكَّ وتردّد في ذلك».

واعلم أن القصر يقع بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل، وبين الفاعل والمفعول، وغير ذلك من المتعلّقات.

تطبيق (١)

وضّح فيما يلي نوع القصر وطريقه

[البسيط]

١ - ما الدهرُ عندك إلا رَوْضَةٌ أَثْفُ يا مَنْ شمائلُهُ في دهره زَهْرٌ^(٣)

[الطويل]

٢ - ليس عارٌ بأن يُقَالَ فقيرٌ إنما العار أن يُقال بخيلٌ

(١) بخلاف الحقيقي بنوعيه، إذ العاقل لا يعتقد اتصاف أمر بجميع الصفات أو اتصافه بجميعها إلا واحدة، أو يتردد في ذلك، كيف وفي الصفات ما هي متقابلة فلا يصح أن يقصر الحكم على بعضها وينفي عن الباقي أفرادًا أو قلبًا وتعيينًا وعلى هذا المنوال قصر الصفة على الموصوف. كما في المطول وشرح التجريد.

(٢) سورة النساء: الآية ١٧١. (٣) روضة أنف، لم يرعها أحد.

الرقم الجملة	نوعه باعتبار المقصور	نوعه باعتبار الواقع	طريقه
١ - ما الدهر . .	موصوف على صفة	إضافي	النفي والاستثناء
٢ - إنما العار	موصوف على صفة	إضافي	إنما

[البسيط]

- ٣ - وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبَ أخلاقهم ذهبوا
[الطويل]
- ٤ - فلما أبى إلا البكاء رَفَذَتْهُ بعينين كانا للدموع على قَدَرٍ^(١)
[مجزوء الخفيف]
- ٥ - ما لنا في مديحه غيرُ نظم للمساعي التي سعاها ووصفُ
[الطويل]
- ٦ - بك اجتمع الملك المُبَدَّدُ شَمْلُهُ وَضُمَّتْ قَواصٍ منه بعد قَواصي^(٢)
[الطويل]
- ٧ - سيذكرني قومي إذا جدَّ جدُّهم وفي الليلة الظلماء يُفْتَقَدُ البدرُ^(٣)
[مجزوء الخفيف]
- ٨ - ما افترقنا في مديحه بل وَصَفْنَا بعضَ أخلاقه وذلك يَكْفِي

تطبيق (٢)

- ١ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدَهُ﴾^(٤).
- ٢ - قال تعالى: ﴿إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾^(٥).

(١) رَفَذَهُ أَعَانَهُ، قَدَرٌ: مصدر قدر على الشيء بمعنى اقتدر.

(٢) المبدد المفرق القواصي جمع قاصية، وهي الناحية البعيدة.

(٣) جد في أمره اجتهد. والجد (بكسر الجيم). الاجتهاد. وضده الهزل. يفتقد يطلب.

(٤) سورة النساء: الآية ١٧١.

(٥) سورة الشعراء: الآية ١١٣.

الرقم الجملة	نوعه باعتبار المقصور	نوعه باعتبار الواقع	طريقه	
٣ - إنما الأمم	موصوف على صفة	حقيقي ادعائي	إنما	
٤ - فلما أبى	صفة على موصوف	إضافي	النفي والاستثناء	
٥ - ما لنا	صفة على موصوف	إضافي	النفي والاستثناء	
٦ - بك اجتمع	صفة على موصوف	إضافي	تقديم الجار والمجرور	
٧ - وفي الليلة	موصوف على صفة	إضافي	تقديم الجار والمجرور	
٨ - ما افترقنا	موصوف على صفة	إضافي	بل	
الرقم الجملة	نوعه باعتبار الواقع	باعتبار المقصور	باعتبار المخاطب	طريقه
١ - إنما الله . . .	إضافي	موصوف على صفة	إفراد	إنما
٢ - إن حسابهم	إضافي	موصوف على صفة	إفراد	النفي والاستثناء

٣ - قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١).

٤ - قال تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾^(٢).

- ٥ - فَإِنْ كَانَ فِي لِبْسِ الْفَتَى شَرَفٌ لَهُ فَمَا السَّيْفُ إِلَّا غِمْدُهُ وَالْحِمَائِلُ^(٣) [الطويل]
 ٦ - لَيْسَ الْيَتِيمُ الَّذِي قَدْ مَاتَ وَالِدُهُ بَلِ الْيَتِيمُ يَتِيمُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ [البسيط]
 ٧ - وَمَا شَابَ رَأْسِي مِنْ سِنِينَ تَتَابَعَتْ عَلَيَّ وَلَكِنْ شَيَّبَتْنِي الْوَقَائِعُ [الطويل]
 ٨ - إِنْ الْجَدِيدَيْنِ فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ [البسيط]
 ١ - لَا يَأْلَفُ الْعِلْمُ إِلَّا ذَكِي - وَلَا يَجْفُوهُ إِلَّا غَبِي.

- ٢ - قَدْ عَلِمْتُ سَلْمَى وَجَارَاتُهَا مَا قَطَّرَ الْفَارَسَ إِلَّا أَنَا [السريع]
 ٣ - إِنَّمَا الدُّنْيَا هِبَاتٌ وَعَوَارٍ مُسْتَرْدَّةٌ [مجزوء الرمل]
 شِدَّةٌ بَعْدَ رَخَاءٍ وَرَخَاءٌ بَعْدَ شِدَّةٍ
 ٤ - عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا - إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى.

(١) سورة النساء: الآية ١٣٢، سورة آل عمران: الآية ١٢٩، سورة البقرة: الآية ٢٨٤.

(٢) سورة يس: الآية ١٥.

(٣) جفن السيف غمده: والحمائل: جمع حمالة: علاقة السيف.

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار الواقع	باعتبار المقصور	باعتبار المخاطب	طريقه
٣ -	لله ما في السموات حقيقي	صفة على موصوف	إفراد	التقديم	
٤ -	إن أنتم...	إضافي	موصوف على صفة	إفراد	النفي والاستثناء
٥ -	فما السيف...	إضافي	موصوف على صفة	محتمل	النفي والاستثناء
٦ -	ليس اليتيم...	إضافي	صفة على موصوف	محتمل	العطف ببل
٧ -	وما شاب...	إضافي	صفة على موصوف	محتمل	العطف ولكن
٨ -	لا يفسدان...	إضافي	صفة على موصوف	محتمل	العطف ولكن
الرقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	باعتبار الواقع	طريقه	
١ -	لا يألف العلم إلا ذكي	قصر صفة على موصوف	حقيقي	النفي والاستثناء	
٢ -	ما قطر الفارس إلا أنا	قصر صفة على موصوف	حقيقي	النفي والاستثناء	
٣ -	إنما الدنيا هبات	قصر موصوف على صفة	إضافي	إنما	
٤ -	على الله توكلنا	قصر صفة على موصوف	إضافي	التقديم	

[الطويل]

٥ - محاسنُ أوصافِ المغنَّينِ جمّةٌ وما قصباتُ السُّبقِ إلّا لمغَبَدٌ

[الطويل]

٦ - إلى الله أشكو أنّ في النفس حاجةٌ تمرّ بها الأيام وهي كما هيّا

٧ - عند الامتحان يكرمُ المرءُ أو يُهانُ .

٨ - هاتِ جملةً تفيد نجاحَ سعد - وعدم نجاحَ سعيد - بواسطةٍ إنّما .

٩ - رُدُّ بطريقِ القصر بأنما على من ظنَّ أن المطرَ يكثر شتاء في السودان .

١ - أ - مَنْ تُخاطب بالجملة الآتية؟ فيكون القصر قصر قلب .

ب - مَنْ تُخاطب بالجملة الآتية؟ فيكون القصر قصر أفراد .

ج - مَنْ تُخاطب بالجملة الآتية؟ فيكون القصر قصر تعيين .

وهي (ما أدبْتُ إلّا الواجبَ عليّ) .

٢ - غيرَ الجملة الآتية بحيث تفيد القصرَ بالعطف :

«بالاختراعات الحديثة ارتقت الأمم الغربية» .

أسئلة على القصر يطلب أجوبتها

ما هو القصر لغة واصطلاحاً؟ كم قسمًا القصر؟ ما هو القصر الحقيقي ما هو القصر الإضافي؟ كم قسمًا القصر الحقيقي؟ كم قسمًا القصر الإضافي ما مثال قصر الصفة على الموصوف من الحقيقي؟ ما مثال قصر الصفة على الموصوف من الإضافي؟ ما مثال قصر الموصوف على الصفة من الحقيقي؟ ما مثال قصر الموصوف على الصفة من الإضافي؟ كم قسمًا الإضافي بقسميه؟ على من يُردُّ بقصر الأفراد؟ على من يُردُّ بقصر القلب؟ على من يُردُّ بقصر التعيين؟ ما هي طرق القصر المصطلح عليها

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	باعتبار الواقع	طريقه
٥ -	ما قصبات السبق إلّا الخ	قصر صفة على موصوف إضافي	باعتبار الواقع	طريقه النفي والاستثناء
٦ -	إلى الله أشكو	قصر صفة على موصوف حقيقي	باعتبار المقصور	التقديم
٧ -	عند الامتحان يكرم الخ	قصر صفة على موصوف إضافي	باعتبار الواقع	التقديم
٨ -	إنما نجح سعد لا سعيد .			
٩ -	إنما يكثر المطر في السودان ربيعًا لا شتاء .			
١ -	أ - إذا كان المخاطب يعتقد أنك أدبت غير الواجب عليك .			
	ب - إذا كان المخاطب يعتقد أنك أدبت الواجب وغيره .			
	ج - إذا كان المخاطب مترددًا في تأدية الواجب وغيره .			
٢ -	ارتقت الأمم الغربية بالاختراعات الحديثة لا غيرها .			

في هذا الباب؟ ما أقواها أيمن وقوع القصر بين الفعل والفاعل؟ أيمن وقوع القصر بين الفاعل والمفعول أيمن وقوع القصر بين الفعل ومعمولاته؟ أيمن وقوع القصر بين المفعولين؟ متى يجب تأخير المقصور عليه؟ ومتى يكتر تأخير المقصور عليه؟ لماذا يجب تأخير المقصور مع إنما؟ ويكثر مع النفي والاستثناء؟.

تطبيق عام على القصر - والأبواب السابقة

لا حول ولا قوة إلا بالله - جملتان خبريتان اسميتان من الضرب الثالث لما فيهما من التوكيد بالقصر الذي هو أقوى طرق التوكيد - المسند إليه (حول وقوة) والمسند الجار والمجرور. ولا نظر لتقديم الخبر لأن ذلك مراعاة لقاعدة نحوية لا يعتبرها أهل المعاني ولا يعدون حذفه إيجازاً. والحكمان مقيدان بالنفي والاستثناء لإفادة القصر - ففيهما قصر صفة وهي التحول عن المعاصي، والقوة على الطاعة على موصوف وهو الذات الأقدس. وهو قصر إضافي طريقه النفي والاستثناء. ثم إن كان للرد على من يعتقد أن التحول عن المعاصي والقوة على الطاعة بغير الله تعالى فهو قصر قلب. أو على من يعتقد الشركة فهو أفراد. أو على من يتردد فهو تعيين. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١) - جملتان خبريتان فعليتان من الضرب الثالث. المسند. نعبد ونستعين. والمسند إليه الضمير المستتر فيهما - وهما مقيدتان بالمفعولين إياك. وقدم المفعولين لإفادة القصر - ففيهما قصر صفة وهي العبادة والاستعانة على موصوف وهو الذات الأقدس. طريقه تقديم ما حقه التأخير - وهو إضافي. ثم إن كان للرد على من يعتقد أن المعبود غير الله تعالى - فهو قلب - أو على من يعتقد الشركة فهو أفراد. أو على من يتردد فهو - تعيين.

إنما شوقي شاعر - فيه قصر موصوف وهو شوقي على صفة وهي الشعر - طريقه إنما - وهو قلب أو أفراد أو تعيين على حسب حال المخاطب.

الله الغفور الرحيم - فيه قصر الصفة وهي المغفرة والرحمة - على موصوف وهو الله تعالى - طريقه تعريف المسند بآل.

وهو قلب - أو أفراد - أو تعيين - على حسب حال المردود عليه.

إنما الشجاع عليّ - فيه قصر صفة وهي الشجاعة - على موصوف وهو عليّ طريقه إنما.

المرء بأدابه لا بثيابه - فيه قصر الموصوف على الصفة، قصر قلب بين المسند إليه
والمسند. طريقه العطف بلا.
إنَّما الإله واحد - فيه قصر الموصوف على الصفة، قصرًا حقيقًا - طريقه إنما. وهو
واقع بين المسند إليه والمسند.

الباب الثامن

في الوصل والفصل

العلم بمواقع الجُمْل، والوقوف على ما ينبغي أن يصنع فيها من العطف والاستئناف والتَهْدِي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند عدم الحاجة إليها صعبُ المسلك، لا يُوقِّق للصواب فيه إلَّا مَنْ أوتي قسطًا وافرًا من البلاغة وطُبع على إدراك محاسنها، ورُزق حظًا من المعرفة في ذوق الكلام، وذلك لغموض هذا الباب ودِقَّة مسلكه، وعظيم خطره، وكثير فائدته، يدلّ لهذا أنهم جعلوه حدًّا للبلاغة - فقد سُئل عنها بعض البلغاء فقال: هي «معرفة الفصل والوصل» فالوصل عطف جملة على أخرى بالواو ونحوها - والفصل ترك هذا العطف^(١). والذي يتكلّم

- (١) اعلم أنه إذا توالى الجملتان. لا يخلو الحال من أن يكون - للأولى محل من الإعراب - أو لا. وإن كان لها محل من الإعراب فلا بد من أن يقصد تشريك الثانية لها في حكم الإعراب - أو لا. فإن قصد التشريك عطف الثانية عليها نحو ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [آل عمران: ١٥٦] - وإلّا فصلت عنها نحو ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤ - ١٥]. لم يعطف قوله الله يستهزئ بهم على ما قبله لثلا يشاركه في حكم المفعولية للقول وهو ليس مما قالوه كما سيأتي - وإن لم يكن لها محل من الإعراب فإن كان لها حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية وجب الفصل - دفعًا للتشريك بينهما - نحو ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ [الرعد: ٧ - ٨] - لم يعطف (قوله الله يعلم) على ما قبله لثلا يشاركه في حكم القصر فيكون تعالى مقصورًا على هذا العلم - وإن لم يكن لها ذلك الحكم نحو: زيد خطيب وعمرو متشرع - أو قصد إعطاء حكمها للثانية نحو إنما زيد كاتب وعمرو شاعر، وجب الوصل كما رأيت - ما لم تكن إحدى الجملتين مطلقًا منقطعة عن الأخرى انقطاعًا كاملاً بحيث لا يصح ارتباطهما - أو متصلة بها اتصالًا كاملاً بحيث لا تصح المغايرة بينهما، فيجب الفصل لتعذر ارتباط المنقطعتين بالعطف وعدم افتقار المتصلتين إلى ارتباط به. ويحمل شبه كل واحد من الكمالين عليه فيعطى حكمه - واعلم أنه لا يقبل في العطف إلا عطف المتناسبات مفردة أو جملاً بالواو أو غيرها، فالشرط وجود جهة جامعة بين المتعاطفات، فنحو الشمس والقمر والسماء والأرض، محدثة (مقبول) ونحو الشمس والأرنب والحمار. محدثة (غير مقبول) لكن اصطلاحهم اختصاص الوصل والفصل بالجمل، وبالواو - فلا يحسن الوصل إلا بين الجمل المتناسبة. لا المتحدة ولا المتباينة. =

عليه علماء المعاني هُنَا العطفُ «بالواو» خاصّة دون بقيّة حروف العطف - لأنّ الواو هي الأداة التي تخفّي الحاجة إليها، ويحتاج العطف بها إلى لُطف في الفهم، ودقّة في الإدراك، إذ لا تفيد إلّا مجرّد الرّبط وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم - بخلاف العطف بغيرها فيفيد مع التشريك معاني أخرى - كالترتيب مع التعقيب في الفاء - والترتيب مع التراخي في ثَمَ - وهكذا باقي حروف العطف التي إذا عُطف بواحد منها ظهرت الفائدة، ولا يقع اشتباه في استعماله.

وشرط العطف بالواو أن يكون بين الجملتين جامعٌ كالْمُوافقة في نحو: يقرأ ويكتبُ، وكالْمُضادة في نحو يضحك ويبكي.

وإنّما كانت المضادة في حكم المُوافقة، لأنّ الذّهن يتصوّر أحد الضدّين عند تصوّر الآخر، فالعلم يخطر على البال عند ذكر الجهل كما تخطر الكتابة عند ذكر القراءة.

والجامع يجب أن يكون باعتبار المسند إليه والمسند جميعًا فلا يُقال خليل قادم، والبعير ذاهب، لعدم الجامع بين المسند إليهما.

كما لا يقال: سعيد عالم، وخليل قصير، لعدم الجامع بين المسندين وفي هذا الباب مبحثان:

المبحث الأول

في مواضع الوصل

الوصلُ عطفُ جملة على أخرى بالواو ونحوها - ويقع في ثلاثة مواضع^(١):

الأول: إذا اتّفقت الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظًا ومعنى أو معنى فقط^(٢) ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما. وكانت بينهما مُناسبة تامّة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾^(٤).

⁼ والأفضل - واعلم إنه إن وجدت الواو بدون معطوف عليه قدّر مناسب للمقام - نحو ﴿أَوْكَلَمَا عَهْدُوا عَهْدًا﴾ [البقرة: ١٠٠] فيقدر أكفروا وكلما عاهدوا لأن الهمزة تستدعي فعلًا.

(١) الوصل يقع وجوبًا بين جملتين متناسبتين لا متحدتين ولا مختلفتين كما سيأتي تفصيل ذلك.

(٢) المعمول عليه اتفاقهما في المعنى لأن العبرة به ولا قيمة لاختلاف الصورة اللفظية.

(٣) سورة الانفطار: الآية ١٤.

(٤) سورة هود: الآية ١١٢.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾^(١).

أي إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُكُمْ^(٢): فتكون الجملة الثانية في هذه الآية إنشائية لفظًا، ولكنها خبرية في المعنى^(٣).

ونحو: إذهب إلى فلان وتقول له كذا، فتكون الجملة الثانية من هذا المثال خبرية لفظًا. ولكنها إنشائية معنى «أي وقل له».

فالاختلاف في اللفظ لا في المعنى المَعُول عليه، ولهذا وجب الوصل.

وعطف الجملة الثانية على الأولى لوجود الجامع بينهما، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما، وكل من الجملتين لا موضع له من الإعراب.

الثاني: إذا اختلفت الجملتان في الخبرية والإنشائية وكان الفصل يُوهِم خِلَافَ المقصود^(٤) كما تقول مجيبًا لشخص بالتفني «لا وشفاه الله»^(٥).

لمن يسألك هل بَرِيءٌ عليّ من المرض؟ «فترك الواو يُوهِم السامع الدُعاء عليه، وهو خلافُ المقصود، لأن الغرض الدعاء له».

ولهذا وجب أيضًا الوصل وعطف الجملة الثانية على الأولى لدفع الإيهام، وكلُّ من الجملتين لا محل له من الإعراب.

الثالث: إذا كان للجملة الأولى محلٌّ من الإعراب، وقصد تشريك الجملة الثانية لها في الإعراب حيث لا مانع نحو: عليّ يقول ويفعل.

فجملة يقول في محل رفع خبر المبتدأ، وكذلك جملة: ويفعل، معطوفة على جملة يقول وتشاركها بأنها في محل رفع خبر ثان للمبتدأ.

(١) سورة هود: الآية ٥٤.

(٢) والداعي لذكر الجملة الثانية إنشائية ولم تذكر كالأولى خبرية لأجل التحاشي عن مساواة شهادتهم بشهادته تعالى - تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

(٣) اعلم أن صور الجملتين ثمانية - لأنهما (إما خبريتان) لفظًا ومعنى أو معنى لا لفظًا - أو الأولى جملة خبرية معنى لا لفظًا - أو بالعكس.

(وإما إنشائيتان) لفظًا ومعنى - أو معنى لا لفظًا - أو الأولى جملة خبرية صورة والثانية إنشائية - أو بالعكس كما مثلنا.

(٤) أما إذا لم يحصل إيهام خلاف المقصود فيجب الفصل نحو سافر فلان سلمه الله.

(٥) فجملة شفاه الله خبرية لفظًا إنشائية معنى والعبارة بالمعنى - واعلم أن «لا» في هذا الموضع قائمة مقام جملة خبرية إذ التقدير «لا براء حاصل له» وهكذا يقدر المحذوف بحسب كل مثال يليق به.

وحكم هذه الجملة حكم المفرد المُقتَضِي مشاركة الثاني للأول في إعرابه والأحسن أن تَتَفَقَّ الجملتان في الاسمية والفعلية، والفعليتان في الماضوية والمضارعية.

أي أن تُعْطَف الإسمية على مثلها، وكلّ من الماضوية والمضارعية على مثلها - وكذا الإسميتان في نوع المسند من حيث الإفراد والجملية والظرفية: ولا يحسن العدول عن ذلك إلا لأغراض:

أ - كحكاية الحال الماضية، واستحضار الصورة الغريبة في الذهن نحو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾^(١).

ب - وكإفادة التجدد في إحداهما، والثبوت في الأخرى - نحو: ﴿أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾^(٢) فقد لُوْحِظَ في الأولى إحداث تعاطي الحق - وفي الثانية الاستمرار على اللعب، والثبات على حالة الصبا - ونحو: الصديق يُكَاتِبُنِي وأنا مقيمٌ على وَدِّهِ^(٣).

المبحث الثاني

في مواضع الفصل

من حقّ الجُمَل إذا ترادفت ووقع بعضُها إثر بعض أن تُربط بالواو لِتَكُونَ على نسق واحد - ولكن قد يَعْرِضُ لها ما يُوجب ترك الواو فيها ويُسمى هذا فصلاً - ويقع في خمسة مواضع.

الأول: أن يكون بين الجملتين اتحاد تامّ وامتزاج معنويّ حتّى كأنهما أفرعاً في قالب واحد، ويُسمى ذلك «كمال الاتصال».

الثاني: أن يكون بين الجملتين تباين تامّ بدون إيهام خلاف المراد ويُسمى ذلك «كمال الانقطاع».

الثالث: أن يكون بين الجملتين رابطة قويّة، ويُسمى «شبهة كمال الاتصال».

الرابع: أن يكون بين الجملة الأولى والثالثة جملةً أخرى متوسطة حائلة بينهما.

(١) سورة البقرة: الآية ٨٧، سورة الشعراء: الآية ١٦٧.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٥٥.

(٣) وذلك لأنّ الدلالة على التجدد تكون بالجملة الفعلية، وعلى الثبوت بالجملة الإسمية - ومثل هذا يحصل عند إرادة المضي في إحداهما والمضارعية في الأخرى.

فلو عطف الثالثة على «الأولى المناسبة لها» لتوهم أنها معطوفة على «المتوسطة» فيترك العطف، ويسمى «شبه كمال الانقطاع».

الخامس: أن يكون بين الجملتين تناسب وارتباط لكن يمنع من عطفهما مانع وهو عدم قصد اشتراكهما في الحكم، ويسمى «التوسط بين الكمالين».

إيضاح وتحديد

لكل موضع من مواضع الفصل الخمسة السابقة - وهي:

الموضع الأول: «كمال الاتصال» وهو اتّحاد الجملتين اتّحاداً تاماً وامتزاجاً معنوياً بحيث تُنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها.

أ - بأن تُجعل بدلاً منها نحو ﴿أَمَذْكُرُ بِمَا قَلَّمُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿أَمَذْكُرُ بِأَنفَعِرَ وَبَيْنَ﴾ ﴿٣٤﴾^(١).

ب - أو بأن تُجعل بدلاً لها - كقوله تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْغُلْدِ﴾^(٢).

ج - أو بأن تُجعل مؤكدة لها - كقوله تعالى: ﴿قَهْلَ الْكَافِرِينَ أَهْمَلْتُمْ زِينًا﴾ ﴿٧﴾^(٣) فالمانع من العطف في هذا الموضع اتحاد الجملتين اتحاداً تاماً يمنع عطف الشيء على نفسه، ويُوجب العمل.

الموضع الثاني: «كمال الانقطاع» وهو اختلاف الجملتين اختلافاً تاماً:

أ - بأن يختلفا خبراً وإنشاء، لفظاً ومعنى، أو معنى فقط نحو: حضر الأمير حفظة الله: ونحو تكلم إني مُصنع إليك - وكقول الشاعر:

[البسيط]

وقال رائدُهم أرسوا نزاولها فحتفُ كل امرئٍ يجري بمقدار^(٤)

(١) هذا في بدل البعض - وأما في بدل الكل فنحو - ﴿بَلْ قَالُوا يَسْتَلْ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ ﴿٨١﴾ ﴿قَالُوا أَوْدًا مَسْنًا﴾ [المؤمنون: ٨١ - ٨٢] - وأما بدل الاشتمال فنحو قوله: [المتقارب]

أقول له ارحل لا تُقيمَنَّ عندنا
وإلا فكن في السر والجهر مُسلماً
فجملة لا تقيم بدل من ارحل بدل اشتمال لأن بينهما مناسبة بغير الكلية والجزئية، سورة الشعراء: الآية ١٣٣.

(٢) سورة الطارق: الآية ١٧.

(٣) سورة طه: الآية ١٢٠.

(٤) أي أوقفوا السفينة كي نباشر الحرب ولا تخافوا من الموت فإن لكل أجل كتاباً - أي فالمانع من العطف في هذا الموضع أمر ذاتي لا يمكن دفعه أصلاً وهو كون إحداها جملة خبرية والأخرى إنشائية ولا جامع بينهما.

ب - أو بآلاً تكون بينهما مناسبة في المعنى ولا ارتباط - كقولك عليّ كاتبٌ .
الحمام طائر، فإنه لا مناسبة بين كتابة عليّ . وطيّران الحمام .

فالمانع من العطف في هذا الموضع «أمر ذاتي» لا يمكن دفعه أصلاً وهو التّباين بين الجملتين، ولهذا وجب الفصل وترك العطف، لأنّ العطف يكون للرّبط، ولا ربط بين جملتين في شدة التّباعّد وكمال الانقطاع .

الموضع الثالث: «شبه كمال الاتصال» وهو كون الجملة الثانية قويّة الارتباط بالأولى لوقوعها جواباً عن سؤال يفهم من الجملة الأولى - فتفصلُ عنها كما يفصل الجواب عن السؤال - نحو: وما أبرّىء نفسي إنّ النفسَ لآثمة بالسوء^(١) ونحو:

[الكامل]

زعم العوازل أنّني في غمرة صدّقوا ولكن غمرتني لا تنجلي
«كأنه سُئل: - أصدّقوا في زعمهم أم كذبوا؟ فأجاب: صدقوا»^(٢).

(١) الجملة الثانية شديدة الارتباط بالجملة الأولى لأنها جواب عن سؤال نشأ من الأولى «لِمَ لا تبريء؟؟» فقال «إنّ النفسَ لآثمة بالسوء» فهذه الرابطة القويّة بين الجملتين مانعه من العطف فأشبهت حالة اتحاد الجملتين - وبذلك ظهر الفرق بين كمال الاتصال، وشبه كمال الاتصال .

(٢) وبيان ذلك بعبارة أخرى أنه إذا اجتمعت جملتان: فذلك على خمسة أحوال:
أولاً - أن تكون الثانية بمعنى الأولى، أو جزءاً منها، فيجب ترك العطف لأن الشيء لا يُعطف على نفسه، وكذا الجزء لا يُعطف على كلّهِ . فيقال حينئذٍ إنّ بين الجملتين كمال الاتصال - ومواضعه:

«أ» أن تكون الثانية توكيداً للأولى - مثل قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

«ب» أن تكون الثانية بدلاً من الأولى - مثل أضعف الله . أدبُ الصلاة .

«ج» أن تكون الثانية بياناً للأولى - مثل بثني شكواه . قال إني لا أجد قوت يومي .

ثانياً - أن تكون الثانية مبيّنة للأولى تمام المبيّنة، فيجب ترك العطف لأن العطف يكون للرّبط، ولا ربط بين المتباينين، فيقال: بين الجملتين كمال الانقطاع . ومواضع ذلك:

«أ» أن تختلفا خبراً وإنشاء مثل - مات فلان رحمه الله .

إلا إذا أُوهم ترك العطف خلاف المقصود فيجب العطف نحو لا وشفاك الله .

«ب» أن تتحدّا خبراً وإنشاء ولكن لا يوجد بينهما رابط، مثل القمر طالع - أكلت كثيراً .

ثالثاً - أن تكون الجملتان متناسبتين وبينهما رابطة، ويُسمّى ذلك التوسط بين الكمالين - وذلك على نوعين .

«أ» ألا يمنع من العطف مانع فيعطف - مثل اجتهدوا وتادّبوا .

«ب» أن يمنع من العطف مانع - وهو عدم قصد التشريك في الحكم فيمتنع العطف مثل قوله =

فالمانع من العطف في هذا الموضع وجود الرابطة القويّة بين الجملتين فأشبهت حالة اتحاد الجملتين - ولهذا وجب أيضًا الفصل .

الموضع الرابع: «شبه كمال الانقطاع» وهو أن تسبق جملةً بجملتين يصحّ عطفها على الأولى لوجود المناسبة، ولكن في عطفها على الثانية فسادٌ في المعنى، فيترك العطف بالمرّة دفعًا لتوهم أنه معطوف على الثانية - نحو:

[الكامل]

وَتَظُنُّ سَلَمَى أَتَنِي أَبْغِي بِهَا بدلًا أراها في الضلال تَهيمُ
فجملة «أراها» يصح عطفها على جملة «تظنّ» لكن يمنع من هذا توهم العطف على جملة «أبغى بها» فتكون الجملة الثالثة من مظهرات سلمى، مع أنه غير المقصود - ولهذا امتنع العطف ووجب أيضًا الفصل .

والمانع من العطف في هذا الموضع «أمر خارجي احتمالي» يمكن دفعه «بمعونة قرينة» ومن هذا ومما سبق يُفهم الفرق بين كلّ من «كمال الانقطاع - وشبه كمال الانقطاع» .

الموضع الخامس: «التوسط بين الكمالين مع قيام المانع» وهو كون الجملتين متناسبتين وبينهما رابطة قويّة - لكن يمنع من العطف مانع، وهو عدم قصد التشريك في

تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَا إِلَىٰ شَاطِئِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ ﴿الْبَقَرَة: ١٤ - ١٥﴾.

رابعًا - أن تكون الثانية قوية الرابطة بالأولى، لأنها جواب عن سؤال يفهم من الأولى، فهذه الرابطة القوية تمنع العطف، لأنها أشبهت حالة اتحاد الجملتين (ويسمى ذلك شبه كمال الاتصال - مثل رأيت مبتسمًا، أظنه نجح).

خامسًا - أن تكون الأخيرة مناسبة للأولى، ولا مانع من عطفها عليها، ولكن يعرض حائل بينهما وهو جملة أخرى متوسطة، فلو عطفت الثالثة على الأولى المناسبة لها لتوهم أنها معطوفة على المتوسطة، فامتنع العطف بتأنا وأصبحت الجملتان كأنهما منقطعتان بهذا الحائل - ويسمى ذلك شبه كمال الانقطاع، نحو: قول الشاعر: [الكامل]

وتظنّ سلمى أتني أبغى بها بدلًا أراها في الضلال تَهيمُ
واعلم أنّ التركيب الذي تجاذبت فيه أسباب الوصل وتعاضدت دواعيه قد يفصل إِمّا لمانع من تشريك الجملة الثانية مع الأولى ويسمى قطعًا كما سبق، وإِمّا لجعله جواب سؤال مقدّر لإغناء السامع عنه، أو لكراهة سماعه له لو سأل، أو لكراهة انقطاع كلامه بكلام السائل، أو للاختصار، ويسمى الفصل لذلك استثنافًا - كقوله: [الخفيف]

في المهد ينطق عن سعادة جدّه أثر النجابة ساطع البرهان

«على تقدير أنه جواب كيف ينطق وهو رضيع لم يبلغ أوان النطق؟» .

الحكم - كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ۚ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(١) فجملة «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» لا يصح عطفها على جملة «إِنَّا مَعَكُمْ» لاقتضائه أنه من مقول المنافقين والحال أنه من مقوله تعالى «دعاء عليهم» ولا على جملة «قالوا» لثلاثاً يُتَوَهَّم مشاركته له في التقييد بالظرف - وأن استهزاء الله بهم مُقَيَّد بحال خلوهم إلى شياطينهم «والواقع أن استهزاء الله بالمنافقين غير مُقَيَّد بحال من الأحوال ولهذا وجب أيضاً الفصل».

تنبيهان

الأول: لما كانت الحال تجيء جملة، وقد تقترن بالواو، وقد لا تقترن فأشبهت الوصل والفصل، ولهذا يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها بالواو إذا خلت من ضمير صاحبها - نحو: جاء فؤاد والشمس طالعة^(٢).

(١) سورة البقرة: الآيتان ١٤، ١٥.

(٢) بيان ذلك أن الحال إما مؤكدة فلا واو للاتحاد بين الجملتين لأنها مقررّة لمضمونها نحو سعد أبوك كريماً.

وإما منتقلة لحصول معنى حال النسبة (أي نسبة العامل إلى صاحب الحال) فلزم فيها أمران. الحصول والمقارنة. فالحال المفردة صفة في المعنى، فلا يحتاج لواو للاتحاد.

وأما الجملة - فالمضارع المثبت لا يؤتى له بواو للارتباط معنى. لوجود الحصول والمقارنة معاً، فلا حاجة للربط بها - نحو ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عِشَاءَ يَعْتَكِفُ﴾ [يوسف: ١٦] - ونحو، قدم أمير تتسابق الفرسان أمامه، ولا يجوز وجاؤوا أباهم عشاء وي يكون، ولا قدم الأمير وتتسابق وهذه إحدى المسائل السبع المذكورة في النحو التي تمتنع فيها الواو الثانية - الحال الواقعة بعد عاطف نحو فجاءها بأسنا يائناً أو هم قائلون. الثالثة - المؤكدة لمضمون الجملة نحو - هو الحق لا شك فيه، ذلك الكتاب لا ريب فيه. الرابعة - الماضي التالي إلّا - نحو ما تكلم زيد إلّا قال خيراً - وقيل يجوز اقترانه بالواو كما ورد في قوله: [البسيط]

نعم امرأ هرم لم تعر نائبة إلا وكان لمرتاع بها وزرا

الخامسة - الماضي المتلو بأو: نحو - لأضربته ذهب أو مكث - ومنه: [البسيط]

كن للخليل نصيراً جار أو عدلا ولا تشخ عليه جاد أو بخلا

السادسة - المضارع المنفي بلا - نحو ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [المائدة: ٨٤]، ﴿مَا لِيَ لَا أَرَىٰ اللَّهَ هَذًا﴾، [النمل: ٢٠] وقوله: [الكامل]

لو أن قومًا لارتفع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا أحجب

السابعة - المضارع المنفي بما - كقوله: [الطويل]

عهدتك ما تصبو وفيك شبيبة فمالك بعد الشيب صباً متيما

وأبعد الجمل في الصلاح للحالية الجملة الإسمية لدالاتها على الثبوت - على الحصول =

ويجب فصلها في ثلاثة مواضع:

- ١ - إذا كان فعلها ماضيًا تاليًا «إلا» أو وقع ذلك الماضي قبل «أو» التي للتسوية - نحو ما تكلم فؤاد إلا قال خيرًا - وكقول الشاعر:

[البسيط]

كُنْ لِلخَيْلِ نَصِيرًا جَارٌ أَوْ عَدَلًا وَلَا تَشَحَّ عَلَيْهِ جَادٌ أَوْ بَخَلًا

٢ - إذا كان فعلها مضارعًا مُبْتَنًى أو منفياً «بما - أو - لا» نحو:

﴿وَجَاءَهُمْ أَبَاهُمْ عِشَاءً يُبْكُونَ﴾^(١) ونحو: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾^(٢) ونحو:

[الطويل]

عَهْدُكَ مَا تَصْبُو وَفِيكَ شَبِيبَةٌ فَمَالِكَ بَعْدَ الشَّيْبِ صَبًّا مُتِيماً

٣ - إذا كانت اسمية واقعة بعد حرف عطف - أو كانت اسمية مؤكدة لمضمون ما

= والمقارنة، فيجب فيها الواو - نحو ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] وقد يكتفي فيها الضمير ندورًا - نحو كلمته فوه إلى في - أي مشافهة - ثم الماضي مثبتًا لعدم المقارنة فيحسن معها الواو لأن الماضي يدل على الحصول المتقدم، لا الحصول حال النسبة - وتجب «قد» تحقيقًا أو تقديرًا لتقريبه من الحال أي لتجعل (قد) الفعل الماضي الدال على حصول متقدم - لا حصول حال النسبة قريبًا من حال النسبة لا من حال التكلم - إذ اللازم في الحال مقارنتها لزمان النسبة لا لزمان التكلم - وإنما اكتفى بهذا التقريب في صحة الحال وإن كان اللازم الاقتران - إما لأنه ينزل قرب الحال إلى زمان النسبة منزلة المقارنة مجازًا - وإما لأنه يعتبر قربها في الفعل هيئة للفعل - فإذا قلت جاءني زيد وقد ركب - فكأنك نزلت قرب ركوبه من مجيئه منزلة مقارنته له - أو جعلت كون مجيئه بحيث يقرب منه ركوبه هيئة لمجيئه وحالًا له - وقالوا - وتمتنع (قد) مع الماضي الممتنع ربطه بالواو - وهو التالي إلا.

والمثل بأو - لكن في شرح الرضي - إنهما قد يجتمعان بعد إلا - نحو ما لقيته إلا وقد أكرمني ويلى الماضي المثبت الماضي المنفي لأنه هيئة للفعل بالتأويل. لأن قولك جاء زيد ليس راكبًا - في قوة جاء زيد ماشيًا فيتحقق الحصول ويستمر غالبًا فيقارن كذلك فيحسن ترك الواو نظرًا إلى تحقق الحصول والمقارنة - ويجوز ذكرها أيضًا نظرًا إلى كونه ما كان هيئة للفعل إلا بعد تأويل - ونظرًا إلى كون استمراره أغلبيًا لا دائمًا والأحسن في الظرف إذا وقع حالًا ترك الواو نظرًا للتقدير بمفرد، تقول نظرت الهلال بين الحساب. ومثله الجار والمجرور نحو فخرج على قومه في زينتته - ونحو أبصرت البدر في السماء - وإن جوزوا الواو بتقدير فعل ماضٍ - وما يخشى فيه التباس الحال بالصفة أتى فيه بالواو وجوبًا، لتمييز الحال فيقال جاء رجل ويسعى - إذ لو قيل يسعى - لالتبس الحال بالصفة في مثله.

(١) سورة يوسف: الآية ١٦.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨٤.

قبلها - كقوله تعالى: ﴿فَجَاءَهَا بِأَسْنَا بَيْتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾^(١). وكقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

الثاني: علم مما تقدم أن من مواضع الوصل اتفاق الجملتين في الخبرية والإنشائية، ولا بد مع اتفاقهما من جهة بها يتجاوزان، وأمر جامع به يتآخذان، وذلك الجامع إما عقلي^(٣) أو وهمي^(٤) أو خيالي^(٥).

(١) سورة الأعراف: الآية ٤.

(٢) لما كان قوله ذلك الكتاب، فيه مظنة مجازفة بسبب إيراد المسند إليه اسم إشارة - والمسند معرفاً بأل - أكده بقوله (لا ريب فيه) تأكيداً معنوياً.

ولما كانت الدعوى المذكورة مع ادعاء عدم المجازفة مظنة استبعاد - أكده بقوله «هدى للمتقين» تأكيداً لفظياً حتى كأنه نفس الهداية، سورة البقرة: الآية ٢.

(٣) فالجامع العقلي - أمر بسببه يقتضي العقل اجتماع الجملتين في القوة المفكرة كالاتحاد في المسند أو المسند إليه - أو في قيد من قيودهما - نحو زيد يصلي ويصوم ويصلي زيد وعمرو.. وزيد الكاتب شاهر. وعمرو الكاتب منجم. وزيد كاتب ماهر، وعمرو طبيب ماهر - وكالتماثل والاشتراك فيهما - أو في قيد من قيودهما أيضاً بحيث يكون التماثل له نوع اختصاص بهما أو بالقيود - لا مطلق تماثل - فنحو زيد شاعر وعمرو كاتب لا يحسن إلا إذا كان بينهما مناسبة لها نوع اختصاص بهما - كصداقة أو أخوة أو شركة أو نحو ذلك - والتضاييف بينهما. بحيث لا يتعقل أحدهما إلا بالقياس إلى الآخر كالأبوة مع النبوة - والعلة مع المعلول - والعلو والسفل - والأقل والأكثر - إلى غير ذلك.

(٤) والجامع الوهمي - أمر بسببه يقتضي الوهم اجتماع الجملتين في المفكرة كشبه التماثل الذي بين نحو لوني البياض والصفرة - فإن الوهم يبرزهما في معرض المثلين من جهة أنه يسبق إليه أنهما نوع واحد زائد في أحدهما عارض - بخلاف العقل فإنه يدرك أنهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس واحد هو اللون - والتضاد بالذات - وهو التقابل بين أمرين وجوديين بينهما غاية الخلاف - يتعاقبان على محل واحد - كالسواد والبياض - أو التضاد بالعرض كالأسود والأبيض - لأنهما ليسا ضدين لذاتهما لعدم تعاقبهما على محل واحد - بل بواسطة ما يشتملان عليه من سواد وبياض - وكشبه التضاد كالسما والأرض - فإن بينهما غاية الخلاف ارتفاعاً وانخفاضاً لكن لا يتعاقبان على محل واحد كالتضاد بالذات، ولا على ما يشمله كالتضاد بالعرض.

(٥) والجامع الخيالي - أمر بسببه يقتضي الخيال اجتماع الجملتين في المفكرة بأن يكون بينهما تقارن في الخيال سابق على العطف لتلازمهما في صناعة خاصة، أو عرف عام - كالقدوم والمنشار والمنقاب في خيال النجار.

والقلم والدواة والقرطاس في خيال الكاتب - والسيف والرمح والدرع في خيال المحارب - وهلم جرا وللقرآن الكريم اليد البيضاء في هذا الباب - كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۖ﴾^(٦)

[الغاشية: ١٧ - ٢٠] - فالمناسبة بين الإبل والسما - وبينهما وبين الجبال والأرض غير موجودة =

أسئلة على الوصل والفصل يطلب أجوبتها

ما هو الوصل؟ ما هو الفصل؟ كم موضعًا للوصل؟ كم موضعًا للفصل؟ ما هو الجامع العقلي؟ ما هو الجامع الوهمي؟ ما هو الجامع الخيالي؟ متى يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها؟ في كم موضع يجب فصل الجملة الحالية.

تطبيق عام على الوصل والفصل

[البسيط]

جَرَّبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ امْرِئٍ غَرَضًا
فصلت الثانية لشبه كمال الاتصال فإنها جواب سؤال .

﴿يَسِيحُ لَمْ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ۖ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ فِجْرَةٌ وَلَا يَسِعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١)
فصلت الثانية لشبه كمال الاتصال فإنها جواب سؤال ناشيء مما قبلها .

فليضحكوا قليلًا وليبكوا كثيرًا - عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما في الإنشاء مع المناسبة التامة بين المفردات فإن المسند إليه فيهما متحد. والمسند وقيدهما متقابلان .

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۖ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۖ﴾^(٢) عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما خبرًا لفظًا ومعنى مع المناسبة التامة بين مفرداتها - فإن المسندين المقدرين فيهما متحدان، والمسندان إليهما متقابلان، وقيدهما الأول متحد. والثاني متقابل .

اشكر الله على السَّراء ينجليك من الضَّراء - لم تعطف الثانية على الأولى لكمال الانقطاع . فإن الأولى إنشائية لفظًا ومعنى والثانية عكسها .

اصبر على كيد الحسود لا تفزع من مكائده - لم تعطف الثانية على الأولى لكمال الاتصال فإنها مؤكدة لها .

أنت حميد الخصال - تصنع المعروف وتغيث الملهوف - فصلت الثانية من الأولى

بحسب الظاهر . ولكنه أسلوب حكيم في غاية البلاغة - لأنه لما كان الخطاب مع العرب، وليس في تخيلاتهم إلا الإبل لأنها رأس المنافع عندهم - والأرض لرعيها والسماء لسقيها - وهي التي توصلهم إلى الجبال التي هي حصنهم عند ما تفجأهم حادثة أورد الكلام على طبق ما في مخيلاتهم .

(١) سورة النور: الآية ٣٦ .

(٢) سورة الانفطار: الآية ١٤ .

لكمال الاتصال فإنها بيان لها . ووصلت الثالثة بالثانية للتوسط بين الكمالين مع وجود مانع من الوصل .

تمرين (١)

يُن سر الفصل والوصل فيما يلي :

- | | | |
|---|---|---------------|
| ١ - أَخْطُ مَعَ الدَّهْرِ إِذَا مَا خَطَا | واجِرِ مَعَ الدَّهْرِ كَمَا يَجْرِي | [السريع] |
| ٢ - حَكَمَ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارِي | مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارٍ قَرَارٍ | [الكامل] |
| ٣ - لَا تَدْعُهُ إِنْ كُنْتَ تُنْصَفُ نَائِبًا | هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ نَائِمٌ لَا نَائِبَ | [المتقارب] |
| ٤ - قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلٌ | سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ | [الكامل] |
| ٥ - قَالَتْ بُلَيْتَ فَمَا نَرَاكَ كَعَهْدِنَا | لَيْتَ الْعُهُودَ تَجَدَّدَتْ بَعْدَ الْبَلَى | |
| ٦ - ﴿وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ ^(١) | | |
| وَأِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ | كُلَّ أَمْرٍ زَهْنٌ بِمَا لَدِيهِ | [مخلع البسيط] |
| لَا تَطْلُبَنَّ بِأَلَةٍ لَكَ حَاجَةٌ | قَلَمُ الْبَلِيغِ بِغَيْرِ حَظٍّ مَغْرُلٌ | [الكامل] |

(١) سورة النمل : الآية ٨٨ .

- ١ - وصل بين الجملتين لاتفاقهما لإنشاء مع وجود المناسبة وعدم المانع .
- ٢ - فصل الشطر الثاني عن الأول لأنه توكيد معنوي له - إذ يفهم من جريان حكم الموت على الخلق أن الدنيا ليست دار بقاء فأكد ذلك بالشطر الثاني فيبينهما كمال الاتصال .
- ٣ - فصل الشطر الثاني عن الأول لاختلافهما خبرًا وإنشاء إذ الثاني خبر والأول إنشاء - فيبينهما كمال الانقطاع .
- ٤ - فصل بين قال وقلت لأن الثاني جواب سؤال - إذ جرت العادة أنه إذا قيل للرجل كيف أنت . أن يجيب . أنا عليل وكذا بين جملتي سهر دائم وحزن طويل فكأنه قيل : فما سبب علتك؟؟ فأجاب سهر دائم الخ ففي كل منهما شبه كمال الاتصال .
- ٥ - بين الشطر الثاني والأول كمال الانقطاع لأن أولهما خبر والثاني إنشاء .
- ٦ - بين جملتي ترى وتحسب كمال الاتصال لأن الثانية بدل اشتغال من الأولى .

[البسيط]

٧ - يَرَى الْبَخِيلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً إِنَّ الْكَرِيمَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلًا

[الطويل]

٨ - نَفْسِي لَه نَفْسِي الْفِدَاءُ لِنَفْسِهِ لَكِنْ بَعْضُ الْمَالِكِينَ عَفِيفٌ

٩ - ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾^(١).١٠ - ﴿يَذَرُهُ الْأَمْرُ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾^(٢).١١ - ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۚ عَلَّمَ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۖ﴾^(٣).

١٢ - قَالُوا سَلَامًا، قَالَ سَلَامٌ.

[الكامل]

١٣ - يَهْوَى الثَّنَاءَ مَبْرَزٌ وَمَقْصَرٌ حُبُّ الثَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ

١٤ - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٤) اللَّهُ.

(١) سورة يوسف: الآية ٣١.

(٢) سورة الرعد: الآية ٢، سورة يونس: الآية ٥.

(٣) سورة النجم: الآيات ٣ - ٥.

(٤) سورة البقرة: الآيتان: ٨، ٩.

٧ - بين الشطر الثاني والأول شبه كمال الاتصال لأن الثانية جواب عن سؤال مقدر نشأ من الأولى كأنه قيل: فما حال الكريم في ماله؟ فقال إن الكريم الخ.

٨ - بين نفسي له والفداء كمال الاتصال لأن الثانية تأكيد لفظي للأولى.

٩ - إن هذا إلا ملك - تأكيد معنوي لقوله ما هذا بشراً، إذ مجرى العادة والعرف أنه إذا قيل في معرض المدح: ما هذا بشراً، وما هذا بآدمي، أن يكون الغرض أنه ملك، فيكنى به عن ذلك. فبينهما كمال الاتصال.

١٠ - بين يدبر ويفصل كمال الاتصال لأن الثانية بدل بعض من كل.

١١ - بين قوله وما ينطق عن الهوى وقوله إن هو إلا وحى يوحى. كمال الاتصال لأن الثانية تأكيد معنوي، لأن تقرير كونه وحياً نفي لأن يكون عن هوى.

١٢ - بين قالوا وقال شبه كمال الاتصال، لأن الثانية جواب عن سؤال مقدر، كأنه قيل فماذا قال لهم؟ حينئذ أجيب بأنه قال سلام - وهكذا الحال في حكاية القصص في كل ما جاء في القرآن، والحديث وكلام العرب.

١٣ - فصل بين الشطر الثاني والأول، لأن بينهما كمال الاتصال - إذ الشطر الثاني مؤكد للأول.

١٤ - فصل جملة يخادعون عما قبلها، لأن بينهما كمال الاتصال، لأن هذه المخادعة ليست شيئاً غير قولهم آمنا - دون أن يكونوا مؤمنين، فهي إذاً تأكيد معنوي للأولى.

١٥ - ﴿وَإِذَا تُلِيَ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا﴾^(١).

[الوافر]

١٦ - أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بِنَوْمٍ سَعِيدٌ مِّنْ يَّبِيتُ قَرِيرَ عَيْنٍ

[الوافر]

١٧ - فَأَبَوْا بِالرِّمَاحِ مَكْسُرَاتٍ وَأَبْنَا بِالسَّيَوفِ قَدْ انْحَنَيْنَا

[البسيط]

١٨ - فَمَا الْحَدَاثَةُ عَنْ حِلْمٍ بِمَانَعَةٍ قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشَّبَانِ وَالشَّيْبِ

[الطويل]

١٩ - يَقُولُونَ إِنِّي أَخِمْ الضَّيْمَ عِنْدَهُمْ أَعُوذُ بِرَبِّي أَنْ يَضَامَ نَظِيرِي

٢٠ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

[الطويل]

٢١ - فَيَا مَوْتَ زُرْ إِنَّ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ وَيَا نَفْسُ إِنْ دَهَرَكَ هَازِلٌ

٢٢ - ﴿يَسْأَلُونَكَ سَوَاءَ الْغَلَابِ يُدْخِلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾^(٣).

٢٣ - ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾^(٤).

(١) سورة لقمان: الآية ٧.

(٢) سورة يس: الآية ١٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٤٩.

(٤) سورة النمل: الآية ٨٨.

١٥ - فصلت جملتنا كأن لم يسمعها - وكان في أذنيه وقرا، عما قبلهما لأنهما كالتوكيد له، إذ المقصد من التشبيهين واحد، وهو أن ينفي الفائدة في تلاوة ما تلي عليه من الآيات - فهما من كمال الاتصال.

١٦ - فصل الشطر الثاني عن الأول لاختلافهما خبرا وإنشاء - فبينهما كمال الانقطاع.

١٧ - بين جملتي أبوا وأبنا توسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية مع وجود المناسبة.

١٨ - بين الشطر الثاني والأول شبه كمال الاتصال، إذ الثاني جواب سؤال مقدر.

١٩ - هذا البيت من حيث عدم عطف أعوذ على ما قبله. على حد قوله: وتظن سلمى الخ.

٢٠ - لم تعطف على ما قبلها مع أن بينهما مناسبة في المعنى بالتضاد لأنها مبيئة لحال الكفار، وما قبلها مبين لحال المؤمنين، وإن بيان حال المؤمنين غير مقصود لذاته، بل ذكر استتباعا لبيان حال الكفار، وليس بين بيان حال المؤمنين وحال الكفار مناسبة تقتضي الوصل.

٢١ - لم يعطف قوله إن الحياة على ما قبله لأنه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل لماذا تطلب زيارة الموت؟ فأجاب إن الحياة ذميمة.

٢٢ - لم يعطف قوله يذبحون على يسومون لكونه بيانا له.

٢٣ - فجملة تحسبها جامدة بدل اشتمال.

٢٤ - ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾^(١).

٢٥ - ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾^(٢) يُضَعَفُ لَهُ الْعَذَابُ^(٢).

(١) سورة الرعد: الآية ٢.

(٢) سورة الفرقان: الآيتان ٦٨، ٦٩.

٢٤ - فجملة يفصل الآيات بدل بعض.

٢٥ - فجملة يلقى أثامًا بدل كل - وقد أنكر بدل الكل علماء البيان خلافاً للنحاة.

الباب التاسع

في الإيجاز والإطناب والمساواة

كلُّ ما يُجول في الصّدر من المعاني، ويخطرُ ببالك معنى منها، لا يَعدُّو التّعبير عنه طريقًا من طُرُقِ ثلاث:

أولاً: إذا جاء التّعبير على قدر المعنى بحيث يكون اللفظ مُساوياً لأصل ذلك المعنى - فهذا هو «المساواة» وهي الدّستور الذي يُقاس عليه.

ثانياً: إذا زاد التّعبير على قدر المعنى فذاك هو «الإطناب».

ثالثاً: إذا نقص التّعبير عن قدر المعنى فذلك هو «الإيجاز»^(١).

لهذا يختار البليغ للتّعبير عمّا في نفسه طريقاً من هذه الطّرق الثلاث فهو تارة يُوجِزُ، وتارة يُسهبُ، وتارة يأتي بالعبرة بينَ بَيْنَ.

وذلك على حسب ما يقتضيه حال المخاطب، ويدعو إليه موطنُ الخطاب.

وفي هذا الباب ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

في الإيجاز وأقسامه

الإيجاز - هو جَمْعُ المعاني المُتكاثِرة تحت اللفظ القليل الوافي بالغرض مع الإبانة والإفصاح.

يعني أنّ الإيجاز هو تأدية المعنى بأقلّ من مُتعارف الأوساط^(٢) مع وفائها بالغرض

(١) قال الإمام علي ما رأيت بليغاً قط إلا وله في القول إيجاز، وفي المعاني إطالة - وقالت بنت الحطيئة لابنها - ما بال قصارك أكثر من طوالك قال لأنها بالأذان أولج، وبالأفواه أعلق - وقيل لشاعر - لم لا تطيل شعرك؟.

فقال حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

(٢) بأن يكون اللفظ أقل من المعهود عادة، مع وفائه بالمراد، فإن لم يف كان الإيجاز إخلالاً وخذفاً رديئاً - كقول عروة بن الورد: [الطويل]

كقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١).

بهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها - وكقوله تعالى ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ (٢) وكقوله عليه السلام «إنما الأعمال بالنيات».

فإذا لم تفِ العبارة بالغرض سمّي «إخلافاً وحذفاً رديئاً» كقول الشُّكْرِي:

[مجزوء الكامل]

والعيش خيرٌ في ظِلِّ ل النُّوكِ مَمَّنْ عاش كَدًا
«مراده أن العيش النَّاعم الرَّغد في حال الحُمق والجهل خيرٌ من العيش الشَّقَّ في حال العقل» لكن عبارته لا تفيد ذلك فيضرب به عُرْضُ الحائط.
وينقسم الإيجاز إلى قسمين. إيجاز قِصَرٍ - (٣) وإيجاز حَذْفٍ.

- = عجبتم لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا
يريد إذ يقتلون نفوسهم في السلم - لكن صوغ كلامه لا يدل عليه. ومثله قول بعضهم نثراً (فإن المعروف إذا زجا كان أفضل منه إذا وفر وأبطأ) ولأجل تمام ما يريد كان عليه أن يقول - إذا قلَّ وزجا.
واعلم أن متعارف الأوساط هم الذين لم يرتقوا إلى درجة البلغاء ولم ينحطوا إلى درجة البسطاء، فهو الدستور الذي يُقاس عليه كل من الإيجاز والإطناب.
(١) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٤.
(٣) وإيجاز القِصَر. هو ما زيد فيه المعاني على الألفاظ. وللقرآن الكريم فيه المنزلة التي لا تسامى - والغاية التي لا تترك.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] فهذه الآية قد جمعت مكارم الأخلاق. وانطوى تحتها كل دقيق وجليل. إذ في العفو الصفح عمن أساء، وفي الأمر بالمعروف صلة الأرحام. ومنع اللسان عن الكذب وغض الطرف عن كل المحارم - وقوله عز اسمه ﴿وَأَلْفُكِ لَأَنِّي بَجَبْرٍ فِي أَلْبَحْرِ بِمَا يَفْعُ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٦٤] استوعبت تلك الآية الكريمة أنواع المتاجر. وصنوف المرافق التي لا يبلغها العدّ - وقوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] هاتان كلمتان أحاطتا بجميع الأشياء على غاية استقصاء - وقوله عليه السلام «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء. وعودوا كل جسم ما اعتاد» فقد تضمن ذلك من المعاني الطبية شيئاً كثيراً.

وقول عليٍّ كَرَّمَ الله وجهه «من استقبل وجوه الآراء عرف وجوه الخطأ».

وقول بعض الأعراب (اللهم هب لي حقلك وأرض عني خلقك) فسمعه علي عليه السلام فقال: هذا هو البلاغة ومنه قول السموءل: [الطويل]

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الشئ سبيل
فقد اشتمل على حميد الصفات من سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر واحتمال مكاره - إذ =

فإيجاز القصر يكون بتّصميم العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾^(١) فإنّ معناه كثير، ولفظه يسير، إذ المراد أن الإنسان إذا علم أنه متى قُتل قُتِلَ امتنع عن القتل، وفي ذلك حياته وحياة غيره، لأنّ «القتل أنفَى للقتل»^(٢) وبذلك تطول الأعمار، وتكثر الذرية، ويُقبل كلُّ واحد على ما يعود عليه بالنّفع، ويتم النّظام، ويكثر العمران.

وهذا القسم مطمح نظر البلغاء، وبه تتفاوت أقدارهم، حتّى أنّ بعضهم سئل عن البلاغة فقال: هي «إيجاز القصر» وقال أكثرهم بن صيّفي خطيب العرب «البلاغة الإيجاز». وإيجاز الحذف يكون بحذف شيء من العبارة لا يخلّ بالفهم، مع قرينة تُعيّن المحذوف - وذلك المحذوف إما أن يكون.

- ١ - حرفاً كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَعِيّاً﴾^(٣) - أصله ولم أكنّ^(٤).
- ٢ - أو اسماً مضافاً نحو ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾^(٥) أي في سبيل الله.
- ٣ - أو إسماً مضافاً إليه - نحو ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْتَهَا بِعَشْرِ﴾^(٦) أي بعشر ليال.

= كل هذه مما تضييع النفس لما يحصل في تحملها من المشقة والعناء.

والسبب فيما له من الحسن والروعة دلالة قليل الألفاظ على كثير المعاني إلى ما فيه من الدلالة على التمكن في الفصاحة والبراعة. ولذا قال محمد الأمين «عليكم بالإيجاز فإنّ له إفهاماً، وللإطالة استبهاماً» وقال آخر «القليل الكافي خير من كثير غير شاف».

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

(٢) لقد أثر وتُقل عن العرب قولهم «أُقتلُ أنفَى للقتل» وأين هذا المثل من هذه الآية الشريفة التي تمتاز بوجوه - منها أنها كلمتان، وما نُقل عنهم أربع - ومنها أنه لا تكرار فيها. وفيما قالوه تكرار - ومنها أنه ليس كل قتل يكون نافعاً للقتل، وإنما يكون كذلك إذا كان على جهة القصاص - ومنها حسن التّأليف وشدة التلاؤم المدركان بالحق في الآية الكريمة التي بلغت حدّ الإعجاز، فيما قالوه في مثلهم البسيط الذي لا يزيد عن متعارف الأوساط.

(٣) سورة مريم: الآية ٢٠.

(٤) وكحذف لا في قول عاصم المنقري: [الوافر]

رأيت الخمر جامدة وفيها	خصال تفسد الرجل الحلّما
فلا والله أشربها حياتي	ولا أسقي بها أبداً نديماً

يريد لا أشربها.

ويشترط في إيجاز الحذف أن يقوم دليل على المحذوف وإلا كان الحذف رديئاً الكلام وغير مقبول.

(٥) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٦) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.

- ٤ - أو إسمًا موصوفًا - نحو ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾^(١) أي عملاً صالحاً.
 ٥ - أو إسمًا صفة - نحو ﴿فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾^(٢) أي مضافاً إلى رجسهم.
 ٦ - أو شرطاً - نحو ﴿فَأَتَيْنُونِي يَعْجِبُكُمُ اللَّهُ﴾^(٣) أي فإن تتبّعوني.
 ٧ - أو جواب شرط - نحو ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُقُوتُوا عَلَى النَّارِ﴾^(٤) أي لرأيت أمراً فظيماً.
 ٨ - أو مسنداً - نحو ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٥) أي خلقهن الله.

٩ - أو مسنداً إليه - كما في قول حاتم:

[الطويل]

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
 أي إذا حشرجت النفس يوماً.

١٠ - أو متعلّقاً - نحو ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(٦) أي عما يفعلون.

١١ - أو جملة - نحو ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾^(٧) أي فاختلفوا فبعث.

١٢ - أو جملاً - كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾^(٨) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ^(٩).

أي فأرسلوني إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه فاتاه وقال له يا يوسف.

واعلم أنّ دواعي الإيجاز كثيرة - منها الاختصار، وتسهيل الحفظ وتقريب الفهم، وضيق المقام، وإخفاء الأمر على غير السامع، والضّجر والسّامة، وتحصيل المعنى الكثير اللفظ اليسير الخ.

(١) سورة مريم: الآية ٦٠. (٢) سورة التوبة: الآية ١٢٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣١. (٤) سورة الأنعام: الآية ٢٧.

(٥) سورة لقمان: الآية ٢٥. (٦) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

(٧) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

(٨) فأرسلون حكاية عن أحد الفتين الذي أرسله العزيز إلى يوسف ليستعبره ما رآه. واعلم أنه لا بد من دليل يدل على المحذوف وهو - إما العقل وحده - نحو ﴿وَبِمَا رَزَاكَ﴾ [الفجر: ٢٢] - وإما العقل مع غيره: نحو ﴿حَرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةَ﴾ [المائدة: ٣] - أي تناولها - وإما العادة: نحو فذلكن الذي لمتنني فيه - أي في مرادته. وإما الشروع فيه: نحو بسم الله الرحمن الرحيم - أي أولف مثلاً. وإما مقارنة الكلام للفعل: كما تقول لمن تزوج «بالرفاء والبنين» أي أعزست متلبساً بالاتفاق والبنين.

تنبيه: حذف الجمل أكثر ما يرد في كلام الله عز وجل، إذ هو الغاية في الفصاحة، والنهاية في مراتب البلاغة، سورة يوسف: الآيتان ٤٥، ٤٦.

ويستحسن «الإيجاز» في الاستعطاف، وشكوى الحال، والاعتذارات.
والتعزية، والعتاب، والوعد والوعيد - والتوبيخ، ورسائل استخراج الخراج وجباية
الأموال ورسائل الملوك في أوقات الحرب إلى الولاة والأوامر والتواهي الملكية،
والشكر على النعم.

المبحث الثاني

في الإطناب وأقسامه

الإطناب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن
مُتعارف الأوساط لفائدة تقويته وتوكيده - نحو ﴿رَبِّ إِيَّاهُ وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ
شَيْبًا﴾^(١) أي كبرُ.

فإذا لم تكن في الزيادة فائدة يُسمى «تطوير» إن كانت الزيادة غير مُتعيّنة ويُسمى
«حشوا» إن كانت الزيادة مُتعيّنة.

فالتطوير - كقول عديّ العبادي في جذيمة الأبرش:

[الوافر]

وقدّث الأديمَ لراهشيه وألقى قولها كذبًا ومينًا^(٢)
فالمينُ والكذب بمعنى واحد. ولم يتعيّن الزائد منهما، لأن العطف بالواو لا يفيد
ترتيبًا ولا تعقيبًا ولا ميعّة.

[الطويل]

وأعلمُ علم اليوم والأمس «قبله» ولكنتني عن علم ما في غد عَمِي^(٣)

(١) سورة مريم: الآية ٤.

(٢) وقدّث أي قطعت. والضمير فيه يعود على الزباء. وهي امرأة ورثت المُلْك عن أبيها - والأديم
الجلد، ولراشيه أي إلى أن وصل القطع للراشيين وهما عرقان في باطن الذراع يتدفق الدم منهما
عند القطع - والضمير في ألقى يعود على المقطوع راهشاه وهو جذيمة الأبرش. والمراد الإخبار
بأن جذيمة غدرت به الزباء وقطعت راهشيه وسال منه الدم حتى مات، وأنه وجد ما وعدته من
تزوجه بها كذب. وكقول الشاعر: [الطويل]

ألا حبذا هندٌ وأرضٌ بها هندٌ وهند أتى من دونها النَّأي والبُعدُ
فالنأي والبعد بمعنى واحد، ولا يتعين أحدهما للزيادة.

(٣) الشاهد في قوله - قبله، لأنه معلوم من قوله أمس: وكقول الآخر: [مجزوء الوافر]

ذكرت أخِي فعاودني صُداغُ الرأسِ والصَّوْصُبُ
فإن الصداغ لا يكون إلا في الرأس، فذكر الرأس لا فائدة فيه.

وكلُّ من الحشو والتَّطويل معيب في البيان. وكلاهما بمغزٍل عن مراتب البلاغة. واعلم أنَّ دواعي الإطناب كثيرة. منها تثبيت المعنى؛ وتوضيح المراد، والتَّوكيد، ورفع الإبهام، وإثارة الحمية - وغير ذلك. وأقسام الإطناب كثيرة^(١).

١ - منها ذكر الخاص بعد العام - كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾^(٢) وفائدته التنبيه على فضل الخاص حتى كأنه لفضله ورفعته جزء آخر مغاير لما قبله.

٢ - ومنها ذكر العام بعد الخاص - كقوله تعالى^(٣) ﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتَنَا مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٤).

وفائدته شمول بقية الأفراد - والاهتمام بالخاص لذكره ثانيًا في عنوان عام. بعد ذكره أولًا في عنوان خاص.

٣ - ومنها الإيضاح بعد الإبهام لتقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين، مرة على سبيل الإبهام والإجمال، ومرة على سبيل التفصيل والإيضاح، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْعِقِينَ﴾^(٥).

فقوله: أنَّ دابر هؤلاء تفسير وتوضيح لذلك الأمر، وفائدته تفخيم شأن المُبَيَّن وتمكينه في النفس زيادة تمكّن.

٤ - ومنها التوشيع - وهو أن يُؤتى في آخر الكلام بمثني مفسر بمفردين ليُرى المعنى في صورتين يخرج فيهما من الخفاء المُستوحش إلى الظهور المأنوس - نحو - العلم علمان، علم الأبدان، وعلم الأديان.

٥ - ومنها التكرار - وهو ذكر الشيء مرتين أو أكثر - لأغراض:

الأول: التأكيد كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٦) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ^(٦) كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٧) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا^(٧).

(١) ومنها الحروف الزائدة. وتكثير الجمل - نحو ﴿فِيمَا رَحِمَ مِنَّا اللَّهُ لَبِئْسَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٨.

(٣) من دعاء سيدنا نوح لنفسه ولوالديه وللمؤمنين.

(٤) سورة نوح: الآية ٢٨. (٥) سورة الحجر: الآية ٦٦.

(٦) أي سوف تعلمون ما أنتم عليه من الخطأ إذا شاهدتم هول المحشر، سورة التكاثر: الآيتان ٣، ٤.

(٧) سورة الشرح: الآيتان ٥ - ٦.

الثاني: طول الكلام لئلا يجيء مبتورًا ليس له تلاوة - كقوله:

[الطويل]

وإنّ امرأ دامت موثيقٌ عهده على مثل هذا إنه لكريمٌ^(١)

الثالث: قصد الاستيعاب نحو - قرأت الكتاب بابًا بابًا - وفهمته كلمة كلمة.

الرابع: زيادة الترغيب في العفو - كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

الخامس: استمالة المخاطب لقبول الخطاب كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَنْقُورُ أَنْتُمْ يَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾^(٣) يَنْقُورُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ^(٤).

السادس: التثويه بشأن المخاطب نحو - إنَّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إبراهيم.

السابع: الترديد وهو تكرار اللفظ متعلقًا بغير ما تعلّق به أولاً نحو: السّخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة.

والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة.

الثامن: التلذذ بذكره، نحو قول مروان بن أبي حفصة:

[الطويل]

سقى الله نجدًا والسّلام على نجد ويا حبّذا على القُرب والبُعد

التاسع: الإرشاد إلى الطريق المثلى كقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ فَأُولَٰئِكَ قَالُوا لَكَ فَأُولَٰئِكَ﴾^(٥).

٦ - ومنها الاعتراض - وهو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متّصلين في المعنى بجملة معترضة أو أكثر لا محلّ لها من الإعراب^(٥).

وذلك لأغراض يرمي إليها البليغ - غير دفع الإبهام.

أ - كاللدّعاء نحو: إنّي «حفظك الله» مريض.

وكقول عوف بن محلم الشيباني:

(١) الشاهد في تكرير إنّ في أول البيت، وتكريرها في آخره.

(٢) سورة التغابن: الآية ١٤. (٣) سورة غافر: الآية ٣٩.

(٤) سورة القيامة: الآيتان ٣٤، ٣٥.

(٥) لم يشترط بعضهم وقوعه بين جزئي جملة ولا بين كلامين، بل جوز وقوعه آخر الكلام مطلقًا سواء وليه ارتباط بما قبله أو لا - كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] - =

[السريع]

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلَّغَتْهَا قد أحوِجْتُ سمعي إلى تَرْجَمَانٍ^(١)
ب - والتَّنبِيه على فضيلة العلم - كقول الآخر:

[السريع]

وَاعْلَمُ فَعَلِمُ الْمَرْءُ يَنْفَعُهُ أَنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِّرَا
ج - والتَّزْيِيد كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ (٥٧) ^(٢).
د - وزيادة التَّأَكِيد - كقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلًا فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ (٣١) ^(٣).
هـ والاستعطاف - كقول الشاعر:

[الكامل]

وَخَفُوقِ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لَهَيْبِهِ يَا جَنَّتِي لِرَأَيْتَ فِيهِ جَهَنَّمَا
و - والتهويل نحو: ﴿وَإِنَّكُمْ لَقَسَرْتُمْ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمًا﴾ (٦٦) ^(٤).
٧ - ومنها الإيغال - وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها كالمبالغة في قول الخنساء:

[البسيط]

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاةَ بِهِ كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارَ
فقولها «كأنه علم» واف بالمقصود، لكنها أعقبته بقولها «في رأسه نار» لزيادة المبالغة، ونحو: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٥٠) ^(٥).
٨ - ومنها التذليل - وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مُسْتَقَلَّة تشتمل على معناه تأكيدًا لها^(٦) نحو ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨١) ^(٧) ونحو ﴿ذَلِكَ

⁼ فجملة ونعم الوكيل معترضة، وليست معطوفة على ما قبلها حتى يلزم عطف الإنشاء على الخبر.

(١) بلغتها بفتح التاء أي بلغك الله إياها - وترجمان كزعفران ويجوز ضم التاء مع الجيم. واعلم أن الدعاء من الشاعر موجه إلى المخاطب بطول عمره - وأن يعيش مثله ثمانين سنة - واعلم أنه قد يقع الاعتراض في الاعتراض كقوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْجِعِ الثُّجُورِ﴾ (٧٥) وَإِنَّكُمْ لَقَسَرْتُمْ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمًا (٦٦) إِنَّكُمْ لَقَرَأْتُمْ كَرِيمًا (٧٧) فِي كِتَابٍ تَكُونُونَ (٧٨) [الواقعة: ٧٥ - ٧٨].

(٢) سورة النحل: الآية ٥٧. (٣) سورة لقمان: الآية ١٤.

(٤) سورة الواقعة: الآية ٧٦. (٥) سورة النور: الآية ٣٨.

(٦) التأكيد ضربان التأكيد المنطوق كما في هذه الآية - التأكيد المفهوم كقوله: [الطويل]

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَحَا لَا تَلْمَهُ على شعث أي الرجال المهذب

دل بمفهومه على نفي الكمال من الرجال، فأكد به بقوله (أي الرجال المهذب).

(٧) سورة الإسراء: الآية ٨١.

جَزَيْتُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ تُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ ﴿١٧﴾^(١).
والتذيلُ «قسمان».

أ - جار مجرّى الأمثال لاستقلال معناه واستغنائه عما قبله كقول طرفة:

[السريع]

كلّ خليل قد كنت خالته لا ترك الله له واضحه
كلّم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحه

ب - وغير جار مجرّى الأمثال - لدعم استغنائه عما قبله، ولعدم استقلاله بإفادة المعنى المراد كقول النابغة:

[البسيط]

لم يُبق جودك لي شيئاً أوّله تركتني أصحاب الدنيا بلا أمل
٩ - ومنها الاحتراس - ويقال له التكميل - وهو أن يؤتى بعد كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الإيهام.

يعني أن الاحتراس يُوجد حينما يأتي المتكلم بمعنى يُمكن أن يدخل عليه فيه لوم، فيفطن لذلك ويأتي بما يخلصه سواء وقع في وسط الكلام نحو:

[الكامل]

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صوبَ الرَّبِيعِ وَدَيْمَةِ تَهْمِي
فقوله غير مفسدها للاحتراس - أو وقع في آخره.

نحو: ﴿وَيُطِمْثُونَ أَطْعَامَ عَلَى حَيْدٍ﴾^(٢) أي مع حب الطعام واشتياهم له وذلك أبلغ في الكرم. وكقول أعرابية لرجل «أَذَلَّ اللهُ كُلَّ عَدُوِّكَ إِلَّا نَفْسَكَ».

١٠ - ومنها التّتميم - وهو زيادة كلمة أو أكثر توجد في المعنى حُسنا بحيث لو حذفت صار الكلام مُبتدلاً - كقول ابن المعتز يصف فرساً:

[الطويل]

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنَا فطارت بها أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلُ
إِذْ لَوْ حَذَفَ ظَالِمِينَ لَكَانَ الْكَلَامُ مُبْتَدَلًا، لَا رِقَّةَ فِيهِ وَلَا طَلَاوَةَ وَتَوَهَّمَ أَنَّهَا بَلِيدَةٌ تَسْتَحِقُّ الضَّرْبَ.

ويستحسن الإطناب في الصلح بين العشائر، والمدح والثناء، والذم والهجاء، والوعظ والإرشاد والخطابة في أمر من الأمور العامة، والتهنئة ومنشورات الحكومة

(١) سورة سبأ: الآية ١٧.

(٢) سورة الإنسان: الآية ٨.

إلى الأمة. وكتب الولاء إلى الملوك لإخبارهم بما يحدث لديهم من مهام الأمور. واعلم أن الأطناب أرجح عند بعضهم من الإيجاز، وحجته في ذلك أن المنطق إنما هو البيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع. والشفاء لا يقع إلا بالإقناع. وأفضل الكلام أبينه. وأبينه أشد إحاطة بالمعاني. ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء. والمختار أن الحاجة إلى كل ماسة. ولكل موضع لا يسد أحدهما في الآخر فيه. وللدوق السليم القول الفصل في هذه الشؤون.

المبحث الثالث

في المساواة

المساواة - هي تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له^(١) - بأن تكون المعاني بقدر الألفاظ. والألفاظ بقدر المعاني. لا يزيد بعضها على بعض وهي الأصل المقيس عليه، والدستور الذي يعتمد عليه.

كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَقَدْ مَوْا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٢).

فإن اللفظ فيه على قدر المعنى - لا ينقص عنه ولا يزيد عليه.

كقول طرفة بن العبد:

[الطويل]

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

أسئلة على الإيجاز والإطناب والمساواة يطلب أجوبتها

ما هي المساواة؟ - ما هو الإيجاز؟ ما هو الإطناب؟ كم قسمًا الإيجاز؟ ما هو

(١) المساواة هي ما ساوى لفظه معناه بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر - وهي نوعان الأول - مساواة مع الاختصار وهي أن يتحرى البليغ في تأدية المعنى أوجز ما يكون من الألفاظ القليلة الأحرف. الكثيرة المعاني - كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠] وكقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَعْلَى﴾ [فاطر: ٤٣].

والثاني - مساواة بدون اختصار ويسمى المتعارف وهو تأدية المقصود من غير طلب للاختصار. كقوله تعالى: ﴿حَرُّ مَفْصُورَتٍ فِي أَلْيَابٍ﴾ [الرحمن: ٧٢] والوجهان في المركز الأسمى من البلاغة - غير أن الأول أدخل فيها وأدل عليها.

والمساواة فن من القول عزيز المنال. تشرتبث إليه أعناق البلغاء، لكن لا ترتقي إلى ذراه إلا الأفاذا لصعوبة المرتقى وجلالة المقصد، والمساواة يعتبرها بعضهم وسقًا بين الإيجاز والإطناب وبعضهم يدمجها ولا يعدها قسمًا ثالثًا للإيجاز والإطناب.

(٢) سورة البقرة: الآية ١١٠.

إيجاز القِصَر؟ ما هو إيجاز الحذف؟ بأي شيء يكون إيجاز الحذف؟ كم قسمًا الإطناب؟ ما هو ذكر الخاص بعد العام ما هو ذكر العام بعد الخاص؟ ما هو الإيضاح بعد الإبهام؟ ما هو التكرار ما هو الاعتراض؟ ما هو الإيغال؟ ما هو التوشيع؟ ما هو التذييل ما هو التكميل؟ ما هو التتميم؟ ما هو الاحتراس؟ ما هو الفرق بين التطويل والحشو؟ ما هي دواعي الإيجاز؟ ما هي دواعي الإطناب؟ كم قسمًا التذييل؟ أيكون الإطناب بغير هذه الأنواع.

تطبيق عام على الإيجاز والإطناب والمساواة

درستُ الصرف - فيه مساواة لأن اللفظ على قدر المعنى - ﴿وَيَطْمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشَكَّيْنًا وَنَيْمًا وَأَسِيرًا﴾^(١). فيه إطناب بالتتميم فإن على حبه فضلة لزيادة التحسين في المعنى ولا يحق المكر السيء إلا بأهله - فيه مساواة.

المرء بأدبه - فيه إيجاز قصر لتضمن العبارة القصيرة معاني كثيرة.

تالله تفتأ تذكر يوسف - فيه إيجاز حذف وهو لا.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ﴾^(٢) - فيه إيجاز حذف جملة أي فضرِب فانفلق.

ألا كل شيء ما خلا الله باطل - فيه إطناب بالاحتراس.

[الطويل]

إذا أنت لم تشرب مرارًا على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه فيه الإطناب بالتذييل. والجملة الثانية جارية مجرى المثل.

جوزي المذنب بذنبه وهل يجازى إلا المذنب. فيه إطناب بالتذييل. وليس جاريًا مجرى المثل.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ﴾^(٣) - فيه إطناب بالاحتراس البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة - فيه إطناب بالترديد ولكن البر من اتقى - فيه إيجاز حذف مضاف - أي ذا البر.

[الكامل]

واهتم للسفر القريب فإنه أنأى من السفر البعيد وأشنع فيه إطناب بالإيغال. فإن أشنع مزيدة للترغيب في الاهتمام.

(١) سورة الإنسان: الآية ٨.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٦٣.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩٤.

خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً. فيه إيجاز حذف - أي خلطوا عملاً صالحاً بسيئاً وعملاً سيئاً بصالح.

والليل إذا يسر - فيه إيجاز بحذف الياء. وسبب حذفها أن الليل لما كان غير سار وإنما يسري من فيه. نقص منه حرف، إشارة إلى ذلك جرياً على عادة العرب في مثل ذلك ليحق الحق ويبطل الباطل - فيه إيجاز بحذف جملة - أي فعل ذلك.

تمرين

بين الإيجاز والإطناب والمساواة وأقسام كل منها فيما يأتي:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١).
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢) ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ (٣).

[الوافر]

أنا ابن جلا^(٤) وطلّاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني
﴿قَالَ اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ (٥) ﴿وَلَنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (٦).

[الطويل]

فقلت يمين الله أبرح قاعداً^(٧) ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

[البسيط]

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحلّ دم الحجاج في الحرم^(٨)

[الطويل]

تَظْمِنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَظْمِنُ الْقُلُوبُ^(٩)

(١) في هذه الآية الإطناب بكثير الجمل. وهذا خلاف الأنواع السابقة. وذلك لأنه لما كان الخطاب مع العموم وفيهم الذكي والغبي صرح بخلق أمها الممكنات الظاهرة ليكون دليلاً على القدرة الباهرة - وذلك بدل أن يقال (إن في وقوع كل ممكن تساوى طرفاه آيات للعقلاء)، سورة البقرة: الآية ١٦٤.

(٢) فيه إيجاز القصر لأنه قد جمع مكارم الأخلاق، سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

(٣) أي سفينة سالمة، سورة الكهف: الآية ٧٩. (٤) أي أنا ابن رجل جلا.

(٥) الشرط محذوف أي إن أرادوا ولياً فالله هو الولي، سورة الشورى: الآية ٩.

(٦) أي فاقثد واصبر، سورة آل عمران: الآية ١٨٤، سورة الحج: الآية ٤٢.

(٧) أي لا أبرح.

(٨) في الحرم - إيغال للزيادة في المبالغة. (٩) فيه التذييل.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ۖ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾^(١) ﴿١٨﴾^(٢).

[البسيط]

لله لذة عيش بالحبيب مضت ولم تدم لي وغير الله لم يدم^(٣)
﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرِّجْ يَغْنَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾^(٤) ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٥) - ﴿فَلَا أَفْسُدُ بِمَوْقِعِ النَّجْمِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَفَسَدٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾^(٦) ﴿٧٦﴾^(٧).

[الطويل]

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْجَلْمُ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ مَعَ الْجَلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهِيبٌ^(٨)

[البسيط]

أَتَى الزَّمَانَ بَنُوهُ فِي شَبِيبَتِهِ فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى هَرَمٍ^(٩)

[الطويل]

وَالْفَيْثُهُ بَحْرًا كَثِيرًا فُضُولُهُ جَوَادَ مَتَى يَذْكُرُ لَهُ الْخَيْرُ يَزِدُّ^(١٠)

[الطويل]

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ دَفَعَ مَنِيِّتِي فَذَرْنِي أَبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

[الكامل]

مَا أَحْسَنَ الْأَيَّامَ إِلَّا أَنَهَا يَا صَاحِبِي إِذَا مَضَتْ لَمْ تَرْجِعْ

[الطويل]

وَلَسْتَ بِمَسْتَبَقِ أَخَا لَا تَلُمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيُّ الرُّجَالِ الْمُهَذَّبِ

[الوافر]

تَأْمَلْ مِنْ خِلَالِ السَّجْفِ وَانْظُرْ بَعِينِكَ مَا شَرِبْتُ وَمَنْ سَقَانِي

تَجِدْ شَمْسَ الضُّحَى تَدْنُو بِشَمْسٍ إِلَيَّ مِنَ الرَّحِيقِ الْخُسْرَوَانِي

(١) احتسب بقوله وهو مؤمن عن توهم الإطلاق.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٩.

(٣) في قوله (من غير سوء) احتسب عن توهم بياض البرص ونحوه، سورة النمل: الآية ١٢.

(٤) سورة الحشر: الآية ٩.

(٥) في الاعتراض، سورة الواقعة: الآيات ٧٥ - ٧٦.

(٦) في البيت احتسب.

(٧) في البيت إيجاز - أي وأتيناه على هرم (فساءنا).

(٨) في البيت إطناب - فإن قوله متى يذكر الخير يزداد تكميل.

خاتمة

الأصول والمقتضيات المذكورة في هذا الفن ليست مَسُوقةً على سبيل الحصر، وإنما هي نموذج يُنبّه الطالب على اعتبار ما يحسن في الذّوق اعتباره، ويُعينه على استخراج ما في الكلام من وجوه البلاغة^(١).

والقاعدة أنه متى وُجد الكلام الصادر عَمَّنْ يُعْتَدَ بكلامه مُستعملًا في غير معناه الأصلي المعروف له وضعًا طُلِبَ المُراد بالتأمل الصادق مستعينًا بالقرائن و. المقال حتى ينجلي له وجه العدول - وقد تقدّم كثير من ذلك العدول (المسمّى بإخراج الكلام على خلاف مُقتضى الظاهر) في الأبواب السابقة.

وبقي من هذا القليل أنواع أخرى:

الأول: الالتفات وهو نقل الكلام من حالة التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى حالة أخرى من ذلك، لمقتضيات ومُناسباتٍ تظهر بالتأمل في مواقع الالتفات، وتلويّنًا للخطاب حتى لا يملّ السّامع من التزام حالة واحدة «فإن لكل جديد لذة» ولد بعض مواقع لطائف، ملاك إدراكها الذوق السليم. واعلم أنّ صور العدول إلى الالتفات ستة:

١ - عدول من التّكلم إلى الخطاب - كقوله تعالى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٢).

٣ - عدول من الخطاب إلى التّكلم - كقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا لَكُمْ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾^(٣).

٤ - عدول من الخطاب إلى الغيبة - كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَمِيعُ الْغَايِبِ لَا يَخْلُقُ إِلَهٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لَا يُخْلِقُ إِلَهٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤).

(١) علمت أنّ البلاغة متروكة على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ورأيت في ما تقدم من الأحكام أن مقتضى الحال يجري على مقتضى الظاهر، وهذا الطبع هو الأصل، ولكن قد يُعدل عما يقتضيه الظاهر إلى خلافه، ممّا تقتضيه الحال في بعض مقامات الكلام لاعتبارات يراها المتكلم.

(٢) سورة الزمر: الآية ٥٣. (٣) سورة هود: الآية ٩٠.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٩.

٥ - عدول من الغيبة إلى التكلّم - كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنْ أَلْسَمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (٤٨) ﴿١﴾.

٦ - عدول من الغيبة إلى الخطاب - كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ (٢) ﴿٢﴾.

الثاني: تجاهل العارف، وهو سوق المعلوم مساق المجهول، بأن يجعل العارف بالشيء نفسه جاهلة به - وذلك لأغراض.

١ - كالتعجب نحو قوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنَا لَا نُبْصِرُ﴾ (١٥) ﴿٣﴾.

٢ - والمبالغة في المدح - نحو - وَجْهَكَ بَذَرُ أَمْ شَمْسٌ.

٣ - والمبالغة في الذم - كقول الشاعر:

[الوافر]

وَمَا أُدْرِى وَسَوْفَ إِخَالُ أُدْرِى أَقَوْمُ آلِ حَصْنٍ أَمْ نِسَاءُ

٤ - والتوبيخ وشدة الجزع كقول الشاعر:

[الطويل]

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ (٤)

٥ - وشدة الوله - كقول الشاعر:

[البسيط]

بِاللَّهِ يَا ظَبِيَّاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكَ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ

٦ - والفخر كقوله:

[الخفيف]

أَيْنَا نَعْرِفُ الْمَوَاقِفَ مِنْهُ وَتَبَاتِ عَلَى الْعِدَا وَتَبَاتَا

الثالث: القلب (٥) وهو جعل كل من الجزأين في الكلام مكان صاحبه، لغرض

(١) سورة الفرقان: الآية ٤٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٣.

(٣) سورة الطور: الآية ١٥.

(٤) تجاهلت أخت طريف عن سبب انتفاء الجزع عن الشجر لشدة التحير والتضجر.

(٥) ويستدل عليه بالتأمل في المعنى فنحو عرضت الناقة على الحوض. وأدخلت الخاتم في أصبعي - أصله «عرضت الحوض على الناقة» لأن العرض يكون على ما له إدراك وأصله أدخلت أصبعي في الخاتم «لأن الظرف هو الخاتم» والنكتة إن الظاهر الإتيان بالمعروض إلى المعروض عليه. وتحريك المظروف نحو الظرف ولما كان ما هنا بالعكس قلبوا الكلام رعاية لهذا الاعتبار - وإنما يقبل حيث يتضمن اعتبارًا لطيفًا.

كالمبالغة - نحو: قول رُؤْبَة بن العجاج:

[الرجز]

وَمَهْمَه مَغْبَرَةٌ أَرْجَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ^(١)
أي كأنَّ لون سمائه لغبرتها لون أرضه، مُبالغة في وصف لون السماء بالغُبْرَةِ، حتى صار بحيث يشبّه به لون الأرض.

ونحو: أدخلت الخاتم في أصْبُعِي، وعرضت النّاقة على الحوض.

الرابع: التّعبير عن المضارع بلفظ الماضي - وعكسه.

فمن أغراض التّعبير عن المضارع بلفظ الماضي:

أ - التّنبية على تحقيق وقوعه - نحو - ﴿أَنَّهُ أَمَرَ اللَّهُ﴾^(٢) أي يأتي.

ب - وقرب الوقوع - نحو قد قامت الصلاة - أي قُرْب القيام لها.

ج - والتّفاؤل - نحو - إن شفاك الله تذهب معي.

د - والتّعريض - نحو ﴿لَئِنْ أَشْرَكَكَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾^(٣).

فيه تعريض للمشركين بأنهم قد حُطِطت أعمالهم.

ومن أغراض التّعبير عن الماضي بلفظ المضارع:

أ - حكاية الحالة الماضية باستحضار الصّورة الغريبة في الخيال.

نحو: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾^(٤) بدل فأنارت.

ب - وإفادة الاستمرار فيما مضى - نحو - ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾^(٥) أي لو استمرّ على إطاعتكم لهلكتم.

الخامس: التّعبير عن المستقبل بلفظ اسم «الفاعل».

نحو ﴿وَإِنَّ إِلَيْنَا لَرْفَعُ﴾^(٦).

أو «المفعول» - نحو ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ نَّجْمُعُ لَهُ النَّاسُ﴾^(٧).

وذلك لأنّ الوصفين المذكورين حقيقةً في الحال مجازاً فيما سواه.

(١) والمهمة المفازة البعيدة - وأرجاؤه نواحيه.

(٢) سورة النحل: الآية ١.

(٣) سورة الزمر: الآية ٦٥.

(٤) سورة فاطر: الآية ٩.

(٥) سورة الحجرات: الآية ٧.

(٦) سورة الذاريات: الآية ٦.

(٧) سورة هود: الآية ١٠٣.

السادس: التغليب وهو ترجيح أحد الشيئين على الآخر في إطلاق لفظه عليه - وذلك.

١ - كتغليب المذكر على المؤنث في قوله تعالى: ﴿وَكَاثَتْ مِنَ الْقَتَنِينَ﴾^(١) وبالعكس - نحو - الأبوين (للأب والأم).

٢ - كتغليب الأخف على غيره - نحو الحسنين في الحسن والحسين.

٣ - كتغليب الأكثر على الأقل - كقوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتَيْنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾^(٢).

أدخل شعيب في العود إلى ملتهم، مع أنه لم يكن فيها قط، ثم خرج منها وعاد، تغليباً للأكثر.

٤ - كتغليب العاقل على غيره كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣). وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم علم المعاني ويليهِ علم البيان والله المستعان.

(١) سورة التحريم: الآية ١٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٨٨.

(٣) سورة الفاتحة: الآية ٢، سورة يونس: الآية ١٠، سورة غافر: الآية ٦٥، سورة الصافات: الآية

علم البيان

١ - البيان^(١) معناه في اللغة - الكشف والإيضاح .

وفي اصطلاح البلغاء - أصول وقواعد يُعرف^(٢) بها إيراد المعنى الواحد بطرُقٍ يَختلف بعضها عن بعض في وُضوح الدلالة على نفس ذلك المعنى (ولا بُدَّ من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائماً).

فالمعنى الواحد ككرم سعد - يُدلُّ عليه تارة بطريق التشبيه بأن يقال «سعد كحاتم» ومرة بطريق المجاز . بأن يُقال «رأيت بحرًا في دار سعد» وأخرى بطريق الكناية . بأن يُقال «سعد كثير الرماد» .

ولا يخفى أن بعض هذه التراكيب أوضح من بعض كما ستعرفه^(٣) .

«ب» وموضوع هذا العلم الألفاظ العربية من حيث المجاز والكناية وأما التكلم عن الحقيقة والتشبيه فليس مقصودًا بالذات في علم البيان .

(١) هو اسم لكل شيء كشف لك بيان المعنى وهتك لك الحجب دون الضمير - حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصله ، كائنًا ما كان ذلك البيان . ومن أي جنس كان ذلك الدليل - لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام . فبأي شيء بلغت الإفهام ، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع . واعلم أن المعتبر في علم البيان دقة المعاني المعتبرة فيها من الاستعارات والكنيات مع وضوح الألفاظ الدالة عليها . فالبيان هو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير .

(٢) أي يعرف من حصل تلك الأصول كيف يعبر عن المعنى الواحد بعبارات بعضها أوضح من بعض . فعلم البيان علم يُمكن به من إبراز المعنى الواحد بصور متفاوتة ، وتراكيب مختلفة في درجة الوضوح ، فالمحيط بفن البيان . الضليع من كلام العرب منشوره ومنظومه ، إذا أراد التعبير عن أي معنى يجول بضميره ، استطاع أن يختار من فنون القول وطرق الكلام . ما هو أقرب لمقصده ، وأليق بغرضه ، بطريقة تُبين ما في نفس المتكلم من المقاصد ، وتوصل الأثر الذي يريده به إلى نفس السامع في المقام المناسب له ، فينال الكاتب والشاعر والخطيب من نفس مخاطبيه إذا جود قوله ، وسحرهم ببديع بيانه .

(٣) ولا يغيب عن البال أن الألفاظ المترادفة تتفاوت دلالتها من جهة اللفظ والعبارة ، لا من ناحية الوضوح والخفاء فلا تدخل حينئذٍ في مباحث فن البيان .

«ج» وواضعه أبو عُبيدة الذي دَوَّنَ مسائل هذا العلم في كتابه المسمَّى «مجاز القرآن» وما زال ينمو شيئًا فشيئًا حتى وصل إلى الإمام «عبد القاهر» فأحكم أساسه، وشيَّدَ بناءه، ورَتَّبَ قواعده، وتبعه الجاحظ، وابن المُعتز وقُدَّامة، وأبو هلال العسكري.

«د» وثمرته الوقوف على أسرار كلام العرب «منشوره ومنظومه» ومعرفة ما فيه من تَفَاوُتٍ في فنون الفصاحة، وتبايُنٍ في درجات البلاغة التي يصل بها إلى مرتبة إعجاز القرآن الكريم الذي حار الجنُّ والإنسُ في مُحَاكَاة - وعجزوا عن الإتيان بمثله.

مقومة

اللفظ إن عُيِّنَ بإزاء معنى ليدلَّ عليه سُمِّيَ موضوعًا، والمعنى موضوعًا له، والتعيين وضعًا. ثم إنه بعد ذلك إمَّا ألاَّ يُتَصَرَّفَ فيه عند الاستعمال أو يُتَصَرَّفَ فيه عنده فالأول - وهو الذي لا يُتَصَرَّفُ فيه عند الاستعمال يُسَمَّى (حقيقة)^(١) والثاني - وهو الذي يُتَصَرَّفُ فيه عند الاستعمال.

أ - فإن كان التصرف بإسناده إلى غير ما حقَّه أن يُسند إليه سُمِّيَ «مجازًا عقليًا» - أو - إسنادًا مجازيًا - نحو بنى الأمير المدينة.

ب - وإن كان ينقله من معنى لمعنى لعلاقة وقرينة فإن منعت قرينته إرادة المعنى الموضوع له «فمجاز بالاستعارة» إن كانت العلاقة المشابهة - «ومجاز مرسل» إن كانت العلاقة غيرها.

وإن لم تمنع القرينة - فإن كان بالكاف وكأن ونحوهما «فتشبيه» وإلا «فكناية». ولهذا انحصر علم البيان في التشبيه - والمجاز - والكناية.

(١) وهي خمسة أنواع:

- ١ - الحقيقة العقلية^(١) وهي إسناد الشيء إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر نحو: أنبت الله الشجر.
- ٢ - الحقيقة اللغوية وهي الكلمة المستعملة في الشيء الذي وضعت له عند أهل اللغة - نحو: أسد - للحيوان المفترس.
- ٣ - الحقيقة الشرعية وهي الكلمة المستعملة في الشيء الذي وضعت له عند أهل الشرع كالصلاة فإنها موضوعة «للأقوال والأفعال المخصصة».
- ٤ - الحقيقة الاصطلاحية الخاصة وهي الكلمة المستعملة في ما وضعت له في اصطلاح خاص كالفاعل فإنه موضوع في اصطلاح النحاة «للاسم المرفوع بالفعل المذكور قبله أو شبهه».
- ٥ - الحقيقة الاصطلاحية العامة وهي الكلمة المستعملة في ما وضعت له في اصطلاح العلم نحو - دابة: فإنها موضوعة في العرف العام «لوات الأربع كالفرس والحصان».

(١) أقسام الحقيقة العقلية أربعة - الأول ما يطابق الواقع والاعتقاد ممَّا كقول المؤمن أنبت الله الزرع - الثاني ما يطابق الاعتقاد فقط كقول الجاهل أنبت المطر الزرع - الثالث ما يطابق الواقع دون الاعتقاد، كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها - خلق الله الأفعال كلها - الرابع ما لا يطابق شيئًا منهما كقولك جاء فريد - وأنت تعلم أنه لم يجرى «دون المخاطب».

الباب الأول

في التشبيه^(١)

التشبيه - أوّل طريقة تدلُّ عليه الطّبيعة لبيان المعنى - وهو في اللغة التّمثيل - وعند علماء البيان - مشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنًى^(٢) بأدوات^(٣) معلومة^(٤) - كقولك - العلم كالنّور في الهداية... فالعلم مُشَبَّه، والنور مشبه به، والهداية وجهُ الشّبه، والكاف أداة التشبيه، فحينئذٍ أركان التشبيه أربعة، مشبه. ومشبه به «وُسْمَيَان طرفي التشبيه» ووجه شبه، وأداة تشبيه «ملفوظة أو ملحوظة» - وفي هذا الباب مباحث.

(١) اعلم أن للتشبيه موقعًا حسنًا في البلاغة - وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي وإدناؤه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحًا، ويكسبها توكيدًا وفضلاً ويكسوها شرفًا ونبلاً. فهو فن واسع النطاق. فسيح الخطوة، ممتد الحواشي، متشعب الأطراف. متوعر المسلك. غامض المدارك. دقيق المجرى. غزير الجدوى.

(٢) فالتشبيه هو الدلالة على أن شيئًا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بواسطة أداة من أدوات التشبيه، ويتعريف التشبيه بذلك خرجت المشاركة في عين نحو اشترك زيد وبكر في الدار فإنه لا يسمى تشبيهًا.

(٣) خرجت الاستعارة والتشبيه الضمني في بعض صور التجريد «وهو ما لم يكن تجريد الشيء عن نفسه» لأنه حينئذٍ لا تشبيه نحو ﴿لَمَّ يَمَّا دَارَ الْخَلْدُ﴾ [فصلت: ٢٨]، فإنه لانتزاع دار الخلد من جهنم وهي عين دار الخلد لا شبيهة بها، بخلاف نحو لقيت يزيد أسدًا - فإنه لتجريد أسد من زيد. وأسد مشبه به لزيد لا عينه ففيه تشبيه مضمّر في النفس - فكل من الاستعارة والتشبيه الضمني المذكور لا يسمى تشبيهًا اصطلاحًا وليس التشبيه مجرد الاشتراك في معنى بل لا بد فيه من ادّعاء مماثلة أحد أمرين لآخر في معنى ومساواته إياه - ولذلك نفاه الشاعر: [البسيط]

ما أنت مادحها يا من تشبّهها والشمس والبدر لا بل أنت هاجيها
من أين للشمس خال فوق وجنتها ومبسم كنظام الدرّ في فيها

(٤) وهي الكاف وكأنّ ومثل ونحوها - وكذا مائل وشابه وما اشتق منهما أو يراد فهما في المعنى مما سيأتي.

المبحث الأول

في تقسيم طرفي التشبيه إلى حسي وعقلي

طرفا التشبيه «المشبه والمشبه به».

- ١ - إِمَّا حِسِّيَّانَ^(١) «أي مُدْرَكَانِ بِإِحْدَى الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ الظَّاهِرَةِ» نحو - أَثَّتْ كَالشَّمْسِ فِي الضُّيَاءِ - وكما في تشبيه «الخدُّ بالورد».
- ٢ - وَإِمَّا عَقْلِيَّانِ - أي مُدْرَكَانِ بِالْعَقْلِ نحو: العلم كالحياة ونحو «الضَّالَّكُ عَنْ الْحَقِّ كَالْعَمَى» - ونحو «الجهل كالموت».
- ٣ - وَإِمَّا الْمَشْبَهَ حِسِّيَّ وَالْمَشْبَهَ بِهِ عَقْلِيَّ - نحو - طيب السَّوْدُ كالموت.
- ٤ - وَإِمَّا الْمَشْبَهَ عَقْلِيَّ وَالْمَشْبَهَ بِهِ حِسِّيَّ - نحو - العلم كالنور.

المبحث الثاني

في تقسيم طرفي التشبيه باعتبار الأفراد والتركيب

طرفا التشبيه «المشبه والمشبه به».

(١) اعلم أن من الحسي ما لا تدركه الحواس الخمسة وهي (البصر والسمع والشم والذوق واللمس) ولكن تدرك مادته فقط ويسمى هذا التشبيه بالخيالي - كقوله: [الطويل]

كَأَنَّ الْحَبَابَ الْمُسْتَدِيرَ بِرَأْسِهَا كَوَاكِبَ دَرَّ فِي سَمَاءٍ عَقِيقِ

فإن هذه الكواكب والسماء لا يدركها الحس لأنها غير موجودة - ولكن يدرك مادتها التي هي الدر والعقيق على انفراد - والمراد بالحباب ما يعلو الماء من الفقائيع والضمير للخمر - ومنه أيضًا قول الآخر: [مجزوء الكامل]

وَكَاَنَّ وَحَمَرَ الشَّقْ يِقُّ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَقَّدَ

أَعْلَامٌ يَأْقُوتُ نُشْرَ نَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبْرِجَدٍ

فإن الأعلام والياقوت والزبرجد والرماح موجودة - لكن المشبه الذي مادته هذه ليس موجودًا ولا محسوسًا. والمراد بالعقلي ما لا يدرك هو ولا مادته بإحدى الحواس الظاهرة - بل إدراكه عقلاً، فيدخل فيه الوهمي وهو ما لا يدرك هو ولا مادته بإحدى الحواس، لكن لو وجد في الخارج لكان مدركًا بها - ويسمى هذا التشبيه بالوهمي - كقوله: [الطويل]

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنِّيَابِ أَغْوَالِ

فإن أنياب الأغوال لم توجد هي ولا مادتها. وإنما اخترعها الوهم، لكن لو وجدت لأدركت بالحواس والمشرفي السيف والمسنونة السهام. والأغوال يزعمون أنها وحوش هائلة المنظر ولا أصل لها. والوجدانيات كالجوع والعطش ونحوهما ملحقه بالعقلي ثم التضاد بين الطرفين قد ينزل منزلة التناسب، ويجعل وجه الشبه على وجه الظرافة أو الاستهزاء كما في تشبيه شخص لكن بئس بن ساعدة - أو رجل بخيل بحاتم - والفرق بين الظرافة والاستهزاء بالقرائن. فإن كان الغرض مجرد الظرافة فظرافة - وإلا فاستهزاء.

- ١ - إِمَّا مفردان «مُطلقان» نحو - ضوءه كالشمس .
 أو مقيدان^(١) نحو - الساعي بغير طائل كالزَّاقم على الماء .
 أو «مختلفان» نحو: ثَغْرُهُ كاللُّؤلؤ المنظوم - ونحو: العين الزرقاء كالسَّنان .
 وإِمَّا مركبان تركيباً لم يُمكن إفراد أجزائهما - كقوله^(٢):

[الطويل]

كَأَنَّ سُهَيْلاً وَالنُّجُومَ وَرَاءَهُ صُفُوفٌ صَلَاقَةٌ فِيهَا إِمَامُهَا
 (إذ لو قلت كأن سهيلاً إمام، وكأن النجوم صفوف صلاة. لذهبت فائدة التشبيه).

- ٢ - أو مركبان تركيباً إذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة (المشبه به) كما ترى
 في قول الشاعر الآتي - حيث شبه النجوم اللامعة في كبد السماء بدُرٍّ منتشر على بساط
 أزرق:

[الكامل]

وَكَأَنَّ أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوَائِمًا دُرَّرَ نُشْرَنَ عَلَى بَسَاطِ أَزْرَقٍ
 (إذ لو قلت كأن النجوم دُرَّرَ - وكأن السماء بساط أزرق، كان التشبيه مقبولاً - لكنه
 قد زال منه المقصود بهيئة المشبه به).

- ٣ - وإِمَّا مفرد بمركب - كقول الخنساء^(٣):

[البسيط]

أَغْرَأُ أَبْلَجُ تَأْتَمُّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ
 ٤ - وإِمَّا مركب بمفرد - نحو - الماء المالح كالسَّمِ^(٤).

(١) وتقييده بالإضافة أو الوصف أو المفعول أو الحال أو الظرف أو بغير ذلك ويشترط في القيد أن يكون له تأثير في وجه الشبه. ولهذا جعل قوله تعالى: - «مَنْ يَأْسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ يَأْسُ لَهُنَّ» [البقرة: ١٨٧] من باب تشبيه المفرد بالمفرد بلا قيد. ونحو التكلّم في الصغر كالنقش في الحجر.

(٢) ومنه قول الآخر: [الطويل]

كَأَنَّ مِثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ
 فإنه شبه هيئة الغبار، وفيه السيوف مضطربة، بهيئة الليل وفيه الكواكب تتساقط في جهات مختلفة - وكقول الشاعر: [المتقارب]

كَأَنَّ الدَّمُوعَ عَلَى خَدِّهَا بِقِيَّةٍ طَلٌّ عَلَى جَلْنَارٍ
 فالمشبه مركب من الدموع والخلد، والمشبه به مركب من الطل والجلنار.

(٣) كقوله: [الكامل]

وَحَدَائِقُ لِبَسِ الشَّقِيقِ نَبَاتُهَا كَالْأَرْجَوَانِ مَنْقَطًا بِالْعَنْبَرِ

(٤) وكقوله: [الكامل]

المبحث الثالث

في تقسيم طرفي التشبيه باعتبار تعددهما

ينقسم طرفا التشبيه «المشبه والمشبّه به» باعتبار تعددهما إلى أربعة أقسام ملفوف، ومفروق، وتسوية، وجمع.

١ - فالتشبيه الملفوف، هو جمع كل طرف منهما مع مثله، كجمع المشبه مع المشبه. والمشبّه به مع المشبه به - بحيث يُؤتى بالمشبهات أولاً، ثم بالمشبهات بها ثانياً.

كقوله:

[المجتث]

لَيْلٌ وَبَدْرٌ وَغَصْنٌ شَعَرٌ وَوَجْهٌ وَقَدْ
وكقوله:

[البسيط]

تَبَسُّمٌ وَقُطُوبٌ فِي نَدَى وَوَعَى كَالغَيْثِ وَالْبَرْقِ تَحْتَ الْعَارِضِ الْبَرْدِ
وكقوله:

[الوافر]

وَضُوءُ الشُّهُبِ فَوْقَ اللَّيْلِ بَادٍ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ فِي الدُّرُوعِ^(١)
٢ - والتشبيه المفروق - هو جمع كل مشبه مع ما شُبّه به - كقوله^(٢):

[الرجز]

النَّشْرُ مِنْكَ وَالْوَجُوهُ دَنَا نَيْرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكُفِّ عَنَّمِ
٣ - «وتشبيه التسوية» هو أن يتعدّد المشبه دون المشبه به - كقوله:

[المجتث]

صُدُغُ الْحَبِيبِ وَحَالِي كَلَاهِمَا كَاللَّيَالِي
وَتَغْرِه فِي صَفَاءٍ وَأُدْمَعِي كَاللَّلَالِي

لا تعجبوا من خاله في خده كل الشقيق بنقطة سوداء
فالمشبّه مركب من الخال والخلد، والمشبّه به مفرد وهو الشقيق.

(١) أي فقد جمع ضوء الشهب والليل المشبهين، مع أطراف الأسنة والدروع المشبه بهما.

(٢) ومنه قوله: [الخفيف]

إنما النفس كالزجاجة والعلل سم سراج وحكمة الله زيت
فإذا أشرقت فإنك حيٌّ وإذا أظلمت فإنك ميت

سُمِّي بذلك للتسوية فيه بين المُشَبَّهات.

٤ - وتشبيه الجمع - هو أن يتعدّد المشبه به، دون المشبه - كقوله:

[السريع]
كَأَنَّمَا يَبْسُمُ عَنْ لَوْلُو مَنْضُدٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَقْحاح^(١)
سُمي بتشبيه الجمع - للجمع فيه بين مشبهات بها ثلاث وكقوله:

[السريع]
مَرَّتْ بِنَا رَأَدَ الضَّحَى تَحْكِي الْغَزَالَةَ وَالْغَزَالَا

تقرين

أذكر أحوال طرفي التشبيه فيما يأتي:

علم لا ينفع كدواء لا ينجع. الصديق المنافق والابن الجاهل كلاهما كجمر الغضا. الحق سيف على أهل الباطل، الحمية من الأنام كالحمية من الطعام:

[مجزؤه الرمل]

يَا شَبِيهِ الْبَدْرِ حُسْنًا وَضِيَاءً وَمَنْنَا لَا
وَشَبِيهِ الْغَصْنِ لِينًا وَقَوَامًا وَاعْتَدَا لَا
أَنْتَ مِثْلُ الْوَرْدِ لَوْنًا وَنَسِيمًا وَمَلَا لَا

(١) أي كأن المحبوب يبتسم عن أسنان كاللؤلؤ المنظوم، أو كالبرد أو كالإفاح فشبه الشاعر ثغر المحبوب بثلاثة أشياء اللؤلؤ (وهو الجوهر المعلوم) والبرد (وهو حب الغمام) والإفاح جمع أقحوان بضم الهمزة، وهو زهر نبت طيب الرائحة، حوله ورق أبيض، ووسطه أصفر.

ملخص القول في تقسيم طرفي التشبيه

ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه - أولاً - إلى حَسِينٍ وَعَقْلَيْنِ ومختلفين فالحسيان يشتركان.

- في صفة مبصرة كتشبيه المرأة بالنهار في الإشراف، والشعر بالليل في الظلمة والسواد في قول الشاعر: [الكامل]

فِرْعَاءٌ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ شَعْرَهَا وَتَغِيبُ فِيهِ وَهُوَ لَيْلٌ أَسْحَمُ
فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ مَشْرِقٌ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلَمٌ^(١)

- أو في صفة مسموعة - كتشبيه إنقاض الرحل بصوت الفراريج في قول الشاعر: [البسيط]

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنِ إِغْغَالِهِنَّ بِنَا أَوَاخِرِ الْمَيْسِ إِنْقَاضِ الْفَرَارِيجِ^(٢)

(١) امرأة فرعاء. كثرة الشعر. أسحم. أسود من سحم كتعب.

(٢) الميس: الرحل. الإنقاض: قيل صوت الفراريج الضئيل. وقيل صوت الحيوان. والنقض صوت الموتان كالرحل. والفراريج. جمع فروج وهو فرخ الدجاجة. وتقدير البيت. كأن أصوات أواخر الميس من إغغالهن بنا إيقاض الفراريج.

زارنا حتى إذا ما	سرّنا بالقرب زالا
فكم معنى بديع تحت لفظ	هناك تزأوج كل ازدواج
كراح في زجاج أو كروح	سرّ في جسم معتدل المزاج
الخد وردّ والعذار رياض	والطرف ليل والبياض نهار
العمر والإنسان والدينا همو	كالظل في الإقبال والإدبار
الخد وزدّ والضدغ عالية	والريق خمر والثغر من برد
ليل وبدر وغصن	شعر ووجه وقد

= وكتشبيه الأصوات الحسنة في قراءة القرآن بالمزامير.

- أو في صفة مذوقة. كتشبيه الفواكه الحلوة بالعسل. وكتشبيه الريق بالخمير في قول الشاعر:

[المقارب]

كان المدام وضوب الغمام وريح الخزامى ودّوب العسل
يعلّ به برد أنيابها إذا النجم وشط السماء اعتدل^(١)

- أو في صفة ملموسة. كتشبيه الجسم بالحرير في قول ذي الرمة: [الطويل]

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيّم الحواشي لا هراء ولا نزر^(٢)

- أو في صفة مشمومة. كتشبيه الريحان بالمسك - والنكهة بالعنبر، والعقليان - هما اللذان لم يدركا

«هما ولا مادتهما» بإحدى الحواس - كتشبيه السفر بالعذاب، والضلال عن الحق بالعمى، والاهتداء إلى الخير بالإبصار، والمختلفان - إما أن يكون المشبه عقلياً والمشبه به حسيّاً - كتشبيه

الغضب بالنار من التلظي والاشتعال - وكتشبيه الرأي بالليل في قول الشاعر: [البيط]

الرأي كالليل مسودّ جوانبه والليل لا ينجلي إلا بإصباح

وإما أن يكون المشبه حسيّاً والمشبه به عقليّاً - كتشبيه الكلام بالخلق الحسن وكتشبيه العطر بخلق

كريم في قول صاحب بن عبّاد: [الكامل]

أهديت عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه^(٣)

(١) المدام: الخمر. الصوب: من صاب المطر يصوب، إذا انصب ونزل. الخزامي. نبت طيب الرائحة. والعلل الشرب الثاني يقال علل بعد نهل.

(٢) رخيّم الحواشي. مختصر الأطراف. الهراء (بضم الهاء) المنطق الكثير وقيل المنطق الفاسد الذي لا نظام له.

(٣) الثناء يشبه بالعطر لكنه اعتبر المعقول كأنه محسوس وجعله كالأصل لذلك المحسوس مبالغة، وتخيلة شيئاً له رائحة وشبه العطر به.

خـمـمـرٌ ودرٌ وورْدٌ	ريـقٌ وئـفـرٌ وخـدٌ
العمرُ مثل الضَّيف أو	كالطَّيف ليس له إقامة
والعِوض نومٌ وَالْمَنِيَّةُ يقظة	والمرء بينهما خيالٌ ساري

=

وثانيًا - إلى مفردين مطلقين . أو مقيدين . أو مختلفين - وإلى مركبين أو مختلفين .
فالمفردان المطلقان . كتشبيه المساء بالدهان في الحمرة . في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن : ٣٧] ^(١) .

وكتشبيه الكشح بالجديل . والساق بالأنبوب في قول امرئ القيس : [الطويل]

وكشح لطيف كالجديل مخضّر وساق كأنبوب السقيّ المذلّل ^(٢)

والمقيدان . بوصف . أو إضافة . أو حال . أو ظرف - أو نحو ذلك . كقولهم فيمن لا يحصل من سعيه على فائدة : هو «الراقم على الماء» فالمشبه هو الساعي على هذه الصفة . والمشبه به هو الراقم بهذا القيد . ووجه الشبه . التسوية بين الفعل والترك في الفائدة - كقوله : [الكامل]

والشمس من بين الأرائك قد حكت سيفًا صقيلاً في يد رعشاء ^(٣)

والمختلفان . والمشبه به هو المقيد : كما في قول ذي الرمة : [الطويل]

قِفِ العيس في أطلال مَيَّةٍ فاسأل رُسومًا كأخلاق الرِّدَاءِ المُسَلَّسِل ^(٤)

أو المشبه هو المقيد . كما في قول الشاعر : [الطويل]

كَأَنَّ فِجَاجَ الأرضِ وهي عريضةٌ على الخائف المطلوب كُفَّةٌ حابِل ^(٥)

والمركبان . كقول الشاعر : [الكامل]

البدرُ منتقبٌ بغيمٍ أبيض هو فيه بين تفجّرٍ وتبلّج

(١) الدهان : الجلد الأحمر .

(٢) الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع (أقصر الأضلاع وآخرها) وهو من لدن السرة إلى المتن . الجديل الزمام المجدول من آدم .

وقيل جبل من آدم أو شعر في عنق البعير . مخصر . دقيق . السقي . البردي واحده سقيه . المذلّل الذي ذلّ بالماء حتى طاول كل من مدّ إليه يده . قال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب في شرحه لديوان امرئ القيس . شبه كشح المرأة بالزمام في اللين والثني واللطافة . وشبه ساقها ببردي قد نبت تحت نخل . والنخل تظله من الشمس والوجه باليباض .

(٣) الأرائك شجر من الحمض يستاك بقضبانته ، واحده أراكة وجمعها أرائك .

(٤) العيس : كرام الإبل وقيل الإبل البيض يخالط بياضها شقرة أو ظلمة خفية . والإطلال جمع طلل . وهو الشاخص من آثار الديار . الرسم ما كان لاصقًا بالأرض من آثار الديار . أخلاق : جمع خلق (بفتح اللام) وهو الثوب البالي . المسلسل : الرقيق من تسلسل الثوب ليس حتى رقّ .

(٥) الفجاج جمع فج الطريق الواسع الواضح بين جبلين . الكفة : ما يصاد به (الشبكة) ، الحابل : الصياد .

[البسيط]

والعلم في الصدر مثل الشمس في الفلك والعقل للمرء مثل التاج للملك

[البسيط]

عزَماته مثل النجوم ثواقباً لو لم يكن للثاقبات أقول

[الكامل]

وكان أجرام النجوم لوامعاً دُررٌ نُثرن على بساط أزرق

[المنسرح]

كأنما النار في تلهبها والفحم من فوقها يُغطّيها

زنجية شبكت أناملها من فوق نارنجة لتخفيها

= كتنفس الحسناء في المرأة إذ

والمختلّفان - والمشبه مفرد كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ

الزَّيْفُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨] - وكقول الشاعر: [البسيط]

أَغْرُ أِبْلُجٌ تَأْتُمُ الْهُدَاةَ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ

أو المشبه به مفرد. كقول أبي الطيب المتنبي: [المنسرح]

تشرق أعراضهم وأوجههم كأنها في نفوسهم شيمٌ

شبه إشراق الأعراض والوجوه بإشراق الشيم (الأخلاق الطيبة) فأشراق الوجوه ببياضها، وإشراق

الأعراض بشرفها وطيبها: وكقول أبي تمام يصف الربيع: [الكامل]

يا صاحبيّ تقصياً نظريكما تَرَيَا وجوه الأرض كيف تُصَوِّرُ^(١)

ترياً نهارة مشمساً قد شابه زهر الربا فكانما هو مُقَمَّرٌ

يريد أن النبات لكثرتة وتكاثفه مع شدة خضرته قارب لونه السواد. ونقص من ضوء الشمس حتى

كانه ليل مقمر. فشبّه النهار المشمس الذي قد خالطه زهر الربا بالليل المقمر - والأول مركب -

والثاني مفرد مقيد.

وثالثاً - إلى ملفوف. وهو ما أتى فيه بالمشبهات أولاً على طريق العطف أو غيره، ثم بالمشبهات

بها كذلك - كقول الشاعر: [المجتبى]

لَيْلٌ وَبَدْرٌ وَغَصْنٌ شَعْرٌ وَوَجْهٌ وَقَدْ

خَمَمٌ وَدُرٌّ وَوَرْدٌ رِيْقٌ وَثَنَفَرٌ وَخَدٌ

شبه الليل بالشعر، والبدر بالوجه، والغصن بالقدر، في البيت الأول. والخمر بالريق والدر

بالثغر. والورد بالخد، في البيت الثاني. وقد ذكر المشبهات أولاً - والمشبهات بها ثانياً كما

تري.

١ - مفروق. وهو ما أوتي فيه بمشبه ومشبه به ثم بآخر وآخر. كقول أبي نواس: [السريع]

=

(١) تقصياً: من تقصيت الشيء بلغت أقصاه أي اجتهدا في النظر. تصور تتصور. شابه: خالطه. الربا. جمع

ربوة وهي المكان المرتفع وخص زهر الربا لأنه أنضر وأشد خضرة.

[الكامل]

يا صاحِبِي تَقْصِّيا نظريْكمَا تَريا وُجوهَ الأرض كيف تُصوِّرُ
تَريا نهارًا مُشمسًا قد شابه^(١) زهرُ الرِّبى فكأنما هو مُقْمِرُ

[مجزوء الكامل]

وكانَ مِخْمَرٌ الشَّقِيـ ق إذا تَصَوَّب أو تَصْعَد
أعلامُ ياقوت نُشِر ن على رِماح مِن زَبْرَجَد^(٢)

[الطويل]

كانَ مِثارَ النقع فوقَ رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوَى كواكبُه^(٣)

⁼ تبكي فتذري الدر من نرجس وتمسحُ الوردَ بعنَّاب^(١)

شبه الدمع بالدر لصفائه والعين بالنرجس لما فيه من اجتماع السواد بالياض والوجه بالورد.

ورابعًا إلى تشبيه التسوية. وهو ما تعدد فيه المشبه - كقول الشاعر: [المجتث]

صدغُ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي

وثغره في صفاء وأدمعي كاللآلي^(٢)

شبه في الأول صدغ الحبيب وحاله هو بالليالي في السواد. وفي الثاني شبه ثغر الحبيب ودموعه باللآلي في القدر والإشراق.

٢ - تشبيه الجمع. وهو ما تعدد فيه المشبه به كقول البُحتري: [السريع]

بات نديمًا لي حتى الصباح أغيدُ مجذولٍ مكانِ الوِشاخ

كأنما يبسمُ عن لؤلؤ منضد أو برَد أو أقاخ^(٣)

شبه ثغره بثلاثة أشياء باللؤلؤ والبرد والإقاخ.

(١) أي قد خالط هذا النهار زهر الربا فكأنما هو ليل مقمر.

(٢) فكل من الأعلام والياقوت والزبرجد والرمح محسوس على انفراده. لكن المركب الذي مادته هذه

الأمور ليس بمحسوس لأنه غير موجود - والحس خاص بالموجودات - فالمشبه مفرد وهو

الشقيق. والمشبه به مركب وهو الهيئة الحاصلة من نشر أجرام حمر مبسوطة على رؤوس أجرام

خضر مستطيلة.

(٣) شبهت هيئة السيوف الحاصلة من علوها ونزولها بسرعة في وسط الغبار بهيئة كواكب تتساقط في

ليل مظلم.

(١) العناب - شجر له حب كحب الزيتون وأحسنه الأحمر الحلو.

(٢) الصدغ (بضم الصاد) ما بين العين والأذن. والشعر المتدلي على هذا الوضع هو المراد هنا والثغر تطلق

على الفم، وعلى الأسنان في منابتها والمراد الثاني.

(٣) الأغيد: الناعم البدن، المجدول. المطوي غير المسترخي - والمراد لازمه. وهو ضامر البطن والمخصرتين

الوشاح شبيهة قلادة ينسج من جلد عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة في وسطها أو على المنكب الأيسر

معقودًا تحت الأبط الأيمن للزينة. المنضد: المنظم. البرد: حب الغمام. الإقاخ نبات له زهر أبيض في

وسطه كتلة صغيرة صفراء. وأوراق زهره مفلجة صغيرة، واحده تُقَوَّاة (بضم القاف).

[مجزوء الكامل]

خَوْذُ كَأَنَّ بَنَانَهَا فِي خُضْرَةِ النَّقْشِ الْمَزْرُودِ^(١)
سَمَكٌ مِنَ الْبَلُورِ فِي شَبَكِ تَكُونُ مِنْ زَبَرْجَدُ

[الطويل]

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا^(٢) لَدَى وَكْرَهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

[الطويل]

مَنْ يَضْنَعُ الْخَيْرَ مَعَ مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ كَوَاقِدِ الشَّمْعِ فِي بَيْتِ لِعَمِيَانِ^(٣)

المبحث الرابع

في تقسيم التشبيه باعتبار وجه الشبه

وَجْهُ الشَّبْهِ هُوَ الْوَصْفُ الْخَاصُّ^(٤) الَّذِي يُقْصَدُ اشْتِرَاكُ الطَّرْفَيْنِ فِيهِ كَالْكَرَمِ - فِي

(١) أي أن أصابعها المُعَبَّر عنها بالبنان قد نقش عليها بالوشم ما هو كالشبكة الزبرجدي أي المحيط ببياض أصابعها التي هي كالبلور - فالمفردات كل واحد منها يدرك بالحس - والمركب غير موجود.

(٢) يريد الشاعر وصف العقاب بكثرة اصطياده الطيور - فشبه الطري من قلوب الطير بالعناب - واليابس منها بالحشف البالي.

(٣) ففيه التشبيه الملفوف حيث جمع في الشطر الأول صنيع الخير ومعرفته وهما متلازمان - ثم أتى في الشطر الثاني بالمشبه بهما أعني وقود الشمع والنظر إلى نوره.

(٤) إما حقيقة كالبأس في قولك (زيد كالأسد) وإما تخيلاً كما في قوله: [الكامل]

يَا مَنْ لَهُ شَعْرٌ كَحَظْلِي أَسْوَد جَسْمِي نَحِيلٌ مِنْ فَرَاقِكَ أَصْفَر

فإن وجه الشبه فيه بين الشعر والحظ هو السواد. وهما يشتركان فيه - لكنه يوجد في المشبه تحقيقاً. ولا يوجد في المشبه به إلا على سبيل التخيل، لأنه ليس من ذوات الألوان. ثم اعلم أن وجه الشبه - إما داخل في حقيقة الطرفين وذلك كما في تشبيه ثوب بأخر في جنسهما أو نوعهما أو فصلهما كقولك هذا القميص مثل ذلك في كونهما كتاناً أو قطناً - وإما خارج عن حقيقتيهما وهو ما كان صفة لهما (حقيقة) وهي قد تكون حسية كالحمرة في تشبيه الخد بالورد، وقد تكون عقلية كالشجاعة في تشبيه الرجل بالأسد - أو (إضافية) وهي ما ليست هيئة متقررّة في الذات بل معنى متعلقاً بها كالجلال في تشبيه البيّنة بالصبح. ثم إن وجه التشبيه قد يكون واحداً وقد يكون بمنزلة الواحد (لكونه مركباً من متعدد) وقد يكون متعدداً - وكل من ذلك قد يكون حسياً وقد يكون عقلياً. أما الواحد - فالحسي منه كالحمرة في تشبيه الخد بالورد، والعقلي كالنفع في تشبيه العلم بالحياة - وأما المركب فالحسي منه قد يكون مفرد الطرفين، كما في قوله:

[الطويل]

وَقَدْ لَاحَ فِي الصَّبْحِ الثُّرَيَّا كَمَا تَرَى كَعَنْقُودٍ مُلَاجِيَةٍ حِينَ نَوْرَا

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من التثام الحبيب البيض الصغيرة المستديرة المرصوص =

نحو: خليل كحاتم وينقسم التشبيه باعتبار (وجه الشبه) إلى:

١ - تمثيل - وهو ما كان وجه الشبه فيه صورةً منتزعةً من متعدّد، كقوله:

[الطويل]

وما المرء إلا كالشّهاب وضوئه يُوافي تمام الشّهر ثم يَغيب

بعضها فوق بعض على الشكل المعلوم. وكلا الطرفين مفرد، وهما الثريات والعنود. وقد يكون مركب الطرفين كما في قوله: [الكامل]

والبدر في كبد السماء كدرهم ملقى على ديباجة زرقاء

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع صورة بيضاء مشرقة مستديرة في رقعة زرقاء مبسوطة. وكلا الطرفين مركب أولهما من البدر والسماء - والثاني من الدرهم والديباجة. وقد يكون مختلف الطرفين كقوله: [الكامل]

وحداثق لبس الشقيق نباتها كالأرجوان منقّطًا بالعنبر

فإن وجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من انبساط رقعة حمراء قد نقطت بالسواد منثورًا عليها. والمشبه مفرد وهو الشقيق - والمشبه به مركب من الأرجوان والعنبر. وكقوله: [الخفيف]

لا تعجبوا من خاله في خده كل الشقيق بنقطة سوداء

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع نقطة سوداء مستديرة في وسط رقعة حمراء مبسوطة. والمشبه مركب من الخال والخد - والمشبه به مفرد وهو الشقيق والعقلي من المركب كما في قوله: [البسيط]

المستجير بعمره عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من الإلتجاء من الضار إلى ما هو أضر منه طمعًا في الانتفاع به - ووجه الشبه مركب من هذه المتعددات في الجميع والرمضاء الأرض التي أسختها حرارة الشمس الشديدة، والمراد بعمره هنا هو جساس ابن مُرة البكري، يقال إنه لما رمى كليب بن ربيعة التغلبي وقف على رأسه فقال له: يا عمرو أغثني بشربة ماء - فأتى قتله.

وأما المتعدد - فالحسي منه كما في قوله: [المجتث]

مهففهف وجنتاه كالخمر لونا وطعما

والعقلي كالنفع والضرر في قوله: [البسيط]

طلق شديد البأس راحته كالبحر فيه النّفع والضّرر

فإن وجه الشبه فيهما متعدد وهو اللون والطعم في الأول - والنفع والضرر في الثاني - وقد يجيء المتعدد مختلفًا كما في قوله: [الوافر]

هذا أبو الهيجاء في الهيجاء كالسيف في الرونق والمضاء

فإن وجه الشبه فيه هو الرونق وهو حسي - والمضاء وهو عقلي. وأبو الهيجاء لقب عبد الله بن حمدان العدوي والهيجاء من أسماء الحرب.

واعلم أن الحسي لا يكون طرفاه إلا حسيين - وأما العقلي فلا يلزمه كونهما عقليين - لأن الحسي يدرك بالعقل، خلّاقًا للعقلي فإنه لا يدرك بالحس.

فوجه الشبه سرعة الفناء - انتزعه الشاعر من أحوال القمر المتعددة إذ يبدو هلالاً، فيصير بدرًا، ثم ينقص حتى يُدرکه المَحاق (ويسمى التشبيه تمثيلاً).

٢ - وغير تمثيل - وهو ما لم يكن وجه الشبه فيه صورةً منتزعةً من متعدد نحو وجهه كالبدر - وكقول الشاعر:

[الكامل]

لا تطلبين بآلة لك رتبة قلمُ البليغ بغير حظٍّ مَغزَلُ
فوجه الشبه قلة الفائدة وليس منتزعةً من متعدد.

٣ - ومفصل - وهو ما ذكر فيه وجه الشبه نحو: طبعُ فريد كالنسيم رقةً - ويده كالبحر جودًا - وكلامه كالدر حسنا - وكقول ابن الرومي:

[مجزوء الرمل]

شبيهُ البدر حسناً وضياءً ومنالاً وشبيه الغصن ليناً وقواماً واعتدالاً
٤ - ومجمل - وهو ما ليس كذلك - نحو: التحو في الكلام كالملح في الطعام وكقوله:

[مجزوء الرمل]

إنما الدنيا كبيتٍ نسجهُ من عنكبوتٍ
٥ - وقريب مبتذل - وهو ما ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به من غير احتياج إلى شدة نظر وتأمل لظهور وجهه بادئ بده.
وذلك كتشبيه الخد بالورد في الحمرة، أو كتشبيه الوجه بالبدر في الإشراق والاستدارة.

وقد يُتصرّف في القريب بما يخرج به عن ابتذاله إلى الغرابة: كقول الشاعر:

[الكامل]

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجه ليس فيه حياء
فإن تشبيه الوجه الحسن بالشمس مبتذل، ولكن حديث الحياء أخرجه إلى الغرابة.
وقد يخرج من الابتذال إلى الغرابة بالجمع بين عدّة تشبيهات كقول الشاعر:

[السريع]

كأنما يبسُّم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقحاح
أو باستعمال شرط - كقوله:

[البسيط]

عزماته مثل النجوم ثواقباً لو لم يكن للثاقبات أفولُ
٦ - وبعيد غريب - وهو ما احتاج في الانتقال من المشبه إلى المشبه به إلى فكر ودقة

نَظَرٌ لَخَفَاءَ وَجْهِهِ فِي بَادِيِ الرَّأْيِ - كَقَوْلِهِ:

[الرجز]

وَالشَّمْسُ كَالْمِرَّةِ فِي كَفِّ الْأَشْلِ

فإن الوجه فيه هو الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق، والحركة السريعة المتصلة مع تموج الإشراق. حتى ترى الشعاع كأنه يهَمُّ بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة؛ ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض، وحكم وجه الشبه - أن يكون في المشبه به أقوى منه في المشبه وإلا فلا فائدة في التشبيه.

المبحث الخامس

في أدوات التشبيه

أدوات التشبيه - هي ألفاظ تدلّ على معنى المُشَابَهَةِ، كالكاف، وكأنّ ومثّل، وشبه، وغيرها، ممّا يؤدي معنى التشبيه «كالمُضَاهَاةَ والمُحَاكَاةَ والمُشَابَهَةِ، والمُمَاثِلَةَ، ونحو، وكذا ما يُشْتَقُّ من لفظي «ماثل وشابه» أو ما يُرادفهما في المعنى».

وهي قد تحذف نحو: اندفع الجيش اندفاع السَّيْلِ أي كاندفاعه والأصل في - الكاف، ومثّل، وشبه - أن يليها المشبه به^(١).

والأصل في كأنّ، وشابه، وماثّل - وما يرادفها أن يليها المشبه كقوله:

[الطويل]

كَأَنَّ الشُّرَيَّا رَاحَةً تَشْبِيرُ الدُّجَى لَتَنْظُرَ طَالِ اللَّيْلِ أَمْ قَدْ تَعَرَّضَا

وكانّ، تفيد التشبيه إذا كان خبرها جامداً نحو - عليّ كالأسد.

وتفيد الشكّ إذا كان خبرها مشتقاً نحو - كأنك فاهم - وكقوله:

[الطويل]

كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ النَّفْسِ مَرْكَبٌ فَأَنْتَ إِلَى كُلِّ النَّفْسِ حَبِيبٌ

وقد يُعْنِي عن أداة التشبيه «فعلٌ قُرِبَ المُشَابَهَةِ - نحو: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقِيلًا

أَوْدَيْنَاهُمْ قَالَُوا هَذَا عَارِضٌ مُتُّرِنًا﴾^(٢) ونحو رأيت الدنيا سراباً غرّاراً.

(١) وقد يليها غير المشبه به إذا كان التشبيه مركباً كقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبَتْ لَهُمْ مِثْلَ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَلَاءً أُنْزِلَتْهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاتَّخِذْ لَهُمْ نَكَاتٌ أَلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَبِيبًا ثَدْرُهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: ٤٥] فإن المراد تشبيه حال الدنيا في حسن نضارتها وبهجة روائها في المبدل وذهاب حسنها وتلاشي رونقها شيئاً فشيئاً في الغاية بحال النبات الذي يحسن من الماء فتزهو خضرته. ثم يبس شيئاً فشيئاً ثم يتحطم فتطيره الرياح. فيصير كأن لم يكن شيئاً مذكوراً.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ٢٤.

وإن كان الفعل للشك أفاد بُعْدها - نحو: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُورًا﴾^(١)
ونحو: حسبت الفيل جبلاً - وكقوله:

[الكامل]

قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الدَّرُوعَ حَسِبَتْهَا سَحْبًا مَزْرَدَةً عَلَى أَقْمَارِ
(وينقسم التشبيه) باعتبار أدواته إلى:
(أ) التشبيه المؤكد - وهو ما حذفت أدواته كقول الشاعر:

[الخفيف]

أَنْتَ نَجْمٌ فِي رَفْعَةٍ وَضِيَاءٍ تَجْتَليكَ الْعَيُونُ شَرْقًا وَغَرْبًا
(ب) التشبيه المرسل -^(٢) وهو ما ذكرت فيه الأداة كقول الشاعر:

[مجزوء الرمل]

إِنَّمَا الدُّنْيَا كَبَيْتٍ نَسَجَهُ مِنْ عَنَكَبُوتٍ
وَمَنْ الْمُؤَكَّدُ مَا أَضِيفَ فِيهِ الْمَشَبَّهُ بِهِ إِلَى الْمَشَبِّهِ كقول الشاعر:

[الكامل]

وَالرِّيحُ تَغْبِثُ بِالْغُصُونِ وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الْأَصِيلِ^(٣) عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ
أَيَّ أَصِيلٍ كَالذَّهَبِ عَلَى مَاءٍ كَاللُّجَيْنِ.

(ج) التشبيه البليغ - وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه^(٤) كما في قوله:

[الكامل]

فَاقْضُوا مَا رَبَّكُمْ عَجَالًا إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ

المبحث السادس

في فوائد التشبيه

فوائد التشبيه تعود «في أكثر المواضع» إلى المشبه - وهي إمّا:

- ١ - بيان حاله - وذلك حينما يكون المشبه غير معروف الصفة قبل التشبيه فيفيده التشبيه الوصف - كقول الشاعر:

(١) سورة الإنسان: الآية ١٩.

(٢) وسمي مرسلًا لإرساله عن التأكيد.

(٣) الأصيل الوقت بعد العصر إلى المغرب - واللّجين الفضة.

(٤) ومن التشبيه البليغ المصدر المضاف المبين للنوع نحو، راغ روغان الثعلب، ومنه أيضًا إضافة المشبه به للمشبه نحو لبس فلان ثوب العافية - كما ذكرناه.

[الوافر]

إذا قامت لحاجتها تَثَنَّتْ كأنَّ عظامها من خيزران
(شبه عظامها بالخيزران بياناً لما فيها من اللين).

٢ - أو بيان إمكان حاله - وذلك حين يُسند إليه أمرٌ مُستغرب لا تزول غرابته إلاّ بذكر
شبيه له - كقوله :

[الكامل]

ويلاهُ إن نظرتُ وإن هي أَعْرَضَتْ وَقَعُ السَّهَامِ وَنَزَعَهِنَّ أَلِيمٌ
(شبه نظرها بوقع السهام، وإعراضها بنزعها: بياناً لإمكان إيلاهما بهما جميعاً).

٣ - أو بيان مقدار حاله قوة وضعفاً - وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل
التشبيه معرفة إجمالية، وكان التشبيه يُبين مقدار هذه الصفة - كقوله :

[البسيط]

كَأَنَّ مِشِيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلٌ
وكتشبيه الماء بالثلج في شدة البرودة - وكقوله :

[الكامل]

فبها اثنتان وأربعون حُلُوبَةً سُودًا كخافية الغراب الأسحَمِ
(شبه النياق السود بخافية الغراب بياناً لمقدار سوادها).

٤ - أو تقرير حاله في نفس السامع بإبرازهما فيما هي فيه أظهر. كما إذا كان ما
أُسند إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت والإيضاح بالمثال - كقوله :

[الكامل]

إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرُوا وَدَّهَا مِثْلُ الزَّجَاجَةِ كَسَرَهَا لَا يُجْبَرُ
(شبه تنافر القلوب بكسر الزجاج تثبيثاً لتعذر عودة القلوب إلى ما كانت عليه من
الأنس والمودة).

٥ - أو بيان إمكان وجوده (وإنه ممكن الحصول) كقوله :

[الوافر]

فإِنَّ تَفُقَ الْأَنَامِ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمَسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ^(١)

(١) أي إنه لا استغراب في فوقانك للأنام مع أنك واحد منهم - لأن لك نظيراً وهو المسك فإنه بعض
دم الغزال وقد فاق على سائر الدماء - ففيه تشبيه حال الممدوح بحال المسك تشبيهاً ضمنيّاً -
والتشبيه الضمني هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل
يلمحان في التركيب لإفادة أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن - نحو المؤمن مرآة المؤمن.

٦ - أو مدحه وتحسينه - كقول الشاعر:

[الطويل]
كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهِنَّ كَوَكِبٌ
٧ - أو تشويبه وتقبيحه - كقول الآخر:

[الكامل]
وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فَكَأَنَّهُ قَرْدٌ يَقْهَقُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ
٨ - أو استطرافه «أي عدّه طَريفًا حديثًا» إمّا لإبرازه في صورة الممتنع عادة كما في تشبيه فحم فيه جمر متقد؛ ببحر من المسك موجه بالذهب .
وإمّا لندور حضور المشبه به في النفس عند حضور المُشَبِّه، كقوله:

[الكامل]
أَنْظُرْ إِلَيْهِ كَزُورِقٍ مِنْ فُضَّةٍ قَدْ أَثْقَلَتْهُ حَمُولَةٌ مِنْ عَنَبٍ^(١)

تشبيه على غير طرقة الأصلية

١ - قد يورد التشبيه ضمناً من غير أن يُصرّح به ويُجعل في صورة برهان على الحكم الذي أسند إلى المشبه - كقول المتنبي:

[الخفيف]
مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لَجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيْلَامُ
(أي إن الذي اعتاد الهوان يسهل عليه تحمله ولا يتألم له . وليس هذا الإدعاء باطلاً . لأن الميت إذا جُرح لا يتألم).

وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة .
٢ - قد يُعكس التشبيه، فيُجعل المشبه مشبهاً به وبالعكس^(٢) فتعود فائدته إلى المشبه

(١) الحمولة ما يحمل فيه ويوضع - والمقصد من التشبيه وجود شيء أسود داخل أبيض .

(٢) التشبيه المقلوب ويسمى المنعكس هو ما رجع فيه وجه الشبه إلى المشبه به وذلك حين يراد تشبيه الزائد بالناقص ويلحق الأصل بالفرع للمبالغة، وهذا النوع جار على خلاف العادة في التشبيه، ووارد على سبيل الندور .

وإنما يحسن في عكس المعنى المتعارف كقول البحري: [البسيط]

فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ شَيْءٌ مِنْ مُحَاسِنِهَا وَلِلْقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَشْنِئِهَا
والمتعارف تشبيه الوجهة الحسنة بالبدور . والقامات بالقضب في الاستقامة والتثني لكنه عكس ذلك مبالغة - هذا إذا أُريد إلحاق كامل بناقص في وجه الشبه . فإن تساويا حسن العدول عن التشبيه إلى المشابهة تباعداً من ترجيح أحد المتساويين على الآخر .

به لادعاء أن المشبه أتم وأظهر من المشبه به في وجه الشبه .

ويسمى ذلك بالتشبيه المقلوب^(١) أو المعكوس - نحو: كأن ضوء النهار جبينه - ونحو: كأن نشر الرّوضِ حُسْنُ سيرته - ونحو: كأنّ الماء في الصفاء طباعه - وكقوله محمد بن وهيب الحميري:

[أخذ الكامل]

وبدا الصّباح كأنّ غُرَّتَه وَجَهُ الخليفة حين يُمتدِّحُ

(شبه غرّة الصّباح بوجه الخليفة إيهامًا أنه أتم منها في وجه الشبه وهذا التشبيه مظهر من مظاهر الافتنان والإبداع) وكقوله تعالى حكاية عن الكفار ﴿إِنَّمَا أَلْبِيعُ مِثْلُ أَرِيذًا﴾^(٢) في مقام أن الرّبا مثل البيع عكسوا ذلك لإيهام أن الرّبا عندهم أحلُّ من البيع، لأن الغرض الرّيح وهو أثبت وجودًا في الرّبا منه في البيع، فيكون أحقّ بالحلّ عندهم.

المبحث السابع

في تقسيم التشبيه باعتبار الغرض إلى مقبول وإلى مردود

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض إلى حسن مقبول، وإلى قبيح مردود.

١ - فالحسن المقبول - هو ما وفى بالأغراض السابقة، بأن يكون المشبه به أعرف من المشبه في وجه الشبه إذا كان الغرض بيان حال المشبه أو بيان المقدار. أو أن يكون أتم شيء في وجه الشبه إذا قصد إلحاق الناقص بالكامل. أو أن يكون في بيان الإمكان مسلّم الحكم ومعروفًا عند المخاطب إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود، وهذا هو الأكثر في التشبيهات إذ هي جارية على الرّشاقة سارية على الدّقة والمبالغة.

٢ - والقبيح المردود - هو ما لم يف بالغرض المطلوب منه لعدم وجود وجه بين المشبه والمشبه به: أو مع وجوده لكنه بعيد.

أُسْئَلَةُ يَطْلُبُ أَجْوِبَتَهَا

ما هو علم البيان واصطلاحًا. ما هو التشبيه؟. - ما أركان التشبيه؟. طرقًا التشبيه

(١) يقرب من هذا النوع ما ذكره الحلبي في كتاب حسن التوسل وسماه «تشبيه التفضيل» وهو أن يشبه شيء بشيء لفظًا أو تقديرًا. ثم يعدل عن التشبيه لادعاء أن المشبه أفضل من المشبه به. كقوله: [الوافر]

حسبت جمالها بدرًا منيرًا وأين البدر من ذاك الجمال

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٧٥.

حَسْبَان أم عقليان؟ ما المراد بالحسِّي؟ ما هو التشبيه الخيالي؟ ما المراد بالعقلي؟ - ما هو التشبيه الوهمي؟ - ما هو وجه الشبه؟ - ما هي أدوات التشبيه؟ - الأصل في أدوات التشبيه أن يليها المشبه أو المشبه به؟ - متى تفيد كأن التشبيه؟ ما هو التشبيه البليغ؟ - ما هو التشبيه الضمني؟ ما هو التشبيه المرسل. كما قسمًا التشبيه باعتبار طرفيه؟ كم قسمًا التشبيه باعتبار تعدد طرفيه؟ ما هو التشبيه الملفوف؟ ما هو التشبيه المفروق؟ ما هو تشبيه التسوية؟ ما هو تشبيه الجمع؟ كم قسمًا التشبيه باعتبار وجه

تنبيهات

الأول: بعض أساليب التشبيه أقوى من بعض في المبالغة ووضوح الدلالة ولها مراتب ثلاثة:
أ - أعلاها وأبلغها ما حذف فيها الوجه والأداة نحو علي أسد - وذلك أنك ادعيت الاتحاد بينهما بحذف الأداة - والتشابه في كل شيء بحذف الوجه.
ولذا سمي هذا تشبيهًا بليغًا^(١).

ب - المتوسطة ما تحذف فيها الأداة وحدها، كما تقول (على أسد شجاعة) أو يحذف وجه الشبه - فتقول علي كالأسد. وبيان ذلك أنك بذكرك الوجه حصرت التشابه فلم تدع للخيال مجالًا في الظن بأن التشابه في كثير من الصفات - كما أنك بذكر الأداة نصصت على وجود التفاوت بين المشبه والمشبه به ولم تترك بابًا للمبالغة.

ج - أقلها ما ذكر فيها الوجه والأداة وحينئذ فقدت الميزتين السابقتين.
الثاني: قد يكون الغرض من التشبيه حسنًا جميلًا، وذلك هو النمط الذي تسمو إليه نفوس البلغاء وقد أتوا فيه بكل حسن بديع كقول ابن نباتة في وصف فرس أغر محجل: [الكامل]
وكانما لطم الصباح جبينه فاقترض منه فحاض في أحشائه
وقد لا يوفق المتكلم إلى وجه الشبه، أو يصل إليه مع بعد - وما أخلق مثل هذا بالاستكراه وأحقه بالذم لما فيه من القبح والشناعة - بحيث ينفر منه الطبع السليم.
الثالث: علّم مما سبق أن:

- ١ - التشبيه المرسل - ما ذكرت فيه الأداة.
- ٢ - التشبيه المؤكد - ما حذفت منه الأداة.
- ٣ - التشبيه المجمع - ما حذف منه وجه الشبه.
- ٤ - التشبيه المفصل - ما ذكر فيه وجه الشبه.
- ٥ - التشبيه البليغ - ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه.

(١) البليغ من أنواع التشبيه هو البعيد الغريب. فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور يحتاج في إدراكه إلى إعمال الفكر كان ذلك أنفع في النفس وأدعى إلى تأثرها واهتزازها. وتتفاوت قوة المبالغة الحاصلة من التشبيه باختلاف الصور التي يوضع فيها. فأضعف تلك الصور في المبالغة ما ذكرت فيه أركان التشبيه جميعها. وأقواها فيها ما حذف فيه وجه الشبه وأداته مع ذكر المشبه نحو - علي كالأسد. ويتوسط بين هذين الطرفين ما حذفت فيه الأداة وحدها. أو وجه الشبه وحده.

الشبه؟ ما هو تشبيه التمثيل؟ ما هو غير التمثيل؟ ما هو التشبيه المفصل؟ ما هو التشبيه المجمل؟ كم قسمًا التشبيه باعتبار الغرض منه.

تطبيق عام على أنواع التشبيه

اشترت ثوبًا أحمر كالورد - في هذه الجملة تشبيه مرسل مفصل - المشبه ثوبًا. والمشبه به الورد. وهما حسيان مفردان. والأداة الكاف. ووجه الشبه الحمرة في كل - والغرض منه بيان حال المشبه:

[البسيط]

ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا أتى الربيع أتاكَ النُّور والنُّور
فالأرض ياقوتة والجو لؤلؤة والنبت فيروزج والماء بلور
«الأرض ياقوتة» تشبيه بليغ مجمل المشبه الأرض. والمشبه به ياقوتة - وهما حسيان مفردان ووجه الشبه محذوف وهو الخضرة في كل. والأداة محذوفة.
والغرض منه تحسينه «والجو لؤلؤة، والنبت فيروزج والماء بلور» كذلك وفي البيت كله تشبيه مفروق - لأنه أتى بمشبه ومشبه به وآخر وآخر:

[الكامل]

العمر والإنسان والدنيا همو كالظل في الإقبال والإدبار
فيه تشبيه تسوية مرسل مفصل المشبه العمر والإنسان والدنيا، والمشبه به الظل
والمشبه بعضه حسي وبعضه عقلي. والمشبه به حسي. والكاف الأداة. ووجه الشبه

٦ - التشبيه الضمني - تشبيه لا يُوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب.
وهذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن^(١).

(١) كقوله: [الكامل]

لا تُنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي
أي لا تنكري خلو الرجل الكريم من الغنى. فإن ذلك ليس عجبًا لأن قمم الجبال وهي أعلى الأماكن لا يستقر فيها ماء السيل «فها هنا يلمح الذكي تشبيهًا» ولكنه لم يضع ذلك صريحًا بل أتى بجملة مستقلة وضمنها هذا المعنى في صورة برهان فيكون هذا التشبيه على غير طرقة الأصلية بحيث يورد التشبيه ضمناً من غير أن يصرح به ويجعل في صورة برهان على الحكم الذي أسند إلى المشبه، كما سبق في شرحه.
وقد يراد إيهام أن المشبه والمشبه به متساويان في وجه الشبه فيترك التشبيه دعاءً بالتساوي دون الترجيح.

الإقبال والإدبار. والغرض من تقرير حاله في نفس السامع:

[البسيط]

كم نعمة مرت بنا وكأنها فرس يهرول أو نسيم ساري
فيه تشبيه جمع مرسل مجمل. المشبه نعمة. والمشبّه به فرس يهرول. أو نسيم
ساري، وهما حسيان. وكأن الأداة. ووجه الشبه السرعة في كل. والغرض منه بيان
مقدار حاله:

[المجتث]

ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقد
فيه تشبيه بليغ مجمل ملفوف. المشبه شعر وهو حسي. والمشبّه به ليل وهو عقلي
والأداة محذوفة، ووجه الشبه السواد في كل. والغرض منه بيان مقدار حاله.
وفي الثاني - المشبه وجه. والمشبّه به بدر. وهما حسيان. ووجه الشبه الحسن في
كل والأداة محذوفة - والغرض تحسينه. وفي الثالث المشبه قدّ. والمشبّه به غصن.
وهما حسيان. ووجه الشبه الاعتدال في كل، والأداة محذوفة، والغرض بيان مقداره،
هذا وإن شئت فقل هذا تشبيه مقلوب بجعل المشبه به مشبّها، والمشبّه مشبّها به لغرض
المبالغة بأن تجعل الليل مشبّها والشعر مشبّها به:

[الطويل]

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا
فيه تشبيه تمثيل مرسل مجمل، المشبه هيئة الثريا الحاصلة من اجتماع أجرام مشرقة
مستديرة منيرة - والمشبّه به هيئة عنقود العنب المنور، والجامع الهيئة الحاصلة من
اجتماع أجرام منيرة مستديرة في كل - والأداة الكاف، والغرض منه بيان حاله.

تمرين

بين أنواع التشبيه فيما يأتي:

[الكامل]

الورد في أعلاّ الغصون كأنه مَلِكٌ تَحَفُّ به سَرَاةُ جنوده

[الوافر]

إذا ارتجل الخطابَ بدا خليجٌ كلام بل مدام بل نظام
بِفِيهِ يمدّه بحرُ الكلام من الياقوت بل حَبُّ الغمام

[الكامل]

يا صاحبيّ تيقظًا من رقدة يا صاحبيّ تيقظًا من رقدة
هذي المجرة والنجوم كأنها نهر تدفق في حديقة نرجس

[مجزوء الرمل]

لاح من تحت الثُّرَيَّا
ج يَفْدَى ويَحْيَا

[الخفيف]

م سَراج وحكمة الله زيت
وإذا أظلمت فإنك ميت
[الطويل]

طبيبٌ يداوي النَّاس وهو مريض
[الطويل]

له من عَدُوٍّ في ثياب صديق
[الخفيف]

لِ فَمِنْ ذلك العذارُ دخانُ
[الكامل]

يهدي إلى عينيك نورًا كافيًا
[الطويل]

وصافي بأخلاق هيَّ الظلُّ في الصُّبح

وكأنَّ الصُّبْحَ لما
ملك أقبل في النَّا

إنما النفس كالزُّجاجة والعد
فإذا أشرقَت فإنك حيٌّ

وغير تقيٍّ يأمر النَّاس بالتُّقى

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت

جمرة الخدِّ أحرقت عنبر الخا

كالبدر من حيث التفت رأيتَه

وأشرقَ عن بَشر هو النُّور في الضحا

بلاغة التشبيه

وبعض ما أثَّر منه عن العرب والمُحَدِّثِينَ تَنْشَأُ بلاغة التشبيه من أنه يتنقل بك من الشيء نفسه إلى شيء طريف يُشَبِّهه، أو صورةً بارعة تمثِّلُه، وكلَّما كان هذا الانتقال بعيدًا قليل الخطور بالبال، أو ممتزجًا بقليل أو كثير من الخيال، كان التشبيه أروعَ للنفس وأدعى إلى إعجابها واهتزازها.

فإذا قلتَ فلانٌ يشبه فلانًا في الطول، أو أن الأرض تُشَبِّه الكُرَّة في الشكل لم يكن في هذه التشبيهات أثر للبلاغة، لظهور المشابهة وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة وجُهد أدبيٍّ، ولخلوها من الخيال.

وهذا الضرب من التشبيه يقصد به البيان والإيضاح وتقريب الشيء إلى الأفهام، وأكثر ما يُستعمل في العلوم والفنون.

ولكنك تأخذك روعة التشبيه حينما تسمع قول المعري يَصِفُ نجمًا:

[الخفيف]

يُسْرِعُ اللَّمَحُ فِي أَحْمَرَارٍ كَمَا تُسْرِعُ فِي اللَّمَحِ مُقْلَةُ الْغَضْبَانِ

فإنَّ تشبيه لمحات النجم وتألقه مع احمرار ضوئه بسرعة لمحَّة الغضبان من التشبيهات النادرة التي لا تنقاد إلَّا لأديب، ومن ذلك قول الشاعر:

[الخفيف]

وَكَاَنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهَا سُنَنٌ لَّاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعٌ
فإنَّ جمال هذا التشبيه جاء من شعورك ببراعة الشاعر وحذقه في عقد المشابهة بين
حالتين - ما كان يخطر بالبال تشابههما، وهما حالة النجوم في رُقعة الليل، بحال
السنن الدنيئة الصحيحة متفرقة بين البدع الباطلة.
ولهذا التشبيه رَوْعَةٌ أُخْرَى جاءت من أَنَّ الشاعر تخيّل أن السنن مضيئة لماعة، وأنَّ
البدع مظلمة قاتمة.

ومن أبدع التشبيهات قول المتنبي:

[الطويل]

بُلَيْثُ بَلَى الاِظْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ وَقُوفَ شَحِيحِ ضَاعِ فِي التَّرَبِّ خَاتَمُهُ
يدعو على نفسه بالبلَى والفَنَاء، إذا هو لم يقف بالأطلال، ليذكر عهد من كانوا
بها، ثم أراد أن يصوّر لك هيئة وقوفه فقال كما يقف شَحِيح فَقَدْ خَاتَمَهُ فِي التَّرَابِ،
من كان يُوقِّقُ إِلَى تصوير حال الذاهل المتحير المحزون، المطرق برأسه، المنتقل من
مكان إلى مكان في اضطراب ودهشة بحال شحيح فقد في التراب خاتماً ثميناً.

هذه بلاغة التشبيه من حيث مبلغ طرافته وتُعد مرماه ومقدار ما فيه من خيال، أما
بلاغته من حيث الصورة الكلامية التي يوضع فيها فمتفاوتة أيضاً - فأقلّ التشبيهات
مرتبة في البلاغة ما ذكرت أركانها جميعها لأن بلاغة التشبيه مبنية على ادعاء أن المشبه
عينُ المشبه به، ووجود الأداة ووجه الشبه معاً يحولان دون هذا الادعاء. فإذا حذفت
الأداة وحدها، أو وجه الشبه وحده ارتفعت درجة التشبيه في البلاغة قليلاً لأن حذف
أحد هذين يقوّي ادعاء اتحاد المشبه والمشبه به بعض التقوية، أما أبلغ أنواع التشبيه
«فالتشبيه البليغ» لأنه مبنيٌّ على ادعاء أن المشبه والمشبه به شيء واحد.

هذا - وقد جَرَى العرب والمُحدَثون على تشبيه الجواد بالبحر والمطر والشجاع
بالأسد، والوجه الحسن بالشمس والقمر، والشَّهْم الماضي في الأمور بالسيف،
والعالي المنزلة بالنجم، والحليم الرزين بالجبل، والأمانيّ الكاذبة بالأحلام، والوجه
الصَّيِّح بالدينار، والشَّعر الفاحم بالليل والماء الصافي باللَّجَيْن، والليل بموج البحر،
والجيش بالبحر الزاخر، والخَيْلُ بالرَّيح والبرق، والنُّجوم بالذُّرر والأزهار، والأسنان
بالبرد واللؤلؤ، والسُّفُنُ بالجبال، والجدوال بالحيات الملتوية، والشَّيْبُ بالنهار، ولَمَعَ
السيوف وغرّة الفرس بالهلال، وشبّهون الجبانَ بالنَّعامة والذُّبابة، واللَّيْمُ بالثعلب،
والطائش بالفَرَّاش، والذليل بالوَتِد، والقاسي بالحديد والصخر، والبلید بالحمار،
والْبَخِيلُ بالأرض الْمُجْدَبَة.

وقد اشتهر رجال من العرب بِخِلَالٍ مَحْمُودَةٍ، فصاروا فيها أعلامًا فجرى التَّشْبِيه بهم؛ فيشَبِّه الوَفِيُّ بالسَّمُوءِل^(١)؛ والكريمُ بِحاتم، والعادلُ بِعُمَر^(٢)، والحليمُ بالأخْنَف^(٣)؛ والأفْصِيحُ بِسَحْبَانَ؛ والخطيبُ بِقَس^(٤)، والشجاعُ بِعَمْرُو بن مَعْدٍ يَكْرَبُ، والحكيمُ بِلُقْمَانَ^(٥)؛ والذكيُّ بِإِيَّاس، واشتهر آخرونُ بِصفات ذميمة، فجرى التشبيه بهم أيضًا؛ فيشَبِّه العَيُّ بِبَاقِل^(٦)، والأحمقُ بِهَبَنْقَةٍ^(٧)، والنادمُ بِالْكَسْعِيِّ^(٨)، والبخيلُ بِمَادِر^(٩)، والهَجَاءُ بِالْحُطَيْيَةِ^(١٠)، والقاسي بِالْحِجَاجِ^(١١).

- (١) هو السموءل بن عادياء اليهودي يضرب به المثل في الوفاء، وهو من شعراء الجاهلية، توفي سنة ٦٢ ق. هـ.
- (٢) هو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وأحد السابقين إلى الإسلام الأولين، اشتهر بعدله وتواضعه وزهده، وقد نصر الله به الإسلام وأعزه.
- (٣) هو الأخنف بن قيس من سادات التابعين، كان شهماً حليماً عزيزاً في قومه إذا غَضِبَ غضب له مائة ألف سيف لا يسألون لماذا غضب، توفي سنة ٦٧ هـ.
- (٤) هو قس بن ساعدة الأيادي خطيب العرب قاطبة، ويضرب به المثل في البلاغة والحكمة.
- (٥) حكيم مشهور آتاه الله الحكمة أي الإصابة في القول والعمل.
- (٦) رجل اشتهر بالعي، اشترى غزالاً مرة بأحد عشر درهماً فسئل عن ثمنه فمدّ أصابع كفيه يريد عشرة وأخرج لسانه ليكملها أحد عشر ففر الغزال، فضرب به المثل في العي.
- (٧) هو لقب أبي الودعات يزيد بن ثروان القيسي، يضرب به المثل في الحمق.
- (٨) هو غامد بن الحرث، خرج مرة للصيد فأصاب خمسة حُمُر بخمسة أسهم، وكان يظن كل مرة أنه مخطيء فغضب وكسر قوسه، ولما أصبح رأى الحمر مصروعة والأسهم مخضبة بالدم فندم على كسر قوسه، وعَضَّ على إبهامه فقطعها.
- (٩) لقب رجل من بني هلال اسمه مخارق، وكان مشهوراً بالبخل واللؤم.
- (١٠) شاعر مُخَضَّرَم كان هَجَاءً مُرّاً، ولم يكد يسلم من لسانه أحد، هجا أمه وأباه نفسه وله ديوان شعر، وتوفي سنة ٣٠ هـ.
- (١١) هو الحجاج بن يوسف الثقفي، كان عاملاً على العراق وخراسان لعبد الملك ابن مروان ثم للوليد من بعده، وهو أحد جبابرة العرب، وله في القتل والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها، توفي بمدينة واسط سنة ٩٧ هـ عن البلاغة الواضحة.

الباب الثاني

في المجاز^(١)

المجاز مشتق من جاز الشيء يجوزه إذا تعدّاه - سَمَوْا به اللَّفْظ الذي يُعَدَّلُ به عَمَّا يوجبُه أصلُ الوضع - أنهم جازوا به موضعه الأصلي.

والمجاز من أحسن الوسائل البَيانية التي تهدي إليها الطبيعة لإيضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متصفاً بصفة حسية تكاد تعرضه على عيان السامع - لهذا شغفت العرب باستعمال المجاز لميلها إلى الاتساع في الكلام، وإلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ. ولما فيها من الدقة في التعبير فيحصل للنفس به سرور وأريحية، ولأمر ما كثر في كلامهم حتى أتوا فيه بكل معنى رائق، وزينوا به خطبهم وأشعارهم - وفي هذا الباب مباحث.

المبحث الأول

في المجاز وأنواعه

المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي والعلاقة^(٢) بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قد تكون المُشابهة وقد تكون غيرها. فإذا كانت المُشابهة فهو استعارة، وإلا فهو مجاز مرسل

(١) أقول إن المخلوقات كلها تفتقر إلى أسماء يستدل بها عليها ليعرف كل منها باسمه من أجل التفاهم بين الناس. وهذا يقع ضرورة لا بد منها. فالاسم الموضوع إزاء المسمى هو حقيقة له - فإذا نقل إلى غيره صار مجازاً.

وأنواع المجاز كثيرة أهمها المجاز العقلي وقد تقدم الكلام عليه في صحيفة ٣٦ والمجاز المرسل وهو المقصود بالذات في هذا الباب.

(٢) العلاقة هي المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول إليه سميت بذلك لأن بها يتعلق ويرتبط المعنى الثاني بالأول فينتقل الذهن من الأول للثاني - وباشتراط ملاحظة العلاقة يخرج الغلط كقولك خذ هذا الكتاب مشيراً إلى فرس مثلاً - إذ لا علاقة هنا ملحوظة.

والقرينة^(١) قد تكون لفظية . وقد تكون حالية - كما سيأتي .

وينقسم إلى أربعة أقسام - مجاز مفرد مُرسل^(٢) ، ومجاز مفرد بالاستعارة ومجاز مركب مُرسل - ومجاز مركب بالاستعارة .

المبحث الثاني

في المجاز المفرد المُرسل

المجاز المرسل هو الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي . وله علاقات كثيرة أهمها .

١ - السببية - هي كون الشيء المنقول عنه سبباً ومؤثراً في غيره نحو رَعَتِ الماشية الغيث: أي الثَّبات ، لأن الغيث أي المطر سَبَبٌ فيه^(٣) وقرينته لفظية وهي رعت لأن العلاقة تُعتبر من جهة المعنى المنقول عنه .

٢ - والمسببية - هي أن يكون المنقول عنه مُسَبِّباً وأثراً لشيء آخر نحو ﴿وَيُرْزَلُ لَكُمْ

(١) القرينة هي الأمر الذي يجعله المتكلم دليلاً على أنه أراد باللفظ غير ما وضع له - ويتقيد القرينة بمادة الخ خرجت الكناية فإن قرينتها لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي - والقرينة إما لفظية أو حالية . فاللفظية هي التي يلفظ بها في التركيب - والحالية هي التي تفهم من حال المتكلم أو من الواقع . وأما القرينة التي تعين المراد من المجاز فليست شرطاً .

(٢) سمي مرسلًا لإطلاقه عن التقيد بعلاقة واحدة مخصوصة ، بل له علاقات كثيرة ، واسم العلاقة يستفاد من وصف الكلمة التي تذكر في الجملة - وليس المقصد من العلاقة إلى بيان الارتباط والمناسبة ، فالفطن يرى ما يناسب كل مقام . وقيل سمي مرسلًا لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتمدة في الاستعارة .

(٣) كقول الشاعر: [المنسرح]

له أيادٍ عليّ سابغة أعدّ منها ولا أعدّدها

[الكامل]

قامت تظللّني من الشمس نفس أحبّ إليّ من نفسي
قامت تظللّني ومن عجب شمس تظللّني من الشمس

فائدة: القصد من العلاقة إنما هو تحقق الارتباط - والذكي يعرف مقال كل مقام ثم إن العلاقة: قيل تعتبر من جهة المعنى المنقول عنه الذي هو الحقيقي - وقيل تعتبر من جهة المعنى المنقول إليه لأنه المراد - وقيل تعتبر من جهتهما رعاية لحقيهما .

واعلم أن اللفظ الواحد قد يكون صالحاً بالنسبة إلى معنى واحد لأن يكون مجازاً مرسلًا ، واستعارة باعتبارين .

مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا»^(١) أي مطرًا يُسَبِّبُ الرِّزْقَ.

٣ - والكَلِيَّة - هي كون الشيء مُتَضَمِّنًا للمقصود ولغيره.

نحو ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِي أَزَانِهِمْ﴾^(٢) أي أناملهم، والقرينة حالية، وهي استحالة إدخال الأصبع في الأذن.

ونحو: شربت ماء النيل - والمراد بعضه، بقرينة شربت.

٤ - والجزئية - هي كون المذكور ضمن شيء آخر - نحو: نشر الحاكم عيونه في المدينة، أي الجواسيس، فالعيون مجازٌ مرسل، علاقته الجزئية لأن كل عين جزءٌ من جاسوسها - والقرينة الاستمالة. وكقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾^(٣).

٥ - واللازمية - هي كون الشيء يجب وجوده عند وجود آخر نحو: طلع الضُّدُّ أي الشمس. فالضوء مجاز مرسل. علاقته اللازمة لأنه يوجد عند وجود الشمس والمعتبر هنا اللزوم الخاص وهو عدم الانفكاك.

٦ - والملزومية - هي كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر نحو - ملأت الشَّمْسُ المكان. أي الضوء، فالشمس مجاز مرسل علاقته الملزومية، لأنها متى وُجدت وُجد الضوء، والقرينة «ملأت».

٧ - والآلية - هي كون الشيء واسطة لإيصال أثر شيء إلى آخر - نحو ﴿وَيَجْعَلُ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(٤) أي ذكرًا حسنًا - فلسان بمعنى ذكر حسن. مجاز مرسل، علاقته الآلية لأن اللسان آلة في الذكر الحسن.

٨ - والإطلاق - هو كون الشيء مُجَرَّدًا من القيود - نحو قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾^(٥) أي عِتْقُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ. فالرقبة مجاز مرسل، علاقته الإطلاق. فإن المراد منها المؤمنة. وإطلاق الرقبة على جميع الجسم مجاز مرسل. علاقته الجزئية.

٩ - والتقييد - هو كون الشيء مُقَيَّدًا بقيد أو أكثر. نحو: ما أغلظ جحفةً زَيْد. أي شفته. فجحفة زَيْد مجاز مرسل، علاقته التقييد، لأنها مقيدة بشفة الفرس.

١٠ - والعموم - هو كون الشيء شاملاً لكثير - نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ

(١) سورة غافر: الآية ١٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩.

(٣) سورة النساء: الآية ٩٢، سورة المجادلة: الآية ٣.

(٤) سورة الشعراء: الآية ٨٤.

(٥) سورة النساء: الآية ٩٢، سورة المجادلة: الآية ٣.

النَّاسُ^(١). أي «النبي» ﷺ. فالناس مجاز مرسل علاقته العموم - ومثله قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ^(٢)﴾ فإن المراد من الناس واحد. وهو «نعيم بن مسعود الأشجعي».

١١ - والخصوص - هو كون اللفظ خاصاً بشيء واحد كإطلاق اسم الشخص على القبيلة - نحو ربيعة - وقريش.

١٢ - واعتبار ما كان - هو النظر إلى الماضي. نحو: ﴿وَأَتُوا آلَ لَيْلَىٰ أَمَوَاتٍ^(٣)﴾ أي الذين كانوا يتامى. ثم بلغوا. فالتيامى مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان ومثل هذا قول من شرب القهوة (خُذِ الْمُلْتَأَنَ).

١٣ - واعتبار ما يكون - هو النظر إلى المستقبل. نحو طحنت خبزاً أي حباً يؤول أمره إلى أن يكون خبزاً - فخبزاً مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يؤول إليه - ومثله ﴿إِنِّي أَرْسِيٓ أَقْصِرَ خَمْرًا^(٤)﴾ أي عصيراً يؤول أمره إلى خمر لأنه حال عصره لا يكون خمرًا، فالعلاقة هنا اعتبار ما يؤول إليه.

ونحو: «ولا يلدوا إلّا فاجرًا كفارًا» والمولود حين يولد لا يكون فاجرًا ولا كفارًا، ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة، فأطلق المولود الفاجر وأُرِيدَ به الرجل الفاجر، والعلاقة اعتبار ما يكون.

١٤ - والحالية - هي كون الشيء حالاً في غيره. نحو ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٥)﴾ المراد من الرَّحْمَةِ الجنة التي تحل فيها الرَّحْمَةُ. فرحمة مجاز مرسل، علاقته الحالية، ومثله فلان جالس في سرور.

١٥ - والمحلية - هي كون الشيء يحل فيه غيره - كقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ^(٦)﴾ أي أهل ناديه - وكقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ^(٧)﴾ والقول باللسنة.

١٦ - والبديلية - هي كون الشيء بدلاً عن شيء آخر - كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتُمُ الصَّلَاةُ^(٨)﴾ والمراد الأداء.

١٧ - والمُبدلية - هي كون الشيء مُبدلاً منه شيء آخر، نحو أكلت دَمَ زيد، أي دِيَنَهُ. فالدم مجاز مرسل. علاقته المبدلية، لأن الدم مُبدل عنه الدِيَنَةُ.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٧٣.

(٤) سورة يوسف: الآية ٣٦.

(٦) سورة العلق: الآية ١٧.

(٨) سورة النساء: الآية ١٠٣.

(١) سورة النساء: الآية ٥٤.

(٣) سورة النساء: الآية ٢.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٠٧.

(٧) سورة المائدة: الآية ٤١.

١٨ - والمُجاوَرَة - هي كون الشَّيء مُجاوَرًا لشيء آخر، نحو كلَّمت الجدار والعامود، أي الجالس بجوارهما، فالجدار والعامود مجازان مرسلان علاقتهما المجاورة.

١٩ - والتعلُّق الاشتقائي - هو إقامة صيغة مقام أخرى - وذلك:

أ - كإطلاق المصدر على المفعول في قوله تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١) - أي مصنوعه.

ب - وإطلاق الفاعل على المصدر في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَوْعَنَهَا كَذِبَةٌ﴾^(٢) أي تكذيب.

ج - وإطلاق الفاعل على المفعول في قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٣) - أي لا معصوم.

د - وإطلاق المفعول على الفاعل في قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾^(٤) أي ساترًا. والقرينة على مجازية ما تقدّم هي ذكر ما يمنع إرادة المعنى الأصلي.

نَمُودَجْ

[الطويل]

١ - أبا المِسْكِ أَرْجُو مِنْكَ نَضْرًا عَلَى الْعِدَا وَآمَلُ عِزًّا يَخْضِبُ الْبَيْضَ بِالْدَمِ^(٥)

وَيَوْمًا يَغِيظُ الْحَاسِدِينَ وَحَالَةً أُقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مُقَامَ التَّنْعَمِ^(٦)

٢ - قال الله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾^(٧).

٣ - ذهبنا إلى حقيقة غناء.

٤ - بنى اسماعيل كثيرًا من المدارس بمصر

[الطويل]

٥ - تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنُونُهَا إِذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِرُقِيَّةٍ طَالِبِ^(٨)

(١) سورة النمل: الآية ٨٨.

(٢) سورة هود: الآية ٤٣.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٤٥.

(٤) سورة النمل: الآية ٨٨.

(٥) أبو المسك كنية كافور الإخشيدي، والبيض السيوف، يقول أرجو منك أن تنصرتني على أعدائي، وأن توليني عزًا أتمكن به منهم، وأخضب سيوفي بدمائهم.

(٦) يقول وأرجو أن أبلغ بك يومًا يغتاظ فيه حسادي لما يرون من إعظامك لقدري وكذلك أرجو أن أبلغ بك حالة تساعدني على الانتقام منهم، فأتنعم بشقائي في حريهم.

(٧) سورة هود: الآية ٤٣.

(٨) يعوذها يحصنها، والرُقِيَّة العوذة، جمعها رقى.

الإجابة

أ - عَزَا يَخْضِبُ الْبَيْضَ بِالدَّمِ:

إِسْنَادُ خَضْبِ السِّیُوفِ بِالدَّمِ إِلَى ضَمِيرِ الْعَزْ غَيْرِ حَقِيقِي، لِأَنَّ الْعَزْ لَا يَخْضِبُ السِّیُوفَ، وَلَكِنَّهُ سَبَبُ الْقُوَّةِ، وَجَمَعَ الْأَبْطَالُ الَّذِينَ يَخْضِبُونَ السِّیُوفَ بِالدَّمِ، فِيهِ الْعِبَارَةُ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ عِلَاقَتُهُ السَّبَبِيَّةُ.

ب - وَيَوْمًا يَغِيْظُ الْحَاسِدِينَ:

إِسْنَادُ غِيْظِ الْحَاسِدِينَ إِلَى ضَمِيرِ الْيَوْمِ غَيْرِ حَقِيقِي، غَيْرَ أَنَّ الْيَوْمَ هُوَ الزَّمَانُ الَّذِي يَحْصُلُ فِيهِ الْغِيْظُ، فِيهِ الْكَلَامُ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ عِلَاقَتُهُ الزَّمَانِيَّةُ.

٢ - لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ: الْمَعْنَى لَا مَعْصُومٌ^(١) الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَاسْمُ الْفَاعِلِ أَسْنَدٌ إِلَى الْمَفْعُولِ، وَهَذَا مَجَازٌ عَقْلِيٌّ عِلَاقَتُهُ الْمَفْعُولِيَّةُ.

٣ - ذَهَبْنَا إِلَى حَدِيقَةِ غَنَاءَ:

غَنَاءٌ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْعَنِّ، وَالْحَدِيقَةُ لَا تُعَنَّ، وَإِنَّمَا الَّذِي يَعَنَّ عَصَافِيرُهَا أَوْ دُبَابُهَا فِيهِ الْكَلَامُ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ عِلَاقَتُهُ الْمَكَانِيَّةُ.

٤ - بَنَى إِسْمَاعِيلُ كَثِيرًا مِنَ الْمَدَارِسِ:

إِسْمَاعِيلُ أَمِيرُ مِصْرَ - لَمْ يَبْنِ بِنَفْسِهِ وَلَكِنَّهُ أَمَرَ، فِيهِ الْإِسْنَادُ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ عِلَاقَتُهُ السَّبَبِيَّةُ.

٥ - تَكَادَ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جَنُونُهَا: إِسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَى الْمَصْدَرِ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ عِلَاقَتُهُ الْمَصْدَرِيَّةُ.

بلاغة المجاز المرسل والمجاز العقلي

إِذَا تَأَمَّلْتَ أَنْوَاعَ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ وَالْعَقْلِيِّ رَأَيْتَ أَنَّهَا فِي الْغَالِبِ تَوْذِي الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ بِإِيْجَازٍ، فَإِذَا قُلْتَ (هَزَمَ الْقَائِدُ الْجَيْشَ) أَوْ (قَرَّرَ الْمَجْلِسُ كَذَا) كَانَ ذَلِكَ أَوْجَزَ مِنْ أَنْ تَقُولَ (هَزَمَ جُنُودَ الْقَائِدِ الْجَيْشَ) أَوْ (قَرَّرَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ كَذَا) وَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِيْجَازَ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الْبَلَاغَةِ.

وَهُنَاكَ مَظْهَرٌ آخَرٌ لِلْبَلَاغَةِ فِي هَذَيْنِ الْمَجَازَيْنِ، هُوَ الْمَهَارَةُ فِي تَخْيِيرِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ

(١) يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ «عَاصِمٌ» مُسْتَعْمَلَةً فِي حَقِيقَتِهَا، وَيَكُونُ الْمَعْنَى لَا شَيْءَ يَعَصِمُ النَّاسَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ إِلَّا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مِنْهُمْ. فَإِنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَعَصِمُهُ.

المعنى الأصلي والمعنى المجازي، بحيث يكون المجاز مُصَوِّراً للمعنى المقصود خير تصوير - كما في إطلاق العين على الجاسوس. والأذن على سريع التأثر بالوشاية. والخُفّ والحافر على الجمال والخيال في المجاز المرسل وكما في إسناد الشيء إلى سببه أو مكانه أو زمانه في المجاز العقلي. فإن البلاغة توجب أن يُخْتَارَ السبب القوي، والمكان والزمان المختصان.

وإذا دَقِّقت النظر رأيتَ أنَّ أغلب ضروب المجاز المرسل والعقلي لا تخلو من مبالغة بديعة، ذات أثر في جعل المجاز رائعا خلّابا، فإن إطلاق الكل على الجزء مبالغة، ومثله إطلاق الجزء وإرادة الكل، كما إذا قلت «فلان فَم» تريد أنه شرٌّ يَلْتَقِمُ كلَّ شيء، أو «فلان أنف» عندما تريد أن تصفه بِعَظَمِ الأنف، فتبالغ فتجعله كله أنفا؟ ومما يؤثر عن بعض الأدباء في وصف رجل أنا في^(١) قوله: «لَسْتُ أَذْري أَهو في أَنفِهِ أَمْ أَنفُهُ فِيهِ».

المبحث الثالث

في المجاز المفرد بالاستعارة

الاستعارة في اللغة من قولهم، استعار المال إذا طلبه عارية.

وفي اصطلاح البيانين - هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المُشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي. والاستعارة ليست إلا تشبيها مختصرا؛ لكنها أبلغ منه^(٢) كقولك - رأيت أسدا في المدرسة. فأصل هذه الاستعارة «رأيت رجلا شجاعا كالأسد في المدرسة» فحذفت المشبه «رجلا» والأداة الكاف - ووجه التشبيه «الشجاعة» وألحقته بقرينة «المدرسة» لتدلّ على أنك تريد بالأسد شجاعا.

(١) الأنا في عظيم الأنف، - عن البلاغة الواضحة.

(٢) فأصل الاستعارة تشبيه حُذِفَ أحد طرفيه ووجه شبهه وأداته - ولكنها أبلغ منه لأن التشبيه مهما تنهى في المبالغة فلا بد فيه من ذكر المشبه والمشبه به وهذا اعتراف بتباينهما. وإن العلاقة ليست إلا التشابه والتداني فلا تصل إلى الاتحاد بخلاف الاستعارة ففيها دعوى الاتحاد والامتزاج، وإن المشبه والمشبه به صارا معنى واحدا يصدق عليهما لفظ واحد - فالاستعارة مجاز علاقته المشابهة.

واعلم أنَّ حسن الاستعارة «غير التخيلية» لا يكون إلا برعاية جهات التشبيه وذلك بأن يكون وافيًا بإفادة الغرض منه لأنها مبنية عليه فهي تابعة له حسنا وقبحا.

وأركان ١ مستعار منه - وهو المشبه به
 الاستعارة ٢ ومستعار له - وهو المشبه ويقال لهما الطرفان
 ثلاثة ٣ ومستعار - وهو اللفظ المنقول

ولا بُدّ فيها من عدم ذكر وجه الشبه ولا أداة التشبيه، بل ولا بُدّ أيضًا من تناسي التشبيه الذي من أجله وقعت الاستعارة فقط مع ادّعاء أن المشبه عين المشبه به، أو ادّعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به الكلّي «بأن يكون اسم جنس أو علّم جنس» ولا تتأتّى الاستعارة في «العلم الشخصي»^(١) لعدم إمكان دخول شيء في الحقيقة الشخصية - لأنّ نفس تصوّر الجزئي يمنع من تصوّر الشركة فيه، إلا إذا أفاد العلم الشخصي وصفًا به يصحّ اعتباره كليًا فتجاوز استعارته كتضمن «حاتم» للوجود «وقس» للفصاحة، فيقال: رأيت حاتمًا وقسًا بدعوى كلفة حاتم وقس ودخول المشبه في جنس الجواد، والفصحح.

وللاستعارة أجمل وقع في الكتابة لأنها تُجدي الكلام قوة، وتكسوه حسنًا ورونقًا. وفيها تثار الأهواء والإحساسات.

المبحث الرابع

في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يذكر من الطرفين

إذا ذكر في الكلام لفظ المشبه به فقط فاستعارة تصريحية أو مَصْرُوحَة^(٢) نحو:

[البسيط]

فأمطرت لؤلؤًا من نرجس وسقت وردًا وعَضَّتْ على العُنباب بالبرَد
 فقد استعار اللؤلؤ. والنرجس. والورد. والعُنباب. والبرَد. للدموع والعيون.
 والحدود. والأنامل. والأسنان.

وإذا ذكر في الكلام لفظ المشبه فقط. وحذف فيه المشبه به. وأشير إليه بذكر

(١) يعني أن الاستعارة تقتضي إدخال المشبه في جنس المشبه به. ولذلك لا تكون علمًا لأن الجنس يقتضي العموم، والعلم ينافي ذلك بما فيه من الشخص إلا إذا كان العلم يتضمن وصفية قد اشتهر بها «كسحبان» المشهور بالفصاحة فيجوز فيه ذلك لأنه يستفيد الجنسية من الصفة نحو سمعت اليوم سحبان. أي خطيبًا فصيحًا - وهلم جرا.

(٢) معنى تصريحية أي مصرح فيها باللفظ الدال على المشبه به المراد به المشبه ومعنى مكنية أي مخفي فيها لفظ المشبه به استغناء بذكر شيء من لوازمه - فلم يذكر فيها من أركان التشبيه سوى المشبه.

لازمه المُسمَّى «تخييلاً» فاستعارة مَكْنِيَّة^(١) أو بالكناية، كقوله:

(١) أي وهذا مذهب السلف، وصاحب الكشف وأما مذهب السكاكي فظاهر كلامه يشعر بأن الاستعارة بالكناية لفظ المشبه - أي كلفظ المنية في نحو «أظفار المنية نشبت بفلان» المستعمل في المشبه به بادعاء أنه عينه.

وبيان ذلك أنه بعد تشبيه معنى المنية وهو الموت بمعنى السبع - تدعى أن المشبه عين المشبه به .
وحيث يصير للمشبه به فردان - أحدهما حقيقي والآخر دعائي فالمنية مراد بها السبع بادعاء السبعية لها، وإنكار أن تكون شيئاً آخر غير السبع بقرينة إضافة الأظفار التي هي من خواص المشبه به وهو السبع - وأنكر السكاكي التبعية بمعنى أنها مرجوحة عنده - واختار ردها إلى قرينة المكنية - ورد قرينتها إلى نفس المكنية - ففي نطق الحال مثلاً . يقدر القوم أن نطق استعارة تبعية والحال قرينة لها - وهو يقول إن الحال استعارة بالكناية ونطقت قرينتها وفي كلامه نظر من وجهين .

(الأول) إن لفظ المشبه لم يستعمل إلا في معناه الحقيقي فلا يكون استعارة .

(الثاني) أنه قد صرح بأن نطق استعارة للأمر الوهمي أي المتوهم إثباته للحال تشبيها بالنطق الحقيقي فيكون استعارة والاستعارة في الفعل لا تكون إلا تبعية فيلزمه القول بالتبعية - وأجيب عنه بأجوبة تطلب من المطولات - وأما مذهب الخطيب فإنه يقول إن الاستعارة بالكناية التشبيه المضمحل أركانه سوى المشبه المدلول عليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه . ويلزم على مذهبه أنه لا وجه لتسميتها استعارة - لأن الاستعارة هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة - أو استعمال اللفظ المذكور - التشبيه غير ذلك بل هو فعل من أفعال النفس .

(تنبيه) المشبه في مواد الاستعارة بالكناية لا يجب أن يكون مذكوراً بلفظ المشبه به - فيجوز ذكره بغير لفظه كأن يشبه شيء كالنحافة واصفرار اللون بأمرين كاللباس والطعم المر البشع ويستعمل لفظ أحد الأمرين فيه، ويثبت له شيء من لوازم الآخر كما في قوله تعالى: ﴿فَأَذَنَهَا اللَّهُ لِإِنْسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢] فإنه شبه ما غشي الإنسان عند الجوع والخوف من النحافة واصفرار اللون باللباس لاشتماله على اللابس واشتغال أثر الضرر على من به ذلك، فاستعير له اسمه - وشبه ما غشي الإنسان عند الجوع «أي ما يدرك من أثر الضرر والألم باعتبار أنه مدرك من حيث الكراهية» بما يدرك من الطعم المر البشع، حتى أوقع عليه الإذاقة - فتكون الآية مشتملة على الاستعارة المصراحة نظراً إلى الأول - والمكنية نظراً إلى الثاني، وتكون الإذاقة تخييلاً بالنسبة للمكنية، وتجريداً بالنسبة إلى المصراحة لأنها تلائم المشبه وهو النحافة والاصفرار لأنها مستعارة للإصابة - وكثرت فيها حتى جرت مجرى الحقيقة - ويقال شبه ما غشي الإنسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر باللباس . بجامع الاشتغال في كل واستعير اسم المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية .

وطريق إجراء الاستعارة الثانية أن يقال: شبه ما غشي الإنسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر بالطعم المر البشع بجامع الكراهة في كل، واستعير لفظ المشبه به للمشبه ثم حذف وأثبت له شيء من لوازمه وهو الإذاقة على سبيل الاستعارة المكنية وإثبات الإذاقة تخييل - وطريق إجراء الثالثة أن يقال شبهت الإذاقة المتخيلة بالإذاقة المتحققة واستعيرت المتحققة للمتخيلة على سبيل الاستعارة التخيلية على مذهب السكاكي .

[الكامل]

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلَفَتْ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
فقد شبه المنيّة بالسبع بجامع الاغتيال في كل، واستعار السبع للمنيّة وحذفه ورمز
إليه بشيء من لوازمه وهو الأظفار على طريق الاستعارة المكنية الأصلية، وقرينتها
لفظة «أظفار» ثم أخذ الوهم في تصوير المنيّة بصورة السبع، فاخترع لها مثل صورة
الأظفار، ثم أطلق على الصورة التي هي مثل صورة الأظفار لفظ الأظفار.

فتكون لفظة أظفار استعارة تخيلية، لأن المستعار له لفظ أظفار صورة وهمية تشبه
صورة الأظفار الحقيقية وقرينتها إضافتها إلى المنيّة.

ونظرًا إلى أن الاستعارة التخيلية قرينة المكنية فهي لازمة لها لا تفارقها، لأنه لا
استعارة بدون قرينة.

وإذا تكون أنواع الاستعارة ثلاثة - تصريحية ومكنية وتخيلية.

المبحث الخامس

في الاستعارة باعتبار الطرفين

إن كان المستعار له مُحققًا جِسًّا «بأن يكون اللفظ قد نُقل إلى أمر معلوم يُمكن أن
يُشار إليه إشارة جِسِّيّة» كقولك رأيت بحرًا يُعطي.

أو كان المستعار له مُحققًا عَقْلًا «بأن يُمكن أن ينصّ عليه ويشار إليه إشارة عَقْلِيّة»
كقوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١) أي الدّين الحقّ (فالاستعارة
تحقيقية).

وإن لم يكن المستعار له مُحققًا لا جِسًّا ولا عَقْلًا «فالاستعارة تخيليّة»^(٢) وذلك

(١) سورة الفاتحة: الآية ٦.

(٢) اعلم أن المذاهب في التخيلية أربعة:

(الأول) مذهب السلف والخطيب وهو أن جميع أفراد قرينة المكنية مستعملة في حقيقتها،
والتجوز إنما هو في الإثبات لغير ما هو له المسمى استعارة تخيلية، فهما متلازمان، وهي من
المجاز العقلي.

(الثاني) مذهب السكاكي وهو أن قرينة المكنية تارة تكون تخيلية أي مستعارة لأمر وهمي كأظفار
المنيّة. وتارة تكون تحقيقية أي مستعارة لأمر محقق «كابلعي ماءك» وتارة تكون حقيقة «كأنبت
الربيع البقل» فلا تلازم بين التخيلية والمكنية بل يوجد كل منهما بدون الآخر - وقد استدل
السكاكي على انفراد التخيلية عن المكنية بقوله: [الكامل]

لا تسقني ماء الملام فلأنني صبّ قد استعذبت ماء بكائي =

كالأظفار في قولك - أنشبت المنية أظفارها بفلان. فإنه لما شَبَّهت المنية بالسَّبع أخذت القوة المفكَّرة تخيل للمنية صورة شبيهة بالأظفار فشبَّهت الصورة المتخيلة بالصورة المحقَّقة، واستُعير لفظ الأظفار من الصورة المحقَّقة إلى الصورة المتخيلة على طريق الاستعارة التخيلية (وسميت تخيلية لأن إثبات الأظفار للمشبه نُحِلَّ اتحاده مع المشبه به) وحينئذٍ التَّخيلية لا تفارق المكنية لأنها قرينتها، ولا استعارة بدون قرينة كما سبق هذا إذا كان لازم المشبه به في الكنية واحدًا، أما إذا كانت اللوازم متعدِّدة فيكون أقواها لزومًا قرينته لها، وما عداه ترشيح وتقوية لها، كما سيأتي.

المبحث السادس

في الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار

١ - إذا كان اللفظ المستعار «إسمًا جامدًا لذات» كالبدن إذا استعير للجَمِيل «أو اسمًا

فإنه قد توهم أن للاملامة شيئًا شبيهاً بالماء واستعارة اسمه له استعارة تخيلية غير تابعة للمكنية. وردة العلامة الخطيب بأنه لا دليل له فيه لجواز أن يكون فيه استعارة بالكناية فيكون قد شبه الملام بشيء مكروه له ماء. وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الماء على طريق التخييل.

وأن يكون من باب إضافة المشبه به إلى المشبه والأصل لا تسقني الملام الشبيه بالماء وأيضًا لا يخفى ما في مذهب السكاكي من التعسف أي الخروج عن الطريق الجادة لما فيه من كثرة الاعتبارات - وذلك أن المستعير يحتاج إلى اعتبار أمر وهمي، واعتبار علاقة بينه وبين الأمر الحقيقي. واعتبار قرينة دالة على أن المراد من اللفظ الأمر الوهمي. فهذه اعتبارات ثلاثة لا يدل عليها دليل، ولا تمس إليها حاجة.

(الثالث مذهب صاحب الكشاف) وهو أنها تكون تارة تحقيقية أي مصرحة وتارة تكون تخيلية أي مجازًا في الإثبات.

(الرابع - مذهب صاحب السمرقندية) وهو مثل مذهب صاحب الكشاف غير أن الفرق بينهما أن مدار الأقسام عند صاحب الكشاف على الشيوع وعدمه وعند صاحب السمرقندية على الإمكان وعدمه.

(تنبيه) الفرق بين ما يجعل قرينة للمكنية ويجعل نفسه تخيلًا على مذهب السكاكي - أو استعارة تحقيقية على مذهب صاحب الكشاف في بعض المواد - وعلى مختار صاحب السمرقندية كذلك - أو إثباته تخيلًا على مذهب السلف وصاحب الكشاف في بعض المواد - وعلى مختار صاحب السمرقندية كذلك - وبين ما يجعل زائدًا عليها قوة الاختصاص أي الارتباط بالمشبه به - فأيهما أقوى ارتباطًا به فهو القرينة وما سواه ترشيح - وذلك كالنشب في قولك. مخالف المنية نشبت بفلان، فإن المخالب أقوى اختصاصًا وتعلقًا بالسبع من النشب لأنها ملازمة له دائمًا بخلاف النشب.

جامداً لمعنى «كالقتل إذا استعير للضرب الشديد سميت الاستعارة «أصلية» كقوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(١) وكقوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾^(٢) وسميت أصلية لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر معتبر أولاً.

٢ - وإذا كان اللفظ المُستعار فعلاً^(٣) أو اسم فعل، أو اسماً مشتقاً أو حرفاً، أو اسماً

(١) يقال في إجراء الاستعارة في الآية الأولى - شبهت الضلالة بالظلمة بجامع عدم اهتداء في كل واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو الظلمة للمشبه وهو الضلالة على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية، سورة إبراهيم: الآية ١.

(٢) ويقال في إجراء الاستعارة في الآية الثانية - شبه الذل بطائر واستعير لفظ المشبه به وهو الطائر للمشبه وهو الذل - على طريق الاستعارة المكنية الأصلية ثم حذف الطائر، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الجناح، سورة الإسراء: الآية ٢٤.

(٣) مثال الاستعارة التصريحية في الفعل - نطقت الحال بكذا - وتقديرها أن يقال شبهت الدلالة الواضحة بالنطق بجامع إيضاح المعنى في كل، واستعير النطق للدلالة الواضحة، واشتق من النطق بمعنى الدلالة الواضحة نطقت بمعنى دلت على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية - ونحو: يحيي الأرض بعد موتها - يقدر تشبيه تزيينها بالنبات ذي الخضرة والنضرة - بالإحياء بجامع الحسن أو النفع في كل - ويستعار الإحياء للتزيين، ويشق من الإحياء بمعنى التزيين يحيي بمعنى يزين، استعارة تبعية لجريانها في الفعل تبعاً لجريانها في المصدر - هذا إذا كانت الاستعارة في الفعل باعتبار مدلول صيغته، أي مادته وهو الحدث. وأما إذا كانت باعتبار مدلول هيئته وهو الزمن كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَتُرْ أَنبِئْ﴾ [النحل: ١] فتقريبها أن يقال شبه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي بجامع تحقق الوقوع في كل، واستعير الإتيان في الماضي للإتيان في المستقبل واشتق منه أتى بمعنى يأتي على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية - ونحو ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] أي ينادي - شبه النداء في المستقبل بالنداء في الماضي بجامع تحقق الوقوع في كل، ثم استعير لفظ النداء في الماضي للنداء في المستقبل، ثم اشتق منه نادى بمعنى ينادي - ونحو قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدٍ﴾ [يس: ٥٢] أن قدر المرقد للرقاد مستعاراً للموت. فالاستعارة أصلية - وإن قدر لمكان الرقاد مستعاراً للقبر، فالاستعارة تبعية لأنها في اسم المكان، فلا يستعار المرقد للقبر إلا بعد استعارة الرقاد للموت - ومثال الاستعارة في اسم الفاعل، زيد قاتلٌ عمرًا، إذا كان عمرو مضرورًا ضربًا شديدًا - ومثالها في اسم المفعول - عمرو مقولٌ لزيد - إذا كان زيد ضاربًا لعمره ضربًا شديدًا وإجراء الاستعارة فيهما أن يقال شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع شدة الإيذاء في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه. واشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد قاتل أو مقتول بمعنى ضارب أو مضروب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية - ومثالها في الصفة المشبهة - هذا حسن الوجه مشيرًا إلى قبيحه - وإجراء الاستعارة فيه أن يقال - شبه القبح بالحسن - بجامع تأثر النفس في كل - واستعير الحسن للقبح تقديرًا، واشتق من الحسن بمعنى القبح حسن بمعنى قبيح على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية التهكمية ومثال الاستعارة في أفعال التفضيل - هذا أقتل =

مُبهَمًا، فالاستعارة «تصريحية تبعية».

= لعبيده من زيد - أي أشد ضربًا لهم منه - ومثال اسم الزمان والمكان - هذا مقتل زيد - مشيرًا إلى مكان ضربه أو زمانه - ومثاله اسم الآلة - هذا مفتاح الملك: مشيرًا إلى وزيره وإجراؤها أن يقال - شبهت الوزارة بالفتح للأبواب المغلقة بجامع التوسل إلى المقصود في كل، واستعير الفتح للوزارة، واشتق منه مفتاح بمعنى وزير - ومثال اسم الفعل المشتق - نزال بمعنى انزل. تريد به أبعد. فتقول شبه معنى البعد بمعنى النزول بجامع مطلق المفارقة في كل واستعير لفظ النزول لمعنى البعد واشتق منه نزال بمعنى أبعد - ومثال اسم الفعل غير المشتق «صه» بمعنى اسكت عن الكلام. تريد به أترك فعل كذا - فتقول شبه ترك الفعل بمعنى السكوت، واستعير لفظ السكوت لمعنى ترك الفعل، واشتق منه اسكت بمعنى أترك الفعل - وعبر بدل اسكت بصه - ومثال المصغر «رُجِيلٌ» لمتعاطي ما لا يليق - ومثال المنسوب «قُرشي» للمتخلف بأخلاق قريش وليس منهم. ومثال الاستعارة في الحرف قوله تعالى: ﴿فَالْقَلْعَةُ أَلْأَلْ فِرْعَوْنَ يَكُونُ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرًّا﴾ [القصص: ٨] وإجراؤها أن يقال شبهت المحبة والتبني بالعداوة والحزن اللذين هما العلة الغائية للالتقاط بجامع مطلق الترتب واستعيرت اللام من المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. واعلم أن اللام لم تستعمل في معناها الأصلي وهو العلة لأن علة التقاطهم له أن يكون لهم إينا، وإنما استعملت مجازًا لعاقبة الالتقاط، وهي كونه لهم عدوًا، فاستعيرت العلة للعاقبة بجامع أن كلا منهما مترتب على الالتقاط، ثم استعيرت اللام تبعًا لاستعارتها، فالمستعار منه العلة. والمستعار له العاقبة. والترتب على الالتقاط هو الجامع. والقرينة على المجاز استحالة التقاط الطفل ليكون عدوًا - وقوله تعالى: ﴿وَأَصْلَيْنَكُمْ فِي جُدُوعٍ أَلْأَلْ﴾ [طه: ٧١] وإجراؤها أن يقال شبه مطلق استعلاء بمطلق ظرفية بجامع التمكن في كل فسرى التشبيه من الكلين للجزئيات التي هي معاني الحروف فاستعير لفظ «في» الموضوع لكل جزئي من جزئيات الظرفية لمعنى «على» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية - ومثال المكنية التبعية في الاسم المشتق يعجبني إراقة الضاربة دم الباغي، وإجراء الاستعارة أن يقال شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الإيذاء في كل، واستعير القتل للضرب الشديد، واشتق من القتل قاتل بمعنى ضارب ضربًا شديدًا، ثم حذف وأثبت له شيء من لوازمه وهو الإراقة على سبيل الاستعارة المكنية التبعية - ومثالها في الاسم المبهم قولك لجليسك المشغول عنك. أنت مطلوب منك أن تسير إلينا الآن - شبه مطلق مخاطب بمطلق غائب فسرى التشبيه للجزئيات واستعير الثاني للأول، ثم استعير بناء على ذلك.

ضمير الغائب للمخاطب، وحذف وذكر المخاطب ورمز إلى المحذوف بذكر لازمه وهو طلب السير منه إليك، وإثباته له تخيل.

واعلم أن استعارة الأسماء المبهمة أعني الضمائر وأسماء الإشارة والموصولات تبعية لأنها ليست باسم جنس لا تحقيقًا ولا تأييلًا - ولأنها لا تستقل بالمفهومية لأن معانيها لا تتم ولا تصلح لأن يحكم عليها بشيء ما لم تصحب تلك الألفاظ في الدلالة عليها ضمنية تتم بها - كالإشارة الحسية والصلة والمرجع - فلا بد أن تعتبر التشبيه أولًا في كليات تلك المعاني الجزئية، ثم سيربانه فيها لتبني عليه الاستعارة - مثلاً في استعارة لفظ «هذا» لأمر معقول يشبه المعقول المطلق في قبول التمييز فيسرى التشبيه إلى الجزئيات فيستعار لفظ هذا من المحسوس =

٣ - وإذا كان اللفظ المستعار اسماً مشتقاً، أو اسماً مبهماً «دون باقي أنواع التبعية المتقدمة» فالاستعارة «تبعية مكنية».

وسُمِّيت تبعية لأن جريانها في المشتقات والحروف تابع لجريانها أولاً في الجوامد، وفي كليات معاني الحروف - يعني أنها سُمِّيت تبعية لتبعيةها لاستعارة أخرى لأنها في المشتقات تابعة للمصادر - وفي معاني الحروف تابعة لمتعلق معانيها - إذ معاني الحروف جزئية لا تتصور الاستعارة إلا بواسطة كُليّ مُستقلّ بالمفهومية ليتأتى كونها مُشبهاً ومُشَبَّهاً بها، أو محكوماً عليها أو بها، نحو: ركب فلان كِتْفَيَّ غريمه^(١) أي لازمه ملازمة شديدة وكقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾^(٢) أي تمكنا من الحصول على الهداية التامة^(٣) ونحو أدقته لِبَاسِ الْمَوْتِ^(٤) أي البسته إياه.

تنبيهات: - الأول، كل تبعية قرينتها مكنية.

الثاني: - إذا أُجريت الاستعارة في واحدة منهما امتنع إجراؤها الأخرى.

الثالث - تقسيم الاستعارة إلى أصلية وتبعية عام في كل من الاستعارة التصريحية والمكنية.

المبحث السابع

في تقسيم الاستعارة المصراحة باعتبار الطرفين إلى عنادية ووفاقية

فالعنادية - هي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لتنافيها والوفاقية -

الجزئي للمعقول الجزئي الذي سرى إليه التشبيه فهي تبعية - والاستعارة في الضمير والموصول كالتعبير عن المذكر بضمير المؤنث أو بموصولها عنه لشبهه بها. أو عكسه. فتشبه المذكر المطلق بالمؤنث المطلق فيسري التشبيه فتستعير الضمير أو الموصول للجزء الخاص.

(١) يقال في إجرائها شبه اللزوم الشديد بالركوب بجامع السلطة والقهر - واستعير لفظ المشبه به وهو الركوب للمشبه وهو اللزوم، ثم اشتق من الركوب بمعنى اللزوم ركب بمعنى لزم على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

(٢) سورة البقرة: الآية ٥.

(٣) يقال في إجرائها شبه مطلق ارتباط بين مهدي وهدى - بمطلق ارتباط بين مستعلي ومستعلى عليه بجامع التمكن في كل. فسرى التشبيه من الكلبيين للجزئيات ثم استعيرت «على» من جزئي من جزئيات المشبه به لجزئي من جزئيات المشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

(٤) يقال في إجرائها شبهت الإذاقة بالإلباس، واستعير الإلباس للإذاقة واشتق منه البس بمعنى أذاق على طريق الاستعارة المكنية التبعية - ثم حذف لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو اللباس.

هي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لعدم التنافي مثالهما قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ﴾^(١) أي ضالًّا فهديناه ففي هذه الآية استعارتان.

الأولى في قوله «ميتا» شبه الضلال بالموت بجامع ترتب نفي الانتفاع في كل واستعير الموت للضلال، واشتق من الموت بمعنى الضلال ميتا بمعنى ضالًّا - وهي عنادية لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء واحد.

والثانية - استعارة الإحياء للهداية وهي وفاقية، لا مكان اجتماع الإحياء والهداية في الله تعالى.

ثم العنادية قد تكون تمليلية. أي المقصود منها التمليح والظرافة وقد تكون تهكمية أي المقصود منها التهكم والاستهزاء، بأن يُستعمل اللفظ في ضدَّ معناه، نحو رأيت أسدًا، تريد جبانًا، قاصدًا التمليح والظرافة أو التهكم والسخرية: وهم اللتان نزل فيهما التضاد منزلة التناسب نحو ﴿فَبَيَّرَهُمْ بِكَذَابِ آلِ إِمْرٍ﴾^(٢) استعيرت البشارة التي هي الخبر السار للإنذار الذي هو ضده بإدخال الإنذار في جنس البشارة على سبيل التهكم والاستهزاء.

المبحث الثامن

في تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع

الاستعارة المصروفة باعتبار الجامع نوعان^(٣):

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٢. (٢) سورة آل عمران: الآية ٢١.

(٣) «ينقسم الجامع» إلى داخل وخارج فالأول - ما كان داخلًا في مفهوم الطرفين نحو قوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَاهُ فِي الْأَرْضِ مُسَيًّا﴾ [الأعراف: ١٦٨] فاستعير التقطيع الموضوع لإزالة الاتصال بين الأجسام الملتصق بعضها ببعض. لتفريق الجماعة وإبعاد بعضها عن بعض. والجامع إزالة الاجتماع. وهي داخلية في مفهومها. وهي في القطع أشد. والثاني: وهو ما كان خارجًا عن مفهوم الطرفين نحو: رأيت أسدًا - أي رجلًا شجاعًا، فالجامع وهي الشجاعة أمر عارض للأسد لا داخل في مفهومه.

وينقسم أيضًا باعتبار الطرفين والجامع إلى ستة أقسام لأن الطرفين إما حسيان أو عقليان (أو المستعار منه حسي والمستعار له عقلي أو بالعكس) والجامع في الأول من الصور الأربع تارة يكون حسيًا وتارة يكون عقليًا وأخرى مختلفًا، وفي الثلاث الأخيرة لا يكون إلا عقليًا - مثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامع كذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّمْ يَخُورْ﴾ [طه: ٨٨] فإن المستعار منه وهو ولد البقرة، والمستعار له وهو المصوغ من حلي القبط بعد سبكها بناء السامري وإلقاء التراب المأخوذ من أثر فرس جبريل عليه والجامع الشكل، فإنه كان على =

١ - عامية - وهي القرينة المُبتذلة التي لاكتُها الألسُن فلا تحتاج إلى بحث ويكون

شكل ولد البقر مما يدرك بحاسة البصر «وبحث بعضهم بأن إبدال جسدًا من عجلًا يمنع الاستعارة».

ومثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامع عقلي - قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَهِمُّ أَلِيلٍ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧] فإن المستعار منه أعني السلخ وهو كشط الجلد عن الشاة ونحوها والمستعار له وهو كشف الضوء عن مكان الليل وهو موضع إلقاء ظله: حسيان.

والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر بحصوله عقبه كترتب ظهور اللحم على الكشط وترتب ظهور الظلمة على إزالة الضوء عن مكان الليل. والترتب عقلي وإجراء الاستعارة - شبه كشف الضوء عن الليل بكشط الجلد عن نحو الشاة بجامع ترتب ظهور شيء على شيء في كل، واستعير لفظ المشبه به وهو «السلخ» للمشبه وهو كشف الضوء واشتق منه «نسلخ» بمعنى نكشف على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. ومثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامع بعضه حسي وبعضه عقلي. قولك رأيت بذرًا يتكلم - تريد شخصًا مثل «البدر» في حُسْنِ الطلعة وعلو القدر. فحسَنُ الطلعة حسي وعلو القدر عقلي - ومثال ما إذا كان الطرفان عقليين ولا يكون الجامع فيه إلا عقليًا كباقي الأقسام. قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ نَفْسٍ رَقِيقًا﴾ [يس: ٥٢] فإن المستعار منه «الرقاد» أي النوم. والمستعار له الموت. والجامع بينهما عدم ظهور الفعل، والجميع عقلي - وإجراء الاستعارة شبه الموت بالنوم بجامع عدم ظهور الفعل في كل واستعير لفظ المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية - وقال بعضهم عدم ظهور الفعل في الموت أقوى. وشرط الجامع أن يكون في المستعار منه أقوى فليجعل الجامع هو «البعث» الذي هو في النوم أظهر وقرينة الاستعارة أن هذا الكلام كلام الموتى مع قوله ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢] وعلى هذا يقال شبه الموت بالرقاد بجامع عدم ظهور الفعل في كل. واستعير الرقاد للموت. واشتق منه «مرقد» اسم مكان الرقاد بمعنى قبر اسم مكان الموت على طريق الاستعارة التصريحية التبعية - ومثال ما إذا كان المستعار منه حسيًا. والمستعار له عقليًا. قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَقَ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] فإن المستعار منه كسر الزجاج. وهو أمر حسي. والمستعار له التبليغ جهريًا والجامع التأثير «أي أظهر الأمر إظهارًا لا يمحي» - كما صدق الزجاج لا يلتزم وإجراء الاستعارة شبه التبليغ جهريًا بكسر الزجاج بجامع التأثير الشديد في كل واستعير المشبه به وهو «الصدع» للمشبه وهو التبليغ جهريًا - واشتق منه أصدع بمعنى بلغ جهريًا. على طريق الاستعارة التصريحية التبعية - ومثال ما إذا كان المستعار منه عقليًا والمستعار له حسيًا. قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَّا عَلَاءُ الْمَاءِ حَمَلَكُو فِي لَبَّارَةٍ﴾ [الحاقة: ١١] فإن المستعار له كثرة الماء وهو حسي. والمستعار منه التكبر. والجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان. وإجراء الاستعارة شبهت كثرة الماء المفرطة بمعنى الطغيان. وهو مجاوزة الحد. بجامع الاستعلاء المفرط في كل. واستعير لفظ المشبه به وهو الطغيان للمشبه وهو الكثرة المفرطة. واشتق منه طغي بمعنى كثر كثرة مفرطة. على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

«تنبيه» الاستعارة المكنية تنقسم أيضًا إلى أصلية وتبعية. وإلى مرشحة ومجردة. ومطلقة. كما انقسمت التصريحية إلى مثل ذلك.

الجامع فيها ظاهرًا، نحو رأيت أسدًا يرمي .

٢ - خاصية - وهي الغريبة التي يكون الجامع فيها غامضًا لا يدركه إلا أصحاب المدارك من الخواص - كقول كثير يمدح عبد العزيز بن مروان :

[الكامل]

عَمُرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلِقَتْ لَضَحَكْتِهِ رِقَابُ الْمَالِ
عَمُرُ الرِّدَاءِ «كثير العطايا والمعروف» استعار الرداء للمعروف لأنه يصون ويستر
عرض صاحبه كستر الرداء ما يلتقى عليه وأضاف إليه الغمر، وهو القرينة على عدم
إرادة معنى الثوب، لأن الغمر من صفات المال لا من صفات الثوب .

=
فالمكنية الأصلية . هي ما كان المستعار فيها اسمًا غير مشتق كالسبع المتقدم، والتبعية - هي ما
كان المستعار فيها اسمًا مشتقًا فلا تكون في الفعل ولا في الحرف ومثالها في الاسم المشتق :
يعجبني إراقة الضارب دم الظالم . فقد شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الإيذاء في كل واستعير
القتل للضرب الشديد . ثم حذف ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الإراقة، على طريق الاستعارة
المكنية التبعية - فالاستعارة التخيلية عند الجمهور هي نفس إثبات اللازم المستعمل في حقيقته -
وهي من المجاز العقلي وإنما سميت إستعارة لأنه استعير ذلك الإثبات من المشبه به للمشبه
وسميت تخيلية لأن إثباته للمشبه خيل اتحاده مع المشبه به، فقولنا أظفار المنية نشبت بفلان -
لفظ «أظفار» في هذا التركيب مستعمل في حقيقته «وإنما التجوز في إثباته للمنية» أي أن ذلك
الإثبات إثبات الشيء إلى غير ما هو له - فعند الجمهور التخيلية لا تفارق المكنية لأنها قرينتها .
والاستعارة المكنية المرشحة - هي ما قرنت بما يلائم المشبه فقط نحو - نطق لسان الحال بكذا -
شبهت «الحال» بمعنى الإنسان، واستعير لفظ المشبه به للمشبه وحذف ورمز إليه بشيء من
لوازمه وهو «لسان» وإثبات اللسان للحال تخيل وهو القرينة، والنطق ترشيح . لأنه يلائم المشبه
به فقط .

والمكنية المجردة - هي ما قرنت بما يلائم المشبه فقط، - نحو : نطقت الحال الواضحة بكذا -
فالوضوح تجريد لأنه يلائم المشبه الذي هو إنسان فقط .

والمكنية المطلقة - هي التي لم تقتزن بشيء يلائم المشبه ولا المشبه به - أو قرنت بما يلائمهما
معًا - نحو نطقت الحال بكذا - ونطق لسان الحال الواضحة بكذا . ففي الأول - شبهت الحال
بإنسان واستعير لها اسمه وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النطق وإثبات النطق للحال
تخيل، وهي مجردة لأنها لم تقتزن بشيء يلائمهما وفي الثاني - شبهت الحال بإنسان واستعير له
اسمه، وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «لسان» وإثباته للحال تخيل، وهو القرينة،
والنطق ترشيح، لأنه يلائم المشبه به والوضوح تجريد لأنه يلائم المشبه - ولما تعارضا سقطا .

وتنقسم المكنية أيضًا إلى عنادية - نحو - أنشبت المنية أظفارها بفلان - لأنه لا يمكن اجتماع
طرفيها في شيء واحد يكون منية وسبعا، ووافقية - نحو نطقت الحال بكذا - لأنه يمكن اجتماع
طرفيها في شيء واحد كالحال مع الإنسان .

وهذه الاستعارة لا يظفر باقتطاف ثمارها إلا ذوا الفطر السليمة والخبرة الثَّامة .

المبحث التاسع

في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يتصل بها من الملائمات وعدم اتصالها

تنقسم الاستعارة باعتبار ذكر «ملائم المستعار منه» .

أو باعتبار ذكر «ملائم المستعار له» أو عدم اقترانها بما يلائم أحدهما إلى ثلاثة أقسام مطلقة، ومرشحة، ومجردة .

أ - فالمطلقة هي التي لم تقترن بملائم أصلاً، نحو ﴿يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾^(١) أو ذكر فيها ملائمهما معاً كقول زهير:

[الطويل]

لدى أسد شاكي السلاح مُقَدَّفٌ له لبْدُ أظفاره لم تُقَلِّمَ

استعار الأسد للرجل الشجاع، وقد ذكرها ما يناسب المستعار له في قوله «شاكي السلاح مُقَدَّفٌ» وهو التجريد، ثم ذكر ما يناسب المستعار منه في قوله «له لبْدُ أظفاره لم تُقَلِّمَ» وهو الترشيح، واجتماع التجريد والترشيح يؤدي إلى تعارضهما وسقوطهما فكان الاستعارة لم تقترن بشيء وتكون في رتبة المطلقة .

ب - والمرشحة - هي التي قُرِنت بملائم المستعار منه «أي المشبه به» نحو ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتِ بِتِجَارَتِهِمْ﴾^(٢) استعير الشراء للاستبدال والاختيار. ثم فرّع عليها ما يلائم المستعار منه من الربح والتجارة، ونحو: من باع دينه بدنياه لم تريح تجارته «وسُميت مُرْشحة لترشيحها وتقويتها بذكر الملائم» .

ج - والمجردة - هي التي قرنت بملائم المستعار له «أي المشبه» نحو رأيت بحراً على فرس يعطي . فيعطي تجريد لأنه يناسب المستعار له الذي هو الرجل الكريم . ونحو اشترى بالمعروف عرضك من الأذى .

«وسميت بذلك لتجريدها عن بعض المبالغة لُبْعِد المشبه حينئذٍ عن المشبه به بعض بُعد، وذلك بُعْد دعوى الاتحاد الذي هو مبنى الاستعارة» .

ثم اعتبار الترشيح والتجريد إنما يكون بعد تمام الإستعارة بقرينتها سواء أكانت القرينة مقالية أم حالية - فلا تُعَدُّ قرينة المصراحة تجريداً ولا قرينة المكنية ترشيحاً - بل الزائد على ما ذكر .

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧ .

(٢) سورة البقرة: الآية ١٦ .

واعلم أن الترشيح أبلغ من غيره لاشتماله على تحقيق المبالغة بتناسي التشبيه، وادعاء أن المستعار له هو نفس المستعار منه «لا شيء شبيه به» وكأن الاستعارة غير موجودة، والإطلاق أبلغ من التجريد، فالتجريد أضعف الجميع، لأنه به تضعف دعوى الاتحاد، وإذا اجتمع ترشيح وتجريد فتكون الاستعارة في رتبة المطلقة إذ بتعارضهما يتساقطان، كما سبق تفصيله وكما يجري هذا التقسيم في التصريحية يجري أيضًا في المكنية.

المبحث العاشر

في المجاز المرسل المركب

المجاز المرسل المركب هو الكلام المستعمل في غير المعنى الذي وُضع له، لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي - ويقع أولاً في المركبات الخبرية المستعملة في الإنشاء وعكسه لإغراض كثيرة منها التحسر وإظهار التأسف كما في قول الشاعر:

[الكامل]

ذَهَبَ الصُّبَا وتَوَلَّتْ الأيامُ فعلى الصُّبَا وعلى الزَّمان سلام
فإنه وإن كان خبراً في أصل وضعه إلا أنه في هذا المقام مستعمل في إنشاء التَّحَسُّر
والتَّحَزُّن على ما فات من الشَّباب، والقرينة على ذلك الشطر الثاني - وكقول جعفر بن
عُلبه الحارثي:

[الطويل]

هَوَايَ مع الرِّكَب اليمانيْنَ مُضَعَّدٌ جَنِيْبٌ وُجْهَانِي بِمَكَّةَ مُوْتُوْ
فهو يشير إلى الأسف والحزن الذي ألَمَّ به من فراق الأحبة.
ويتحسّر على ما آل إليه أمره، والقرينة على ذلك حال المتكلم ومنها إظهار
الضَّعْف في قوله:

[الكامل]

رَبِّ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ اصْطِبَارَا فاعفُ عَنِّي يَا مَنْ يَقْبَلُ الْعِشَارَا
ومنها إظهار الشُّرُور، نحو كُتِبَ اسْمِي بَيْنَ النَّاَجِحِينَ.
ومنها الدعاء - نحو نَجَّحَ اللَّهُ مَقَاَصِدَنَا - أَيُّهَا الْوَطَنُ لَكَ الْبَقَاءُ.

وثانياً في المركبات الإنشائية كالأمر والنهي والاستفهام التي خرجت عن معانيها
الأصلية، واستعملت في معانٍ أُخَر: كما في قوله عليه الصلاة والسلام «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ
مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

إذ المراد «يتَبَوَّأُ مقعده» والعلاقة في هذا السَّبَبِيَّة والمُسَبَّبِيَّة، لأن إنشاء المتكلم للعبارة سبب لإخباره بما تَتَضَمَّنُه، فظاهره أمر، ومعناه خبر.

المبحث الحادي عشر

في المجاز المركب^(١) بالاستعارة التَّمثِيلِيَّة

المجاز المركب بالاستعارة التَّمثِيلِيَّة هو تركيب استعمل في غير ما وُضع له، لِعَلَّاقَة المشابهة مع قرينة مانعه من إرادة معناه الأصلي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به حياة مُنتزعة من متعدد - وذلك بأن تشبَّه إحدى صورتين مُنتزعتين من أمرين أو أمور بأخرى ثم تُدْخِل المشبه في الصُّورة المشبه بها مُبالغة في التشبيه - ويُسمَّى بالاستعارة التَّمثِيلِيَّة^(٢) نحو: في الصَّيْف ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ - يُضْرِب لمن فَرَط في تحصيل أمر في زمن يمكنه الحصول عليه فيه، ثم طلبه في زمن لا يمكنه الحصول عليه^(٣) فيه،

-
- (١) المجاز المركب هو تركيب استعمل في ما يشبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل.
- (٢) سميت تمثيلية مع أن التمثيل عام في كل استعارة للإشارة إلى عظم شأنها كأن غيرها ليس فيه تمثيل أصلاً - إذ هي مبنية على تشبيه التمثيل. ووجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد - لهذا كان أدق أنواع التشبيه. وكانت الاستعارة المبنية عليه أبلغ أنواع الاستعارة - ولذلك كانا غرض البلاء.
- (٣) أصل المثل أن امرأة كانت متزوجة بشيخ غني فطلبت طلاقها منه في زمن الصيف لضعفه - فطلقها وتزوجت بشاب فقير. ثم طلبت من مطلقها لبنا وقت الشتاء فقال لها ذلك المثل - وإجراء الاستعارة في هذا المثل الأول أن يقال شبهت هيئة من فرط في أمر زمن إمكان تحصيله، بهيئة المرأة التي طلقت من الشيخ اللابن ورجعت إليه تطلب منه اللبن شتاء بجامع التفريط في كل. واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.
- وإجراء الاستعارة في المثل الثاني أن يقال شبهت هيئة من يتردد في أمر بين أن يفعله وألا يفعله. بهيئة من يتردد في الدخول فتارة يقدم رجله وتارة يؤخرها بجامع الحيرة في كل. واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.
- وإجراء الاستعارة في المثل الثالث شبهت هيئة من يظلم من وجهين بهيئة رجل باع آخر تمرًا رديئًا وناقص الكيل بجامع الظلم من وجهين في كل. واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.
- وإجراء الاستعارة في المثل الرابع شبهت هيئة الرجل المستتر تحت أمر ليحصل على أمر خفي يريد - بهيئة الرجل المسمى قصيرًا حين جدع أنفه ليأخذ بثأر جديمة من الزبائن بجامع الاحتيال في كل. واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.
- وإجراء الاستعارة في المثل الخامس أن يقال شبهت هيئة كريم الأصل عزيز النفس الذي لا يفضل الدنيا على الرزايا عند ما تزل به القدم. بهيئة المرأة التي تفضل جوعها على إجارتها للإرضاع عند فقرها بجامع ترجيح الضرر على النفع في كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به =

ونحو (إنى أراك تُقدِّم رجلاً وتؤخِّرُ أخرى) يُضرب لمن يتردّد في أمر فتارة يقدِّم، وتارة يحجِّم، ونحو (أَحشفا وسوء كَيْلَةٍ) يُضرب لمن يظلم من وجهين - وأصله أن رجلاً اشترى تمرّاً من آخر فإذا هو رديء، وناقص الكيل. فقال المشتري ذلك - ومثل ما تقدّم جميع الأمثال السائرة نثراً ونظماً.

فمن الأول - قولهم لمن يحتال على حصول أمر خفي، وهو متستر تحت أمرٍ ظاهر:
«لأمر ما جدّع قصير أنفه» وقولهم «تجوع الحرّة ولا تأكل بثديها»، وقولهم، لمن يريد أن يعمل عملاً وحده وهو عاجز عنه «اليد لا تصفق وحدها» وقولهم لمجاهد عاد إلى وطنه بعد سفر:

«عاد السيف إلى قرابه وحلّ اللّيث مَنيع غابه» وقولهم لمن يأتي بالقول الفصل (قَطَعَتْ جَهِيْزَةُ قَوْلٍ كُلِّ خَطِيْبٍ).

ومن الثاني قول الشاعر:

[المقارب]
إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السّحر والسّاحرُ
[الوافر]
إذا قالت حذام فصّدّقوها فإن القول ما قالت حذام
[الطويل]
متى يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم^(١)

= للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

وإجراء الاستعارة في المثل السادس شَبِهت هيئة من يريد أن يعمل عملاً وحده وهو عاجز عنه، بهيئة من يريد أن يصفق بيد واحدة. بجامع العجز في كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية.

وإجراء الاستعارة في المثل السابع شَبِهت هيئة الرجل الذي يحصل بوجوده فصل المشكلات. بهيئة نبي الله موسى عليه السلام مع سحرة فرعون بجامع حسم النزاع في كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

وإجراء الاستعارة في المثل الثامن شَبِهت هيئة الرجل الذي لا يقول إلا الحق ولا يخبر إلا بالصدق بهيئة المرأة المسماة «حذام» بجامع الصدق في كل. واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

(١) وإجراء الاستعارة في المثل التاسع: شَبِهت حال المصلح يبدأ الإصلاح ثم يأتي غيره فيبطل عمله، بحال البنيان ينهض به حتى إذا أوشك أن يتم جاء من يهدمه والجامع هو الحالة الحاصلة من عدم الوصول إلى الغاية لوجود ما يفسد على الساعي سعيه، ثم حذف المشبه واستعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه.

وإذا فشت وشاعت الاستعارة التمثيلية^(١) وكثر استعمالها تكون مثلاً لا يُغيّر مطلقاً بحيث يُخاطب به المفرد والمذكر، وفروعهما، بلفظ واحد من غير تغيير ولا تبديل عن مورده الأول وإن لم يُطابق المضروب له.

ولذا كانت هذه الاستعارة محط أنظار البلغاء. لا يعدلون إلى غيرها إلا عند عدم إمكانها فهي أبلغ أنواع المجاز مفرداً أو مركباً، إذ مبناهما تشبيه التمثيل الذي قد عرفت أن وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من أشياء متعددة.

ومن ثم كانت هي والتشبيه المبنية عليه غرض البلغاء الذين يتسامون إليه، ويتفاوتون في إصاباته. حتى كثرا في القرآن الكريم كثرة كانت إحدى الحُجج على إعجازه.

والاستعارة ميدان فسيح من ميادين البلاغة، وهي أبلغ من التشبيه لأنها تضع أمام المخاطب بدلاً من المشبه صورة جديدة تملك عليه مشاعره وتذهله عما ينطوي تحتها من التشبيه، وعلى مقدار ما في تلك الصورة من الروعة وسمو الخيال تكون البلاغة في الاستعارة.

وأبلغ أنواع الاستعارة «المرشحة» لذكر ما يناسب المستعار منه فيها بناء على الدعوى بأن المستعار له هو عين المستعار منه.

ثم يليها «المطلقة» لترك ما يناسب الطرفين فيها بناء على دعوى التساوي بينهما.

ثم تليها «المجردة» لذكر ما يناسب المستعار له فيها بناء على تشبيهه بالمستعار منه.

(١) وتنقسم التمثيلية إلى قسمين تحقيقية وتخيلية - فالتحقيقية هي المنتزعة من عدة أمور متحققة موجودة خارجاً - كما في الأمثلة السابقة - والتخيلية هي المنتزعة من عدة أمور متخيلة مفروضة لا تحقق لها في الخارج ولا في الذهن. وتسمى الأولى «تمثيلية تحقيقية» والثانية «تمثيلية تخيلية» كقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢] الآية على احتمال فيها. فإنه لم يحصل عرض وإباء وإشفاق منها حقيقة، بل هذا تصوير وتمثيل. بأن يفرض تشبيه حال التكليف في ثقل حملها وصعوبة الوفاء بها، بحال أنها عرضت على هذه الأشياء مع كبر أجرامها وقوة متانتها فامتنعت وخفن من حملها بجامع عدم تحقق الحمل في كل، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه. استعارة تمثيلية، ونحو قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] فإن معنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينها فكانتا كما أراد. فالغرض تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما عنها - وتمثيل ذلك بحالة الأمر المطاع لهما وإجابتهما له بالطاعة فرضاً وتخيلاً من غير أن يتحقق شيء من الخطاب والجواب، هذا أحد وجهين في الآيتين كما في الكشف. فارجع إليه.

ولا بد في الاستعارة، وفي التمثيل على سبيل الاستعارة من مراعاة جهات حسن التشبيه، كشمول وجه الشبه للطرفين، وكون التشبيه وافياً بإفادة الغرض، وعدم شم رائحة التشبيه لفظاً. ويجب أن يكون وجه الشبه بين الطرفين جلياً لثلاث تصير الاستعارة والتمثيل تعمية وإغازاً.

أسئلة على الاستعارة يطلب أجوبتها

ما هي الاستعارة؟ - ما أركانها؟ كم قسمًا الاستعارة باعتبار ذكر الطرفين المشبه به والمشبه؟ - ما أصل الاستعارة؟ - ما هي الاستعارة التصريحية كم قسمًا الاستعارة التصريحية؟ - كما قسمًا الاستعارة باعتبار ذكر ملائم المستعار له. والمستعار منه؟ - ما هي الاستعارة المرشحة؟ - ما هي الاستعارة المجردة؟ - ما هي الاستعارة المطلقة؟ - كم قسمًا الاستعارة باعتبار إمكان اجتماع طرفيها في شيء؟ - ما هي الاستعارة الوفاقية؟ - ما هي الاستعارة العنادية؟ - كم قسمًا الاستعارة باعتبار الجامع؟ - ما هي العامة؟ ما هي الخاصة؟ - ما هي التمليلية؟ - ما هي التهكمية؟ - ما مثال الطرفين الحسينيين والجامع حسن؟ - ما مثال الطرفين الحسينيين والجامع عقلي؟ - ما مثال الطرفين العقلين والجامع عقلي؟ - ما مثال المستعار منه الحسي والمستعار له العقلي ما مثال المستعار منه العقلي والمستعار له الحسي؟ ما هي الاستعارة بالكناية عند الجمهور؟ ما هي الاستعارة بالكناية عند السكاكي؟ ما هي الاستعارة بالكناية عند الخطيب؟ - كم قسمًا الاستعارة بالكناية؟ - ما هي المكنية الأصلية؟ - ما هي المكنية التبعية؟ - ما هي الاستعارة التخيلية عند الجمهور؟ لم سميت الاستعارة؟ لم سميت تخيلية؟ ما هي الاستعارة المكنية المرشحة؟ - ما هي الاستعارة المكنية المجردة؟ ما هي الاستعارة المكنية المطلقة؟ - كم قسمًا المكنية باعتبار إمكان اجتماع طرفيها في شيء؟ ما هي العنادية؟ ما هي الوفاقية؟ - ما هو المجاز المركب؟ - ما هي الاستعارة التمثيلية؟ - ما هو المجاز المركب بالاستعارة؟ - ما هي محسنات الاستعارة.

تمرين آخر على كيفية إجراء الاستعارات

[الخفيف]

١ - فسمونا والفجر يضحك في الشـ رق إلينا مبشراً بالصباح

١ - شبه الفجر بإنسان يتبسّم، فتظهر أسنانه مضيئة لامعة - والقدر المشترك بينهما البريق واللمعان، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم حذف المشبه وأشار إليه بشيء من لوازمه وهو الضحك - على طريق الاستعارة بالكناية، وإثبات الضحك استعارة تخيلية.

[المتقارب]

٢ - عَضْنَا الدهرَ بِنَابِهِ لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَابِهِ

[أخذ الكامل]

٣ - لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرَمَتْ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ نَتَّكِلُ

[الكامل]

٤ - دَقَاتِ لَبَّ المرءِ قَائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانِ

[الطويل]

٥ - بَكَتْ لَوْلَا رَطْبًا فَفَاضَتْ مَدَامَعِي عَقِيقًا فَصَارَ الْكَلُّ فِي نَحْرِهَا عَقْدًا

٦ - إِنْ التَّبَاعِدُ لَا يَضُرُّ إِذَا تَقَارَبَتِ الْقُلُوبُ .

٧ - ذَمُّ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ (يَقْطَعُ نَهَارَهُ بِالْمُنَى وَيَتَوَسَّدُ ذِرَاعَ الْهَمِّ إِذَا أَمْسَى) .

[البسيط]

٨ - قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوَحْدَانَا

٢ - شبه حوادث الدهر بالعض بجامع التأثير والإيلام من كل - واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من العض وهو المصدر عض بمعنى ألم على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وذكر الناب ترشيح .

٣ - في كلمة «على» استعارة تصريحية تبعية فقد شبه مطلق ارتباط بين حسيب وحسب بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعل عليه، بجامع التمكن والاستقرار في كل - ثم استعيرت «على» من جزئي من جزئيات الأول - لجزئي من جزئيات الثاني، على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية .

٤ - شبه الدلالة بالقول بجامع إيضاح المراد في كل - واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من القول بمعنى الدلالة قائل بمعنى دال على طريق الاستعارة التصريحية التبعية - والقرينة نسبة القول إلى الدقات .

٥ - شبه المتساقط من فيها باللؤلؤ بجامع البياض والاتساق في كل - واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه - ثم شبه الدمع النازل من عينيه بالعقيق بجامع الحمرة واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه - والقرينة كلمتا بكت، وفاضت وذكر العقد ترشيح .

٦ - شبه التواد بالتقارب بجامع الألفة في كل منهما - ثم استعير التقارب للتواد واشتق منه تقارب بمعنى تواد - والقرينة كلمة القلوب وهي استعارة مطلقة .

٧ - شبه المنى بسكين قاطع بجامع الإجهاز وإنها المقطوع في كل - واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو يقطع على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المطلقة، ويقطع استعارة تخيلية . وكذا شبه الهم بإنسان واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الذراع على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة والقرينة كلمة الذراع . ويتوسد ترشيح .

٨ - شبه الشر بأسد متحفز للوثوب فيكشر عن أنيابه بجامع الاستعداد للهجوم في كل - واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الناجذان على طريق الاستعارة المكنية المرشحة - والقرينة كلمة ناجذيه . وكلمة أبدى ترشيح . ثم شبه مشيهم بالطيران بجامع السرعة في كل منهما - واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من الطيران طار بمعنى أسرع على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة - والقرينة إسناد الطيران إليهم .

- [الرجز]
 ٩ - جاء الشتاء واجثأل القُبُرُ وطلعت شمسٌ عليها مِغْفَرُ
 [الطويل]
 ١٠ - سَابِكِيكَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ إِنْ أبتِ يَدُ الْمَعْرُوفِ بَعْدَكَ شُلَّتْ
 ١١ - ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)
 [الطويل]
 ١٢ - سَقَاهُ الرَّدَى سَيْفٌ إِذَا سَلَ أَوْ مَضَتْ
 ١٣ - ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ النَّقْلَانِ﴾^(٢)
 ١٤ - ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي صَلَاحٍ مُّبِينٍ﴾^(٣)

(١) سورة القلم: الآية ٤.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٣١.

(٣) سورة يوسف: الآية ٣٠.

- ٩ - شبه السحاب الذي يستر الشمس بالمغفر الذي يستر الرأس - بجامع الستر في كل واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية المطلقة - والقرينة كلمة شمس.
- ١٠ - شبه المعروف بإنسان له يد تعطي - والجامع الإعطاء في كل منهما وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو اليد على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة، والقرينة كلمة يد - وهي الاستعارة التخيلية، وشلت ترشيح.
- ١١ - شبه تمكنه عليه الصلاة والسلام من الهدى والأخلاق الشريفة والثبوت عليها بتمكن من علا دابة يُصِرُّفُها كيف شاء - بجامع التمكن والاستقرار في كل - فسرى التشبيه من الكلين للجزئيات التي هي معاني الحروف، فاستعير لفظ «على» الموضوع للاستعلاء الحسي للارتباط والاستعلاء المعنوي، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.
- ١٢ - شبه لحاق الموت به بالسقي بجامع الوصول في كل - واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من السقي سقى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة على ذلك نسبة السقي إلى الردى - وأيضاً قد شبه الموت بإنسان له ثنايا يضحك منها فتلمع وتضيء - والجامع البريق واللمعان واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الثنايا على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة - والثنايا استعارة تخيلية - وأومض ترشيح.
- ١٣ - شبه القصد إلى الشيء والتوجه له، بالفراغ والخلوص من الشواغل - بجامع الاهتمام في كل - واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من الفراغ بمعنى الخلو: نفرغ - على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة حالية.
- ١٤ - في كلمة «في» استعارة تصريحية تبعية فقد شبهت «في» التي تدل على الارتباط «بفي» التي تدل على الظرفية بجامع التمكن في كل فسرى التشبيه من الكلين إلى الجزئيات فاستعيرت في من الثاني للأول على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية - والقرينة على ذلك كلمة الضلال.

[الطول]

١٥ - فَتَى كَلَمًا فَاضَتْ عُيُونُ قَبِيلَةٍ دَمَا ضَجَّكَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ

تطبيق عام على المجاز وأنواع الاستعارة

رأيت أسدًا في الحمام - شبه الرجل الشجاع بالأسد بجامع الشجاعة في كل واستعير الأسد للرجل الشجاع على طريق الاستعارة المصرحة الأصل. رأيت قُساَ اليوم - شبه الرجل الفصيح «بقس بن ساعدة» بجامع الفصاحة في كل، واستعير «قس» للرجل الفصيح على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

نطقت حالك بنجابتك - شبهت الدلالة الواضحة بالنطق بجامع الإيضاح في كل واستعير «النطق» للدلالة الواضحة واشتق من «النطق» بمعنى الدلالة الواضحة «نطقت» بمعنى دلت على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. وسميت تصريحية للتصريح فيها بلفظ المشبه به وتبعية لأن جريانها في الفعل تابع لجريانها في المصدر.

يحيي الأرض بعد موتها - شبه تزيين الأرض بالنبات الأخضر النضر بالإحياء بجامع ما يترتب على كل من الحسن والنفع، واشتق من «الإحياء» بمعنى التزيين «يحيي» بمعنى يزين على سبيل الاستعارة المصرحة التبعية.

[الكامل]

قلبي يحدثني بأنك متلفي روعي فداك عرفت أم لم تعرف فيه استعارة تمثيلية. فإنه شبه هيئته القائمة به من الذوق الوجداني، بهيئة من جرى على لسانه ذلك من عشاق الاشباح بجامع الهيئة الحاصلة من التأثر والوجدان في كل واستعار الكلام الدال على المشبه به للمشبه - على سبيل الاستعارة التمثيلية.

[الكامل]

تصرّمت منا أويقات الصبا ولم نجد من المشيب مهربا فيه مجاز مرسل مركب، علاقته السببية. فإن هذا الكلام سبب في التحسر أو الملزومية. لأن الإخبار بهذا مستلزم للتحسر.

١٥ - شبه العيون بالنهر بجامع الصب الكثير في كل منهما - واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو فاض على سبيل الاستعارة الأصلية المكنية وفاض قرينتها وهي الاستعارة التخيلية - وكذا شبه السرور والأريحية بالضحك بجامع ما تجده النفس عند كل من المسرة - واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من الضحك بمعنى السرور ضحك بمعنى سر - على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

[الكامل]

ولئن نطقت بشكر برك مفصّحاً فلسان حالي بالشكايّة أنطق فيه استعارة مكنية أصلية مرشحة وفاقية في كلمة حال. شبهت الحال بإنسان متكلم بجامع الدلالة في كل واستعير لفظ المشبه به للمشبه. وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (اللسان) على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية. وإثبات (اللسان) للحال تخييل، والنطق ترشيح. وفيه استعارة تصريحية تبعية في النطق. شبهت الدلالة بالنطق. واستعير لها اسمه. واشتق منه (أنطق) بمعنى أدل على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. واللسان ترشيح - وهي وفاقية لإمكان اجتماع طرفيها اللذين هما النطق والدلالة في شيء.

[الرجز]

فلإن تعافوا العدل والإيماناً فلإن في إيماننا نيراناً فيه استعارة مكنية أصلية في (العدل) و(الإيمان) فإنه شبه (العدل) و(الإيمان) بشيء كربه يعاف، بجامع كراهة النفس لكل. واستعير لفظ المشبه به للمشبه وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (تعافوا) على طريق الاستعارة المكنية الأصلية وإثبات (تعافوا) للعدل و(الإيمان) تخييل - وفي (نيرانا) استعارة تصريحية أصلية شبهت السيوف القاطعة بالنيران بجامع الضرر في كل، واستعير لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية. وتسلب قوله «تعافوا» على كل من العدل والإيمان قرينة على أن المراد بالنيران السيوف.

أو من كان ميتاً فأحييناه - أي ضالاً فهديناه، فيها استعارتان تصريحيتان تبعيتان.

الأولى عنادية. والثانية وفاقية.

ففي الأولى - شبه الموت بالضلال بجامع عدم النفع في كل. واستعير لفظ المشبه به للمشبه واشتق منه (ميتاً) بمعنى ضالاً على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية العنادية. لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء.

وفي الثاني - شبه الهدى بالإحياء بجامع النفع في كل واستعير الإحياء للهدى. واشتق منه (أحيا) بمعنى هدى. على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية الوفاقية لأنه يمكن اجتماع الهدى والحياة في شيء.

ينقصون عهد الله - شبه إبطال العهد بفك طاقات الحبل بجامع عدم النفع في كل. واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو النقض للمشبه وهو الإبطال. واشتق منه ينقصون بمعنى يبطلون على طريق الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة لأنها لم تقترن بشيء.

[الطويل]

لدي أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلّم
شبه الرجل الشجاع بالأسد. واستعار الأسد للرجل الشجاع على طريق الاستعارة
التصريحية الأصلية المطلقة. لاقترانها بما يلائم المشبه. وبما يلائم المشبه به فإنه
شاكي السلاح يناسب المشبه - وما بعده يناسب المشبه به والقرينة حالية (أي إنها تفهم
من حالة المتكلم).

[مجزوء الرمل]

فوق خدّ الورد دمّع من عيون السحب يذرف
برداء الشمس أضحى بعد ما أن سال يجفف
شبه الورد بإنسان جميل بجامع الحسن في كل. وحذف المشبه به (إنسان) ورمز
إليه بشيء من لوازمه (خد) على طريق الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة والقرينة هي
إضافة خد للورد - وشبه السحاب بإنسان بجامع النفع في كل، استعارة مكنية أصلية
مرشحة - والقرينة إثبات العيون للسحب. وشبهت الشمس بامرأة حسناء بجامع الجمال
في كل. استعارة مكنية أصلية مجردة. والقرينة هي إثبات رداء للشمس ويقال للقرينة
في الجميع (استعارة تخيلية).

[المديد]

أثمرت أغصان راحته لجناة الحسن عُنابا
شبهت الراحة بشجرة، بجامع الانتفاع من كل. استعارة مكنية أصلية مرشحة
والقرينة هي إثبات جناة للحسن. وهي (استعارة تخيلية).

[الوافر]

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا
(السماء) بمعنى المطر. مجاز مرسل. علاقته السببية. أو المحلية - والقرينة هي
(نزل).

بلاغة الاستعارة بجميع أنواعها

سبق لك أن بلاغة التشبيه آتية من ناحيتين، الأولى طريقة تأليف ألفاظه والثانية
ابتكار مشبه به بعيد عن الأذهان. لا يجوز إلا في نفس أديب وهب الله له استعداداً
سليماً في تعرف وجوه الشّبهِ الدقيقة بين الأشياء، وأودعه قُدْرَةً على ربط المعاني
وتوليد بعضها من بعضهم إلى مدَى بعيد لا يكاد ينتهي.

وسرُّ بلاغة الاستعارة لا يتعدى هاتين الناحيتين، فبلاغتها من ناحية اللفظ أن
تركيبها يدل على تناسي التشبيه، ويحملك عمداً على تحيّل صورة جديدة تُنسبك

رَوَعْتُهَا مَا تَضَمَّنَهُ الْكَلَامُ مِنْ تَشْبِيهِ خَفِيِّ مُسْتَوْرٍ .

انظر إلى قول البُحْثَرِيِّ فِي الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ :

[البسيط]

يَسْمُو بِكَفِّ عَلَى الْعَافِينَ حَانِيَةً تَهْمِي وَطَرْفٍ إِلَى الْعَلِيَاءِ طَمَاحٍ
أَلَسْتُ تَرَى كَفَّهُ وَقَدْ تَمَثَّلَتْ فِي صُورَةِ سَحَابَةٍ هَتَّانَةً تَصَبُّ وَبَلَّهَا عَلَى الْعَافِينَ
وَالسَّائِلِينَ ، وَأَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ قَدْ تَمَلَّكَتْ عَلَيْكَ مِشَاعِرُكَ فَأَذْهَقَتْكَ عَمَّا اخْتَبَأَ فِي الْكَلَامِ
مِنْ تَشْبِيهِ؟

وَإِذَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ فِي رِثَاءِ الْمَتَوَكَّلِ وَقَدْ قُتِلَ غِيلَةً :

[الطويل]

صَرِيحٌ تَقَاضَاهُ اللَّيَالِي حَشَاشَةً يَجُودُ بِهَا وَالْمَوْتُ حُمْرُ أَظْفَرِهِ^(١)
فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُبْعِدَ عَنْ خِيَالِكَ هَذِهِ الصُّورَةَ الْمَخِيفَةَ لِلْمَوْتِ ، وَهِيَ صُورَةُ حَيَوَانَ
مُفْتَرَسٍ ضُرِّجَتْ أَظْفَارُهُ بِدَمَاءٍ قَتْلَاهُ؟

لِهَذَا كَانَتْ الِاسْتِعَارَةُ أَبْلَغَ مِنَ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ ، لِأَنَّهُ وَإِنْ بُنِيَ عَلَى ادِّعَاءِ أَنَّ الْمَشَبَّهَ
وَالْمَشَبَّهَ بِهِ سَوَاءٌ لَا يَزَالُ فِيهِ التَّشْبِيهِ مَتَوًى مَلْحُوظًا .

بِخِلَافِ الِاسْتِعَارَةِ فَالتَّشْبِيهِ فِيهَا مَنْسِيٌّ مَجْهُودٌ ، وَمِنْ ذَلِكَ يَظْهَرُ لَكَ أَنَّ الِاسْتِعَارَةَ
الْمُرْشِحَةَ أَبْلَغُ مِنَ الْمَطْلُوقَةِ ، وَأَنَّ الْمَطْلُوقَةَ أَبْلَغُ مِنَ الْمَجْرَدَةِ .

أَمَّا بِلَاغَةُ الِاسْتِعَارَةِ مِنْ حَيْثُ الْإِبْتِكَارُ ، وَرُوعَةُ الْخِيَالِ ، وَمَا تَحْدِثُهُ مِنْ أَثَرٍ فِي
نَفْسٍ سَامِعِيهَا ، فَمِجَالٌ فَسِيحٌ لِلِإِبْدَاعِ ، وَمِيدَانٌ لَتَسَابُقِ الْمَجِيدِينَ مِنْ فِرْسَانِ الْكَلَامِ
أَنْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ شَأْنُهُ فِي وَصْفِ النَّارِ :

﴿كَكَادُ تَمَيُّزٍ مِنَ الْقَيْظِ كُلَّمَا أَلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾^(٢) .

تَرْتَسِمُ أَمَامَكَ النَّارُ فِي صُورَةِ مَخْلُوقٍ ضَخْمٍ ، بَقَاشٍ مَكْفَهَرٍ الْوَجْهَ ، عَابِسٍ يَغْلِي
صَدْرُهُ حَقْدًا وَعَيْظًا - عَنِ الْبَلَاغَةِ الْوَاضِحَةِ .

(١) الصريح المطروح على الأرض، وتقاضاه أصله تقاضاه حذفت إحدى التاءين، وهو من قولهم: تقاضى الدائن دينه إذا قبضة، والحشاشة بقية الروح في المريض والجريح - يصفه بأنه ملقى على الأرض يلفظ النفس الأخير من حياته.

(٢) سورة الملك: الآية ٨.

الباب الثالث

في الكناية

الكناية^(١) لغة ما يتكلم به الإنسان ويُريد به غيره وهي مصدر كنيْتُ، أو كنوتُ بكذا

(١) توضيح المقام أنه إذا أطلق اللفظ وكان المراد منه غير معناه - فلا يخلو إما أن يكون معناه الأصلي مقصوداً أيضاً ليكون وسيلة إلى المراد. وإما ألا يكون مقصوداً - فالأول - الكناية - والثاني - المجاز.

فالكناية عند علماء البيان - لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى معه «كلفظ طويل النجاد» المراد به طول القامة فإنه يجوز أن يراد منه طول النجاد أي علاقة السيف أيضاً، فهي تخالف المجاز من جهة إمكان إرادة المعنى الحقيقي مع إرادة لازمه، بخلاف المجاز فإنه لا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي لوجود القرينة المانعة من إرادته، ومثل ذلك قولهم «كثير الرماد» يعنون به أنه كثير القرى والكرم، وقول الحضرمي: [الطويل]

قد كان تعجب بعضهم براعتي حتى رأين تنحنحي وسعالي
كنى عن كبر السن بتوابعه وهي التنحنح والسعال - وقولهم: المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه - وقوله: [الكامل]

إن المروءة والسماحة والندي في قبة ضربت على ابن الحشرج
وقوله: [الوافر]

وما بك في من عيب فلاني جبان الكلب مهزول الفصيل
فإن «جبان الكلب» كناية - وكذا «مهزول الفصيل» والمراد منهما ثبوت الكرم وكل واحدة على حدتها تؤدي هذا المعنى. وقد جاء عن العرب كنايةات كثيرة كقوله: [السريع]

بيض المطابخ لا تشكو إماؤهموا طبخ القدور ولا غسل المناديل
ويروى أن خلافاً وقع بين بعض الخلفاء ونديم له في مسألة - فاتفقا على تحكيم بعض أهل العلم. فأحضر فوجد الخليفة مخطئاً. فقال: القائلون بقول أمير المؤمنين أكثر (يريد الجهال) وإذا كان الرجل أحق قيل - نعتة لا ينصرف، ونظر البديع الهمذاني إلى رجل طويل بارد - فقال: قد أقبل ليل الشتاء. ودخل رجل على مريض يعود وقد اقشعر من البرد - فقال ما تجد فديتك - قال أجذك (يعني البرد) وإذا كان الرجل ملولاً قيل: هو من بقية قوم موسى، وإذا كان ملحدًا قيل قد عبر (يريدون جسر الإيمان) وإن كان يسمى الأدب في المؤاكلة قيل: تسافر يده على الخوان ويرعى أرض الجيران. ويقال عمن يكثر الأسفار: فلان لا يضع العصا عن عاتقه - وجاء في القرآن «أَيُّكُمْ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا» [الحجرات: ١٢] فإنه كنى عن الغيبة =

عن كذا - إذا تركت التصريح به واصطلاحًا - لفظ أطلق وأريد به لازم مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي نحو «زيد طويل النجاد» تُريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة إلى الإشارة إليها والكناية عنها لأنه يلزم من طول جمالة السيف طول صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة، فإذا المراد طول قامته وإن لم يكن له نجاد، ومع ذلك يصح أن يُراد المعنى الحقيقي - ومن هنا يُعلم أن الفرق بين الكناية والمجاز صحة إرادة المعنى الأصلي في الكناية، دون

= بأكل الإنسان لحم الإنسان. وهذا شديد المناسبة لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم - وتمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابه ومن أمثال العرب قولهم لبستُ لفلان جلد النمر، وجلد الأرقم - كناية عن العداوة وكذلك قولهم: قلبت له ظهر المجن كناية عن تغيير المودة. ويقول القوم - فلان بريء الساحة، إذا برّؤه من تهمة - ورحب الذراع، إذا كان كثير المعروف - وطويل الباع في الأمر، إذا كان مقتدرًا فيه - وقوي الظهر، إذا كثر ناصروه. ومن ذلك أن المنصور كان في بستان له أيام محاربته إبراهيم بن عبد الله بن الحسن فنظر إلى شجرة خلاف فقال للربيع، ما هذه الشجرة؟ فقال طاعة يا أمير المؤمنين. ففعل المنصور به، وعجب من ذكائه. ومثل ذلك: أن جلًا مر في صحن دار الرشيد ومعه حزمة خيزران، فقال الرشيد للفضل بن الربيع ما ذاك؟ فقال: الرماح يا أمير المؤمنين، وكره أن يقول «الخيزران» لموافقة اسم والد الرشيد ومن كلامهم «فلان طويل الذيل» يريدون أنه غني حسن الحال. وعليه قول الحريري: [البسيط]

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن فكيف حال غريب ما له قوت
وكذلك قولهم: فلان طاهر الثوب - أي منزّه عن السيئات. وفلان دلس الثوب أي متلوث بها
قال امرؤ القيس: [الطويل]

ثياب بني عوف طهارة نقية وأوجههم عند المشاهد غُرات
ويقولون: فلان غمر الرداء - إذا كان كثير المعروف عظيم العطايا. قال كثير: [الكامل]

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكًا غلقت لضحكته رقاب المال

ومن الكنايات اللطيفة ما ذكرها الأدباء في الشيب والكبر فيقولون: عرضت لفلان فترة، وعرض له ما يمحو ذنوبه. وأقمر ليله، ونور غصن شبابه. وفضض الزمان أبنوسه - وجاءه النذير. وقرع ناجذ الحلم. وارتاض بلجام الدهر. وأدرك زمان الحنكة. ورفض غرة الصبا. ولبى دواعي الحجى. ومن كناياتهم عن الموت: استأثر الله به. وأسعده بجواره. ونقله إلى دار رضوانه ومحل غفرانه، واختار له النقلة من دار البوار إلى دار الأبرار. ومن الكنايات أيضًا أن يقام وصف الشيء مقام اسمه كما ورد في القرآن ﴿وَحَمَلَتْهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأُكُوفِ وَذُكِّرَ﴾ [القمر: ١٣] يعني السفينة فوضع صفتها موضع تسميتها كما ورد ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ الصَّفِيَّتُ الْيَكْبُذُ﴾ [ص: ٣١] يعني الخيل. وقال بعض المتقدمين: [السريع]

سألت قتيبة عن أبيها صحبة في الروح هل ركب الأغر الأشقر

يعني هل قتل، لأن الأغر الأشقر وصف الدم فأقامه مقام اسمه.

المجاز فإنه ينافي ذلك.

نعم قد تمتنع إرادة المعنى الأصلي في الكناية لخصوص الموضوع كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَكُ مَطْوًى دُونَ يَمِينِهِ﴾^(١) وكقوله تعالى: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾^(٢) كناية عن تمام القدرة وقوة التمكن والاستيلاء.

وتنقسم الكناية باعتبار المطلوب بها إلى ثلاثة أقسام - فإن المطلوب بها قد يكون صفة من الصفات، وقد يكون موصوفاً، وقد يكون نسبة الأول الكناية التي يُطلب بها صفة من الصفات نوعان:

١ - كناية قريبة - وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة المعنى المُنتقل عنه، والمعنى المُنتقل إليه - نحو:

[المتقارب]

رفيعُ العِماد طويل النُجا دِ ساد عشيرته أَمردًا

٢ - وكناية بعيدة - وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة أو بوسائط نحو «فلان كثير الرّماد» كناية عن المضيف، والوسائط هي الانتقال من كثرة الرماد إلى كثرة الإحراق، ومنها إلى كثرة الطبخ والخبز. ومنها إلى كثرة الضيوف. ومنها إلى المطلوب وهو المضيف الكريم.

الثاني الكناية التي يراد نسبة أمر لآخر إثباتاً أو نفياً، فيكون المكني عنه نسبةً - نحو:

[الكامل]

إن السماحةَ والمُروءةَ والتّدى في قُبّةٍ ضربت على ابن الحشرج
فإنَّ جعل هذه الأشياء الثلاثة في مكانه المختص به يستلزم إثباتها له واعلم أن الكناية المطلوب بها نسبة.

إمّا أن يكون ذو النسبة مذكوراً فيها - كقول الشاعر:

[الرجز]

اليمَن يَتَّبِع ظِلَّهُ والمجد يمشي في ركابه
وإمّا أن يكون غير مذكور كقولك «خير الناس من ينفع الناس» كناية عن نفي الخيرية عمّن لا ينفعهم.

(١) سورة الزمر: الآية ٦٧.

(٢) سورة طه: الآية ٥.

الثالث - الكناية التي لا يُراد بها صفة ولا نسبة، بل يكون المكني عنه موصوفًا.

إمّا معنى واحدًا «كموطن الأسرار» كناية عن القلب، كما في قول الشاعر:

[الطويل]

فلّما شربناها ودبّ دبيبها إلى موطن الأسرار قلت لها قفي
وإمّا مجموع معان كقولك «جاءني حيّ مُستوي القامة عريض الأظفار» (كناية عن
الإنسان) لاختصاص مجموع هذه الأوصاف الثلاثة به، ونحو:

[الكامل]

الضاربين بكلّ أبيضٍ مُخْذَمٍ والطّاعنين مجامع الأضغان^(١)
ويشترط في هذه الكناية أن تكون الصّفة أو الصفات مختصّة بالموصوف، ولا
تتعدّاه ليحصل الانتقال منها إليه.

وتنقسم أيضًا باعتبار الوسائط (اللّوازم) والسّياق إلى أربعة أقسام تعريض،
وتلويح، ورمز، وإيماء.

١ - فالتعريض لغة - خلاف التصريح واصطلاحًا - هو أن يُطلق الكلام ويُشار به إلى
معنى آخر يفهم من السّياق نحو قولك للمؤذي (المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ
وَيَدِهِ) تعريضًا بنفي صفة الإسلام عن المؤذي، وكقوله:

[الطويل]

إذا الجود لم يُرزَق خلاصًا من الأذى فلا الحمد مكسوبيًا ولا المال باقيًا
٢ - والتلويح لغة - أن تُشير إلى غيرك من بُعد، واصطلاحًا - هو الذي كثرث وسائله
بلا تعريض، نحو:

[الوافر]

وما يكُ فيّ من عيبٍ فيّاني جبانُ الكلب مهزولُ الفصيل
كنى عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب مهزول الفصيل فإن الفكر ينتقل إلى
جملة وسائله.

٣ - والرمز لغة - أن تُشير إلى قريب منك خفية بنحو شَفّة أو حاجب واصطلاحًا هو الذي
قلّت وسائله مع خفاء في اللزوم بلا تعريض نحو فلان عريض القفا، أو عريض الوسادة -
كناية عن بلادته وبلاهته ونحو: هو مكتنز اللحم، كناية عن شجاعته، ومُتناسب الأعضاء،

(١) الضاربين منصوب بأمدح المحذوف، والأبيض السيف، والمخذم بكسر الميم وسكون الخاء
وفتح الذال المعجمتين القاطع، والأضغان جمع ضغن وهو ما انطوى عليه الصدر من الحقد - كنى
الشاعر بجامع الأضغان عن القلوب، وهي لا صفة. ولا نسبة بل هي موصوف.

كناية عن ذكائه، ونحو: غليظ الكبد، كناية عن القسوة - وهلم جرا.
والإيماء أو الإشارة هو الذي قَلَّتْ وسائله مع وضوح اللزوم بلا تعريض، كقول
الشاعر:

[الكامل]

أَوَمَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ
كناية عن كونهم أمجادًا أجوادًا بغاية الوضوح. ومن لطيف ذلك قول بعضهم:

[الطويل]

سَأَلْتُ النَّدَى وَالْجُودَ مَا لِي أَرَاكَمَا تَبَدَّلْتُمَا ذَلًّا بَعَزَ مُؤَبَّدٍ
وما بال رُكنِ المجدِ أَمْسَى مُهْدَمًا فَقَالَ أَصْبَنَا بَابَنَ يَحْيَى مُحَمَّدٍ
فَقُلْتُ فَهَلَّا مُتُّمَا عِنْدَ مَوْتِهِ فَقَدْ كُنْتُمَا عَبْدَيْهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
فَقَالَ أَقْمَنَا كَيْ نُعْزَى بِفَقْدِهِ مَسَافَةَ يَوْمٍ ثُمَّ نَتَلَوْهُ فِي عَدٍ
والكناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقها، وهي أبلغ من الحقيقة والتصريح لأن
الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللازم فهو كاللَّعْوَى بَيِّنَةٌ، فكأنك تقول في «زيد
كثير الرماد» زيد كريم لأنه كثير الرماد وكثرته تستلزم كذا الخ - كيف لا وأنها تمكِّن
الإنسان من التعبير عن أمور كثيرة يتحاشى الإفصاح بذكرها، إمَّا احترامًا للمخاطب،
أو للإبهام على السامعين، أو للنيل من خصمه دون أن يدع له سبيلًا عليه، أو لتنزيه
الأذن عمدًا تنبو عن سماعه، ونحو ذلك من الأغراض واللَّطَائِفِ البلاغية.

[الخفيف]

إِنَّ فِي ثُوبِكَ الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ لِضِيَاءٍ يُزِرِّي بِكُلِّ ضِيَاءٍ

تمرين (٢)

يَبَيِّنُ نَوْعَ الْكِنَايَاتِ الْآتِيَةِ، وَبَيْنَ مِنْهَا مَا يَصَحُّ فِيهِ إِرَادَةُ الْمَعْنَى الْمَفْهُومِ مِنْ صَرِيحِ اللَّفْظِ
وما لا يصح:

١ - وصف أعرابي رجلًا بسوء العشرة فقال كان إذا رَأَيْتُ قَرَبَ مَنْ حَاجِبٍ حَاجِبًا.

تمرين

يَبَيِّنُ أَنْوَاعَ الْكِنَايَاتِ الْآتِيَةِ وَعَيْنَ لَازِمِ مَعْنَى كُلِّ مِنْهَا:

١ - قال البحري يصف ذنبًا قَتَلَهُ: [الطويل]

فَأَتَّبَعْتُهَا أُخْرَى فَاضْلَلْتُ نَضْلَهَا بِحَيْثُ أَنْ يَكُونَ اللَّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحَقْدُ^(١)

(١) ضمير أتبعها يعود على الطعنة، وأضللت أخفيت، والنصل حديدة السيف واللَّبُّ العقل، والرُّعْبُ الفرع =

٢ - وقال أبو نواس في المديح:

[الطويل]

فَمَا جَاَزَهُ جُودٌ وَلَا حَلَ دُونَهُ وَلَكِنْ يَسِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَسِيرُ

٣ - وَتَكْنِي الْعَرَبُ عَمَّنْ يَجَاهِرُ غَيْرَهُ بِالْعَدَاوَةِ بِقَوْلِهِمْ:

لَيْسَ لَهُ جِلْدُ النَّمْرِ، وَجِلْدُ الْأَرْقَمِ^(١)، وَقَلَبٌ لَهُ ظَهْرُ الْمِجَنِّ^(٢).

٤ - فلان عريض الوساد^(٣) أغمم القفا^(٤).

٥ - وقال الشاعر:

[الطويل]

تَجُولُ خَلَاحِيلُ النِّسَاءِ وَلَا أَرَى لِرَمْلَةٍ خَلْخَالًا يَجُولُ وَلَا قُلْبًا^(٥)

٦ - وتقول العرب في المديح: الكرم في أثناء خلته؛ ويقولون: فلان نفخ شد

أي تكبر، وورم أنفه - إذا غضب.

٧ - قالت أعرابية لبعض الولاة: أشكو إليك قِلَّةَ الْجِرْدَانِ^(٦).

(١) الأرقم الحية فيها سواد وبياض.

(٢) المِجَنُّ الترس، وقلب له ظهر المجن مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد.

(٣) عريض الوساد أي طويل العنق إلى درجة الإفراط، وهذا مما يُستدل به على البلاهة وقلة العقل.

(٤) القَمَمُ غزارة الشعر حتى تضيق منه الجبهة أو القفا - وكان يزعم العرب أن ذلك دليل على الغباوة.

(٥) رَمْلَةٌ اسم امرأة، والقلب بالضم السوار.

(٦) الجردان جمع جُرْد وهو ضرب من الفأر.

٢ - وقال آخر في رثاء من مات بعلة في صدره: [الطويل]

وَدَبَّتْ لَهُ فِي مَوْطِنِ الْحِلْمِ عِلَّةٌ لَهَا كَالصَّلَالِ الرَّقْشِ شَرُّ دَبِيبٍ^(١)

٣ - ووصف أعرابي امرأة فقال: تُزْخِي ذِيلَهَا عَلَى عَرْقُوبَيْنِ نَعَامَةٍ

= والخوف - واعلم أن الكناية إما حسنة وهي ما جمعت بين الفائدة ولطف الإشارة كما في الأمثلة السابقة - وإما قبيحة وهي ما خلت عن الفائدة المرادة وهي معيبة لدى أرباب البيان كقول المتنبي: [الكامل]

إِنِّي عَلَى شَخْفِي بِمَا فِي خُمْرِهَا لَأَعْفَ عَمَّا فِي سَرَاوِيلَاتِهَا

كناية عن النزاهة والعفة. إلا أنها قبيحة لسوء تأليفها وقبح تركيبها.

(١) الصلال جمع صِل بالكسر ضرب من الحيات صغير أسود لانجاة من لدغته، والرقش جمع رقشاء وهي التي

فيها سواد في بياض، والحية الرقشاء من أشد الحيات إيذاء.

٨ - وقال الشاعر:

[البسيط]
بَيْضُ الْمَطَايِخِ لَا تَشْكُو إِمَاؤَهُمْ طَبَخَ الْقُدُورِ وَلَا غَسَلَ الْمَنَادِيلِ
٩ - وقال آخر:

[المنسرح]
مَظْبَحُ دَاوُدَ فِي نَظَائِفِهِ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِعَرْشِ بَلْقَيْسِ^(١)
ثِيَابُ طَبَاخِهِ إِذَا اتَّسَحَّتْ أَنْقَى بَيَاضًا مِنَ الْقَرَاطِيسِ
١٠ - وقال آخر:

[مجزوء الرجز]
فَتَى مُخَصَّصُ الْمَأْكُورِ لِوَالْمَشْرُوبِ وَالْعِظْرِ
نَقْيُ الْكَاسِ وَالْقَضْعَةِ وَالْمِنْدِيلِ وَالْقِذْرِ
١١ - وقال آخر:

[الرجز]
الْيُمْنُ يَتَّبِعُ ظِلَّهُ وَالْمَجْدُ يَمْشِي فِي رِكَابِهِ
١٢ - وقال آخر:

[المنسرح]
أَصْبَحَ فِي قَيْدِكَ السَّـ مَاحَةَ وَالْمَجْدُ وَفَضْلُ الصَّلَاحِ وَالْحَسَبِ
[الطويل]
فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَذْمِي كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطَّرُ الدِّمَاءُ^(٢)
المجدُ بَيْنَ ثَوْبَيْكَ . والكرمُ مِلءُ بُرْدَيْكَ .

بلاغة الكناية

الكِنَايَةُ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الْبَلَاغَةِ، وَغَايَةُ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا إِلَّا مَنْ لَطَفَ طَبْعُهُ وَصَفَتْ قَرِيحَتُهُ، وَالسَّرُّ فِي بَلَاغَتِهَا أَنَّهَا فِي صُورٍ كَثِيرَةٍ تُعْطِيكَ الْحَقِيقَةَ مُصْحُوْبَةً بِدَلِيلِهَا، وَالْقَضِيَّةُ وَفِي طَيْهَا بُرْهَانُهَا، كَقَوْلِ الْبَحْثَرِيِّ فِي الْمَدِيحِ:

(١) بلقيس بكسر الباء ملكة سبأ، وسبأ عاصمة قديمة لبلاد اليمن.

(٢) الأعقاب جمع عقب وهو مؤخر القدم، والكُلُوم الجراح، يقول: نحن لا نؤلي فنجرح في ظهورنا فتقطر دماء كلومنا على أعقابنا، ولكننا نستقبل السيوف بوجوهنا فإن جرحنا قطرت الدماء على أقدامنا.

[الطويل]

يَغْضُونَ فَضْلَ اللَّحْظِ مِنْ حَيْثُ مَا بَدَا لَهُمْ عَنْ مَهِيْبٍ فِي الصُّدُورِ مُحَبَّبٍ
فإنه كُنِيَ عن إكبار الناس للممدوح وَهَيَّبَتْهُمْ إِيَّاهُ بَعْضُ الْأَبْصَارِ الَّذِي هُوَ فِي
الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال، وتظهر هذه الخاصة جليلة في الكنايات عن الصفة
والنسبة.

ومن أسباب بلاغة الكنايات أَنَّهَا تَضَعُ لَكَ الْمَعَانِي فِي صُورَةِ الْمُحَسَّنَاتِ، وَلَا شَكَّ
أَنَّ هَذِهِ خَاصَّةُ الْفُنُونِ، فَإِنَّ الْمَصُورَ إِذَا رَسَمَ لَكَ صُورَةَ لِلْأَمَلِ أَوْ لِلْيَاسِ بِهَرَكٍ وَجَعَلَكَ
ترى ما كنت تَعْجِزُ عَنْ التَّعْبِيرِ عَنْهُ وَاضْطَحًا مَلْمُوسًا.
فمثل «كثير الرماد» في الكناية عن الكرم «ورَسُولُ الشَّرِّ» في الكناية عن المِرَاحِ -
وقول البحترى:

[الكامل]

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ
في الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة، كُلُّ أَوْلَئِكَ يُبْرِزُ لَكَ الْمَعَانِي فِي صُورَةِ
تشاهدها وترتاح نفسك إليها.
ومن خواص الكناية أَنَّهَا تَمْكِّنُكَ مِنْ أَنْ تُشْفِي غُلَّتَكَ مِنْ خَصْمِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَجْعَلَ
لَهُ إِلَيْكَ سَبِيلًا، وَدُونَ أَنْ تَخْدِشَ وَجْهَ الْأَدَبِ، وَهَذَا النُّوعُ يُسَمَّى بِالْتَّعْرِِيضِ، وَمِثَالُهُ
قول المتنبي في قصيدة يمدح بها كافورًا وَيَعْرُضُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ:

[الطويل]

رَحَلْتُ فَكُمُ بَاكِ بِأَجْفَانِ شَادِنٍ عَلَيَّ وَكُمُ بَاكِ بِأَجْفَانِ ضَيْغَمٍ^(١)
وَمَا رَبُّهُ الْقُرْطُ الْمَلِيحُ مَكَانُهُ بِأَجْزَعٍ مِنْ رَبِّ الْحُسَامِ الْمُصَمِّمِ^(٢)
فَلَوْ كَانَ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّنٍ عَذْرَتُ وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمَّمٍ
رَمَى وَاتَّقَى رَمِيٍّ وَمِنْ دُونِ مَا اتَّقَى هَوَى كَاسِرٍ كَفِّي وَقُوسِي وَأَسْهُمِي
إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ طُنُونُهُ وَصَدَّقَ مَا يَغْتَادُهُ مِنْ تَوَهُمٍ
فإنه كُنِيَ عن سيف الدولة أولًا بالحبيب المُعَمَّمِ، ثُمَّ وصفه بالغدر الذي يَدَّعِي أَنَّهُ
من شِيْمَةِ النِّسَاءِ، ثُمَّ لَامَهُ عَلَى مِبَادَهْتِهِ بِالْعُدْوَانِ، ثُمَّ رَمَاهُ بِالْجَبَنِ لِأَنَّهُ يَزْمِي وَيَتَّقِي

(١) الشادن ولد الغزال، والضَيْغَم الرجل الشجاع. يقول: كم من نساء ورجال بكوا على فراقِي
وجزعوا لارتحالي.

(٢) الْقُرْطُ ما يعلق في شحمة الأذن، والحسام السيف القاطع، والمصمم الذي يصيب المفاصل
ويقطعها، يقول لم تكن المرأة الحسناء بأجزع على فراقِي من الرجل الشجاع.

الرمي بالاستتار خلف غيره، على أنَّ المتنبي لا يجازيه على الشر بمثله، لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديماً يكسر كفه وقوسه وأسهمه إذا حاول النضال، ثم وصفه بأنه سيء الظن بأصدقائه، لأنه سيء الفعل كثير الأوهام والظنون، حتى ليظن أن الناس جميعاً مثله في سوء الفعل وضعف الوفاء. فانظر كيف نال المتنبي من سيف الدولة هذا التَّيْل كله من غير أن يذكر من اسمه حرفاً.

هذا، ومن أوضح ميزات الكناية التعبير عن القبيح بما تسيغ الآذان سماعه وأمثلة ذلك كثيرة جداً في القرآن الكريم وكلام العرب، فقد كانوا لا يُعبرون عما لا يحسن ذكره إلا بالكناية، وكانوا لشدة نخوتهم يَكْنُونُ عن المرأة بالبيضة والشاة - ومن بدائع الكنايات قول بعض العرب:

[الوافر]
أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ^(١) عَلَيْنِكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ
فإنه كنى بالنخلة عن المرأة التي يحبها - عن البلاغة الواضحة.

أثر علم البيان في تأدية المعاني

ظهرت لك من دراسة علم البيان معنى واحداً استطاع أداؤه بأساليب عدّة وطرائق مختلفة، وأنه قد يُوضع في صورة رائعة من صور التشبيه - أو الاستعارة أو المجاز المرسل، أو العقلي، أو الكناية.

فقد يصف الشاعر إنساناً بالكرم فيقول:

[التقارب]
يُرِيدُ الْمُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ وَلَا يَضْنَعُونَ كَمَا يَضْنَعُ
وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغِنَى وَلَكِنْ مَغْرُوقُهُ أَوْسَعُ
وهذا كلام بليغ جداً مع أنه لم يُقصد فيه إلى تشبيه أو مجاز، وقد وصف الشاعر فيه ممدوحه بالكرم، وأن الملوك يريدون أن يبلغوا منزلته، ولكنهم لا يشترون الحمد بالمال كما يفعل، مع أنه ليس بأغنى منهم، ولا بأكثر مالاً.

وقد يعتمد الشاعر عند الوصف بالكريم إلى أسلوب آخر فيقول:

[الكامل]
كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا جُودًا وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَابًا
فيشبه الممدوح بالبحر، ويدفعُ بخيالك إلى أن يضاهي بين الممدوح والبحر الذي

(١) ذات عرق موضع بالبادية وهو مكان إحرام أهل العراق.

يقذف الدرر للقريب، ويرسل السحاب للبعيد.

أو يقول:

[الطويل]

هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النُّوَاحِي أَتَيْتَهُ فَلَجَّتُهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ
فيدعي أنه البحر نفسه، وينكر التشبيه نكراناً يدل على المبالغة وادعاء المماثلة
الكاملة أو يقول:

[البسيط]

عَلَا فَمَا يَسْتَقِرُّ الْمَالُ فِي يَدِهِ وَكَيْفَ تُمَسِّكُ مَاءَ قُنَّةِ الْجَبَلِ؟
فيرسل إليك التشبيه من طريق خفي ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى في البلاغة
وليجعل لك من التشبيه الضمني دليلاً على دعواه، فإنه ادعى أنه لعلو منزلته ينحدر
المال من يديه، وأقام على ذلك برهاناً فقال «وكيف تمسك ماء قنة الجبل» أو يقول:

[الطويل]

جَرَى النَّهْرُ حَتَّى جَلَّتْهُ مِنْكَ أَنْعُمًا تُسَاقِ بِلَا ضَنٍّْ وَتُعْطَى بِلَا مَنٍّ
فيقلب التشبيه زيادة في المبالغة وافتناناً في أساليب الإجابة. ويشبه ماء النهر بنعم
الممدوح - بعد أن كان المألوف أن تشبيه النعم بالنهر الفياض.
أو يقول:

[الطويل]

كَأَنَّهُ حِينَ يَغْطِي الْمَالَ مُبْتَسِمًا صَوَّبُ الْغَمَامَةِ تَهْمِي وَهِيَ تَأْتِلِقُ
فعمد إلى التشبيه المركب، ويعطيك صورة رائعة تمثل لك حالة الممدوح وهو
يجود - وابتهامة السرور تعلق شفته.

أو يقول:

[البسيط]

جَادَتْ يَدُ الْفَتْحِ وَالْأَبْوَاءِ بَاخِلَةً وَذَابَ نَائِلُهُ وَالْعَيْثُ قَدْ جَمَدَا
فيضاهي بين جود الممدوح والمطر، ويدعي أن كرم ممدوحه لا ينقطع إذا انقطعت
الأنواء، أو جمَد القطر.

أو يقول:

[الكامل]

قَدْ قُلْتُ لِلْغَنِيمِ الرُّكَّامِ وَلَجَّ فِي إِبْرَاقِهِ وَالْحَّ فِي إِرْعَادِهِ^(١)

(١) الغنيم الركام المتراكم، ولح وألح كلاهما بمعنى استمر.

لَا تَغْرِضَنَّ لِجَعْفَرٍ مُتَشَبِّهًا بِنَدَى يَدِيهِ فَلَسْتَ مِنْ أُنْدَادِهِ
 فيصرح لك في جلاء وفي غير خشية بتفضيل جود صاحبه على جود الغيم ولا
 يكتفي بهذا بل تراه ينهى السحاب في صورة تهديد أن يحاول التشبه بممدوحه لأنه
 ليس من أمثاله ونظرائه.
 أو يقول:

[الطويل]

وَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي الْبَسَاطِ فَمَا دَرَى إِلَى الْبَحْرِ يَسْعَى أَمْ إِلَى الْبَدْرِ يَرْتَقِي
 يصف حال رسول الروم داخلا على سيف الدولة فينزِع في وصف الممدوح بالكرم
 إلى الاستعارة التصريحية، والاستعارة كما علمت مبنية على تناسي التشبيه والمبالغة
 فيها أعظم، وأثرها في النفوس أبلغ.
 أو يقول:

[المتقارب]

دَعَوْتُ نَدَاهُ دَعْوَةً فَأَجَابَنِي وَعَلَّمَنِي إِحْسَانَهُ كَيْفَ أَمَلَهُ
 فيشبه ندى ممدوحه وإحسانه بإنسان، ثم يحذف المشبه به ويرمز إليه بشيء من
 لوازمه - وهذا ضرب آخر من ضروب المبالغة التي تُساق الاستعارة لأجلها:
 أو يقول:

[الطويل]

وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا فِيرسل العبارة كأنها مثل، ويصوّر لك أن من قصد ممدوحه استغنى عمن هو
 دونه، كما قاصد البحر لا يأبه للجداول، فيعطيك استعارة تمثيلية، لها روعة وفيها
 جمال، وهي فوق ذلك تحمل برهاناً على صدق دعواه، وتؤيد الحال الذي يدّعيها أو
 يقول:

[البسيط]

مَا زِلْتُ تَتَّبِعُ مَا تُؤَلِّي يَدًا بِيَدٍ حَتَّى ظَنَنْتُ حَيَاتِي مِنْ أَيْدِيكَ
 فيعدل عن التشبيه والاستعارة إلى المجاز المرسل، ويطلق كلمة «يد» ويريد بها
 النعمة، لأن اليد آلة النعم وسببها.
 أو يقول:

[البسيط]

أَعَادَ يَوْمُكَ أَيَّامِي لِنَضْرَتِهَا وَأَقْتَصَّ جُودُكَ مِنْ فُقْرِي وَإِعْسَارِي
 فيسند الفعل إلى اليوم - وإلى الجود على طريقة المجاز العقلي.

أو يقول:

[الطويل]

فَمَا جَاذُهُ جُودٌ وَلَا حَلٌّ دُونَهُ وَلَكِنْ يَسِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَسِيرُ
فيأتي بكناية عن نسبة الكرم إليه، بادّعاء أن الجود يسير معه دائماً، لأنه بدّل أن
يحكم بأنه كريم ادّعى أن الكرم يسير معه أينما سار، ولهذه الكناية من البلاغة والتأثير
في النفس وحسن تصوير المعنى فوق ما يجده السامع في غيرها من بعض ضروب
الكلام.

فأنت ترى أنه من المستطاع التعبير عن وصف إنسان بالكرم بأربعة عشر أسلوباً -
كلُّ له جماله وحسنه وبراعته، ولو نشاء لأتينا بأساليب كثيرة أخرى في هذا المعنى،
فإن للشعراء ورجال الأدب افتناناً وتوليداً للأساليب والمعاني لا يكاد ينتهي إلى حد،
ولو أردنا لأوردنا لك ما يقال من الأساليب المختلفة المناحي في صفات أخرى
كالشجاعة والإباء والحزم وغيرها، ولكننا لم نقصِد إلى الإطالة، ونعتقد أنك عند
قراءتك الشعر العربي والآثار الأدبية ستجد بنفسك هذا ظاهراً وستدّهش للمدى البعيد
الذي وصل إليه العقل الإنساني في التصوير البلاغي والإبداع في صوغ الأساليب - عن
البلاغة الواضحة.

تم بحمد الله علم البيان ويليهِ علم البديع بعونه تعالى.

علم البديع

البديع لغة المَخْتَرَع المُوجَد على غير مثال سابق، وهو مأخوذ من قولهم بدع الشيء، وأبدعه اخترعَه لا على مثال^(١).

واصطلاحًا هو علم يُعرف به الوجه^(٢) والمزايا التي تزيد الكلام حسنًا وطلاوة وتكسوه بهاءً ورونقًا بعد مطابقتها لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المراد.

وواضعه عبد الله بن المُعْتَز المُتَوَفَّى سنة ٢٧٤ هجرية - ثم اقتفى أثره قدامة بن جعفر الكاتب، ثم أَلَف فيه كثيرون كَأبي هلال العسكري وابن رشيقي القيرواني، وصفي الدين الحلي، وابن حَجَّة الحَمَوِي - وغيرهم. وفي هذا العلم، بابان وخاتمة.

(١) البديع فعيل بمعنى مُفْعَل أو بمعنى مفعول - ويأتي البديع بمعنى اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ﴾ [البقرة: ١١٧، الأنعام: ١٠١] أي مبدعها.

(٢) وجوه التحسين أساليب وطرق معلومة وضعت لتزيين الكلام وتنميته. وتحسين الكلام بعلمي المعاني والبيان «ذاتي» وبعلم البديع «عرضي».

ووجوه التحسين إما معنوية وإما لفظية. فالبديع المعنوي هو الذي وجبت فيه رعاية المعنى دون اللفظ فيبقى مع تغيير الألفاظ كقوله: [الوافر]

أتطلب صاحبًا لا عيب فيه وأنت لكل من تهوى ركوب

ففي هذا القول ضربان من البديع (هما الاستفهام والمقابلة) لا يتغيران بتبدل الألفاظ كما لو قلت مثلاً: كيف تطلب صديقًا منزهاً عن كل نقص، مع أنك أنت نفسك ساع وراء شهواتك؟ والبديع اللفظي - هو ما رجعت وجوه تحسينه إلى اللفظ دون المعنى فلا يبقى الشكل إذا تغير اللفظ - كقوله: [المجتث]

إذا ملك لم يكن ذا هبة فدعه فدولته ذاهبه

فإنك إذا أبدلت لفظة (ذاهبة) بغيرها ولو بمعناها فيسقط الشكل البديعي بسقوطها.

وملخص القول أن المحسنات المعنوية هي ما كان التحسين بها راجعاً إلى المعنى أولاً وبالذات، وإن حسنت اللفظ تبعاً - والمحسنات اللفظية هي ما كان التحسين بها راجعاً إلى اللفظ بالأصالة، وإن حسنت المعنى تبعاً.

وقد أجمع العلماء على أن هذه المحسنات خصوصاً اللفظية منها لا تقع موقعها من الحسن إلا إذا طلبها المعنى فجاءت عفواً بدون تكلف وإلا فمبتذلة.

الباب الأول

في المحسنات المعنوية

١ - التورية^(١)

التورية لغة مصدر ورّيت الخبر تورية إذا سترته، وأظهرت غيره واصطلاحاً - هي

(١) التورية أن يطلق لفظ له معنيان. أحدهما قريب. والآخر بعيد فيراد البعيد منهما، ويورّى عنه بالقریب.

وتنقسم التورية إلى أربعة أقسام - مجردة. ومرشحة. ومبينة. ومهيأة.

١- فالمجردة - هي التي لم تقترن بما يلائم المعنيين كقول الخليل لما سأله الجبار عن زوجته: فقال «هذه أختي» - أراد أخوة الذين وكقوله: «وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ» [الأنعام: ٦٠].

٢- والمرشحة - هي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب وسمّيت بذلك لتقويتها به لأن القريب غير مراد فكانه ضعيف فإذا ذكر لازمه تقوى به نحو «وَأَلَمَّا بَلَغَتَهَا بِأَيِّدٍ» [الذاريات: ٤٧] فإنه يحتمل الجارحة وهو القريب، وقد ذكر من لوازمه البنيان على جهة الترشيح ويحتمل القدرة وهو البعيد المقصود، وهي قسمان باعتبار ذكر اللازم قبلها أو بعدها.

٣- والمبينة - هي ما ذكر فيها لازم المعنى البعيد - سميت بذلك لتبيين المورى عنه بذكر لازمه، إذ كان قبل ذلك خفياً فلما ذكر لازمه تبين، نحو: [الخفيف]

يا من رأي بالهموم مطوقاً وظلت من فقدي غصوناً في شجون
أتلومني في عظم نوحى والبكا شأن المطوق أن ينوح على غصون

وهي أيضاً قسمان باعتبار ذكر اللازم قبل أو بعد.

٤- والمهيأة - هي التي لا تقع التورية فيها إلا بلفظ قبلها أو بعدها، فهي قسمان أيضاً فالأول - وهو ما تنهياً بلفظ قبل، نحو قوله: [الطويل]

وأظهرت فينا من سماتك سنة فأظهرت ذاك الفرض من ذلك التدب

فالفرض والتدب معناهما القريب الحكمان الشرعيان، والبعيد: الفرض معناه العطاء والتدب الرجل السريع في قضاء الحوائج، ولولا ذكر السنة لما تهيات التورية ولا فهم الحكمان.

والثاني - وهو ما تنهياً بلفظ بعد: كقول الإمام علي رضي الله تعالى عنه في الأشعث بن قيس أنه كان يحرك الشمال باليمين، فالشمال معناها القريب ضد اليمين، والبعيد جمع شملة، ولولا ذكر =

أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان، أحدهما قريب ظاهر غير مُراد، والآخر بعيد خفيّ هو المراد بقريته، ولكنه ورى عنه بالمعنى القريب، فيتوهم السامع لأول وهلة أنه مُراد وليس كذلك كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَا لِمَا كَسَبْنَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُوَ الَّذِي يَخْرِجُنَا مِنْهَا وَأِلَّا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَآتُونَ﴾^(١) أراد بقوله جرحتم معناه البعيد وهو ارتكاب الذنوب، ولأجل هذا سُميت التورية «إيهامًا وتخيلاً» وكقول سراج الدين الورّاق:

[الوافر]

أَصُونُ أُدِيمَ وَجْهِي عَنْ أَنْاسٍ لِقَاءَ الْمَوْتِ عِنْدَهُمُ الْأَدِيبُ
وَرَبُّ الشَّعْرِ عِنْدَهُمْ بَغِيضٌ وَلَوْ وَافَى بِهِ لَهُمْ «حَبِيبُ»
وكقوله:

[الكامل]

أَبِيَاتُ شَعْرِكَ كَالْقَصْرِ وَرَاقِصُورُهَا يَعُوقُ
وَمِنْ الْعَجَائِبِ لَفْظُهَا حُرٌّ وَمَعْنَاهَا «رَقِيقٌ»

٢ - الاستخدام

هو ذكر لفظ مُشْتَرَك بين معنيين يُراد به أحدهما. ثم يُعاد عليه ضمير أو إشارة بمعناه الآخر، أو يُعاد عليه ضميران يُراد بثانيهما غير ما يراد بأولهما.
فالأول - كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(٢) أُريدَ بالشَّهر الهلال، وبضميره الزَّمان المعلوم، وكقول معاوية بن مالك:

[الوافر]

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا
أَرَادَ بِالسَّمَاءِ الْمَطَرِ، وبضميره في «رعيناه» النبات^(٣) وكلاهما معنى مجازي للسماء.

⁼ اليمين بعده لما فهم منه السامع معنى اليد الذي به التورية: ومن المجردة قوله: [الطويل]

حَمَلْنَاهُمَا طَرًّا عَلَى الدَّهْمِ بَعْدَمَا خَلَعْنَا عَلَيْهِم بِالطَّعَانِ مَلَابِسًا

فإن الدهم له معنيان - قريب وهو الخيل الدهم، وليس مرادًا. وبعيد وهو القيود الحديد السود وهو المراد. ومن المرشحة قوله تعالى: ﴿حَقَّ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] فإن المراد من اليد الذلة وقد اقترنت بالإعطاء الذي يناسب المعنى القريب وهو العضو.

(١) سورة الأنعام: الآية ٦٠. (٢) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٣) ملخص الاستخدام هو أن يؤتى بلفظ له معنيان فيراد به أحدهما، ثم بضميره المعنى الآخر كقول

الشاعر: [البسيط]

والثاني - كقول البُحْثري:

[الكامل]

فسقى الغضا والسّاكنيه وإن همو شُبُوهُ بين جوانحي وضلوعي
الغضا شجر بالبادية، وضمير ساكنيه راجع إلى الغضا باعتبار المكان وضمير شبوهُ
يعود إليه بمعنى النار الحاصلة من شجر الغضا، وكلاهما مجاز للغضا.

٣ - الاستطراد

هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى آخر لمناسبة بينهما ثم يرجع
إلى إتمام الأول كقول السموءل:

[الطويل]

وإنّا أناس لا نرى القتل سبّةً إذا ما رأته عامرٌ وسلوُ
يقرب حبّ الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالُهُم فتطوُ
وما مات منا سيّدٌ حتف أنفه ولا طُلٌّ منا حيثُ كان قتيل
فسياق القصيدة للفخر، واستطرد منه منتقلاً إلى هجو قبيلتي «عامر وسلول» ثم عاد
إلى مقامه الأول وهو الفخر بقومه - ومنه قول الآخر:

[البسيط]

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة فإن تسلّت أسلناها على الأسل
لا ينزل المجد إلا في منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المُقَل

⁼ وللغزاة شيء من تلفّته ونورها من ضيا خديه مكتسب
أراد الشاعر بالغزاة الحيوان المعروف. وضمير (نورها) الغزاة بمعنى الشمس وكفوله:
[الكامل]

رأى العميق فأجرى ذاك ناظره مُتَيِّمٌ لج في الأشواق خاطره
وكفوله: [الطويل]
إذا لم أبرقع بالحيا وجه عفتي فلا أشبهته راحتني بالتّكرم
ولا كنت ممن يكسر الجفن بالوغى إذا أنا لم أغضضه عن رأي محرم
وقال الآخر في الدعاء أقر الله عين الأمير وكفاه شرها. وأجرى له عذبتها. وأكثر لديه تبرها.
وكقول الشاعر: [الوافر]
رحلتم بالغداة فبثّ شرقاً أسائل عنكم في كل ناد
أراعي النجم في سيرى إليكم ويرعاه من البئدا جوادى

٤ - الافتنان

هو الجمع بين فئتين مختلفتين، كالغزل، والحماسة، والمدح، والهجاء والتعزية والتهنئة - كقول عبد الله بن همام السلولي، «جامعاً بين التعزية والتهنئة» حين دخل على يزيد وقد مات أبوه معاوية، وخلفه هو في الملك «أجرك الله على الرزية، وبارك لك في العطيّة، وأعانك على الرعيّة فقد رُزئت عظيمًا وأُعطيّت جسيمًا، فاشكر الله على ما أُعطيّت؛ واصبر على ما رُزيت، فقد فقدت الخليفة. وأُعطيّت الخلافة، ففارقت خليلاً ووُهبّت جليلاً».

[البسيط]

اصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثقة واشكرُ حباء الذي بالملك أصفاك
لارزّةُ أصبح في الأقوام نعلمه كما رُزئت ولا عقبى كعقباك
وكقول عنترة يخاطب عبلة:

[الكامل]

ولقد ذكرتِك والرّماح نواهلُ مئى وببيضُ الهند تقطرُ من دمي
فوددتُ تقبيل السُّيوف لأنها لمعت كبارقِ نغركِ المُتبسّم

٥ - الطباق^(١)

الطباق هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام. وهما قد يكونان اسمين - نحو:

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾^(٢) وَتَحَسَّبَهُمْ أَنْفَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ^(٣).

أو فعلين - نحو: ﴿هُوَ أَمْسَحَكَ وَأَتَكَ﴾^(٤) «ثم لا يموتُ فيها ولا يحيا».

أو حرفين - نحو: ﴿وَلَهْنٌ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمُؤَفِّ﴾^(٥).

أو مختلفين - نحو: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(٦).

(١) ويسمى بالمطابقة. وبالتضاد. وبالتطبيق. وبالتكافؤ. وبالتطابق - وهو الجمع في الكلام بين معنيين متقابلين سواء أكان ذلك التقابل تقابل الضدين أو النقيضين أو الإيجاب والسلب. أو التضاف.

(٢) سورة الحديد: الآية ٣. (٣) سورة الكهف: الآية ١٨.

(٤) سورة النجم: الآية ٤٣. (٥) سورة البقرة: الآية ٢٢٨.

(٦) والطباق ضربان: أحدهما طباق الإيجاب وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً، نحو ﴿تَوَقَّى أَمْلُكَ مِنْ نَشَأْ وَتَنَزَّجْ أَمْلُكَ مِنْ نَشَأْ وَتُزْجْ مِنْ نَشَأْ وَتُذِلْ مِنْ نَشَأْ﴾ [آل عمران: ٢٦] وكقوله:

[الكامل]

حلو الشمائل وهو مرّ باسل يحمي الذمار صبيحة الأرهاق =

ونحو: ﴿مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾^(١).

٦ - المقابلة^(٢)

هي أن يُؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم يُؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ (٥) ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ (٦) ﴿فَسَيَّرَهُ لِلْإِثْمَى﴾ (٧) ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ (٨) ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ (٩) ﴿فَسَيَّرَهُ لِلْعُسْرَى﴾ (١٠) ﴿٣﴾، وكقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ لَهُمُ الْعِلْمَ نَبَأً بَاطِلًا يَصْهَوْنَ﴾ (٤).

وقال ﷺ للأَنْصَار (إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلُّون عند الطمع) وقال خالد بن صفوان يصف رجلاً: ليس له صديق في السرِّ ولا عدوٌّ في العلانية. وقال:

وباسطٍ خيرٍ فيكمُ يمينه - وقابضٍ شرٍ عنكمُ بشماله - وكقوله:

[البسيط]

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتماعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

٧ - مراعاة النظر^(٥)

هي الجمع بين أمرين أو أمور متناسبة لا على جهة التضاد، وذلك إمَّا بين اثنين - نحو: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٦).

وإمَّا بين أكثر - نحو: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ بِخَدَرِهِمْ﴾^(٧).

وثانيهما طباق السلب وهو ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً بحيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد - أحدهما مثبت والآخر منفي - نحو ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٨] ونحو ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ (١) ﴿يَمْلِكُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم: ٦ - ٧].

أو أحدهما أمر والآخر نهى نحو ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف: ٣] ونحو: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠]. ويلحق بالطباق ما بني على المضادة تأويلاً في المعنى نحو ﴿يَنْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ١٢٩] فإن التعذيب لا يقابل المغفرة صريحاً لكن على تأويل كونه صادراً عن المؤاخذه التي هي ضد المغفرة. أو تخبيلاً في اللفظ باعتبار أصل معناه - نحو ﴿مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَتَاهُ بِسُلْطَانٍ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ صَلَاحٍ كَسِيرٍ﴾ (٢) [الحج: ٤] أي يقوده فلا يقابل الضلالة بهذا الاعتبار ولكن لفظه يقابلها في أصل معناه، سورة الرعد: الآية ٣٣.

- (١) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.
- (٢) وهذا يقال له «إيهام» التضاد.
- (٣) سورة الليل: الآيات ٥ - ١٠.
- (٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.
- (٥) وتسمى بالتناسب والتوافق والاتلاف.
- (٦) سورة الشورى: الآية ١١.
- (٧) سورة البقرة: الآية ١٦.

ويلحق بمراعاة النظير ما بُني على المناسبة في «المعنى» بين طرفي الكلام يعني أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى نحو: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١).

فإن «اللطف» يناسب عدم إدراك الأبصار له، و«الخبير» يناسب إدراكه سبحانه وتعالى للأبصار.

أو ما بُني على المناسبة في «اللفظ» باعتبار معنى له غير المعنى المقصود في العبارة نحو: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝﴾ (٢) فإن المراد «بالنجم» هنا النبات، فلا يناسب «الشمس» و«القمر» ولكن لفظه يناسبهما باعتبار دلالة على الكواكب. وهذا يقال له «إيهام التناسب» كقوله:

[الطويل]

كَأَنَّ الثَّرِيَّا عُلِّقَتْ فِي جَبِينِهَا وَفِي نَحْرِهَا الشَّعْرَى وَفِي خَدَّهَا الْقَمَرُ

٨ - الإحصاء

هو أن يذكر قبل الفاصلة «من الفقرة أو القافية من البيت» ما يدل عليها إذا عُرف الروي، نحو: ﴿وَسَيِّحٌ يَخْمَدُ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ (٣) ونحو: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤) وكقول الشاعر:

[الطويل]

أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَحَرَّمَتْ بِلَا سَبَبٍ عِنْدَ اللَّقَاءِ كَلَامِي
فَلَيْسَ الَّذِي حَلَلْتَهُ بِمَحَلَّلٍ وَلَيْسَ الَّذِي حَرَّمْتَهُ بِحَرَامٍ
ونحو:

[الوافر]

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعِهِ وَجَاوِزِهِ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
وَقَدْ يَسْتَغْنِي عَنْ مَعْرِفَةِ الرَّوِيِّ، نحو: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَنْقِذُونَ﴾ (٥).

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٢) سورة الرحمن: الآيتان ٥، ٦.

(٣) سورة طه: الآية ١٣٠، سورة ق: الآية ٣٩.

(٤) فالسامع إذا وقف على قوله تعالى: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ [طه: ١٣٠] بعد الإحاطة بما تقدم علم أنه «وقبل الغروب» كذلك البصير بمعاني الشعر وتأليفه إذا سمع المصراع الأول علم أن العجز ليس إلا ما قاله الشاعر، سورة العنكبوت: الآية ٤٠.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٣٤.

٩ - الإدماج

هو أن يُضمَّن كلامٌ سبق لمعنى معنى آخر لم يُصرَّح به، كقوله المتنبي:

[الوافر]

أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي أَعْدُّ بِهَا عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا
ساق الشاعر الكلام أصالة لبيان طول الليل، وأدمج الشكوى من الدهر في وصف الليل بالطول.

١٠ - المذهب الكلامي

هو أن يُورد المتكلم على صحة دعواه حُجَّة قاطعة مُسلَّمة عند المخاطب بأن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزِمة للمطلوب.

كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١) واللازم وهو الفساد باطل، فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة باطل.

ونحو: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّن رَّبِّ مَن آتَيْنَا خَلْقَتَكُمْ مِّن تَرَابٍ﴾^(٢).

ونحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾^(٣) أي وكل ما هو أهون عليه فهو أدخل تحت الإمكان، فالإعادة ممكنة.

١١ - حسن التعليل

حسن التعليل، أن يُنَكِّرَ الأديب صراحةً أو ضمناً علّة الشيء المعروفة، ويأتي بعلة أدبية طريفة تناسب الغرض الذي يرمي إليه.

يعني أن الشاعر أو النّاثر يدّعي لوصف علّة غير حقيقية مناسبة له باعتبار لطيف، مشتمل على دِقّة النَّظَر - كقول المعري في الرثاء:

[الطويل]

وَمَا كُفِّتَ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ قَدِيمَةً وَلَكِنَّهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّطِمِ
يقصد أن الحزن على المرثي شكل كثيرًا من مظاهر الكون، فهو لذلك يدّعي أن كُلفة البدر (وهي ما يظهر على وجهه من كدرة) ليست ناشئة عن سبب طبيعي، وإنما هي حادثة من أثر اللطم على فراق المرثي، ومثله قوله:

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(٢) سورة الحج: الآية ٥.

(٣) سورة الروم: الآية ٢٧.

[البسيط]

أما ذُكاء فلم تصفّر إذ جنحت إلا لفرقة ذاك المنظرِ الحَسَنِ
يقصد أنّ الشمس لم تصفر عند الجنوح إلى المغيّب للسبب المعروف ولكنها
اصفرت مخافة أن تفارق وجه الممدوح - ومثله قول الشاعر:

[البسيط]

ما قصّر الغيْثُ عن مصرٍ وتربتها طبعًا ولكن تعدّاكم من الخجل
ينكر هذا الشاعر الأسباب الطبيعية لقلة المطر بمصر، ويلتمس لذلك سببًا آخر:
وهو أن المطر يخجل أن ينزل بأرض يعمّها فضلُ الممدوح جوده، لأنه لا يستطيع
مباراته في الجود والعطاء.

ولا بد في العلة أن تكون ادّعائية، ثم الوصف أعمّ من أن يكون ثابتًا فيُقصد بيانُ
علته، أو غير ثابت فيراد إثباته.

فالأول أ - وصفت ثابتٌ غير ظاهر العلة كقوله:

[الوافر]

بين السيوف وعينيها مشاركة من أجلها قيل للأجفان أجفان
وقوله:

[الكامل]

لم يحك نائلك السحاب وإنما حمت به فصبيها الرخصاء^(١)
وقوله:

[الكامل]

زعم البنفسج أنه كعذاره حُسْنًا فسَلُّوا من قفّاه لسانه

(١) أي أن السحاب لا تقصد محاكاة جودك بمطرها لأن إعطائك المتتابع أكثر من مائها وأغزر.
ولكنها حمت حسدًا لك. فالماء الذي ينصب منها هو عرق تلك الحمى - فالرخصاء عرق الحمى -
ومنه قول ابن رشيق: [الوافر]

سألت الأرض لِمَ كانت مصلى
فقال غير ناطقة لأنني
ومن حسن التعليل قوله: [البسيط]

ما زلزلت مصر من كيد يراد بها
وكقول الآخر: [الوافر]

أرى بدر السماء يلوح حينًا
وذلك لأنه لما تبدّى
ويبدو ثم يلتحف السحاب
وأبصر وجهك استحيًا وغابًا

فخروج ورقة البنفسج إلى الخلف لا علة له، لكنه ادّعى أن علته الافتراء على المحبوب.

ب - أو وصف ثابت ظاهر العلة غير التي تذكر كقول المتنبي:

[الرمز]

ما به قتلُ أعاديهِ ولكن يتّقي إخلاف ما ترجو الذئاب
فإن قتل الأعادي عادة للملوك لأجل أن يسلموا من أذاهم وضّرهم ولكن المتنبي
اخترع لذلك سببًا غريبًا فتخيل أن الباعث له على قتل أعاديهِ لم يكن إلا ما اشتهر
وعرف به حتى لدى الحيوان الأعجم من الكرم الغريزي ومحبتة إجابة طالب
الإحسان، ومن ثم فتك بهم لأنه علم أنه إذا غدا للحرب رجّت الذئاب أن يتّسع عليها
رزقها. وتنال من لحوم أعدائه القتلى، وما أراد أن يخيب لها مطلبًا.

والثاني: وصف غير ثابت، وهو إما ممكن - كقول مسلم بن الوليد:

[البسيط]

يا واشيّا حسنت فينا إساءته نجّى حذارك إنساني من الغرق
فاستحسان إساءة الواشي ممكن، ولكنه لما خالف الناس فيه عقبه بذكر سببه،
وهو أن حذاره من الواشي منعه من البكاء، فسلم إنسان عينه من الغرق في الدموع.
وإما غير ممكن - كقول الخطيب القزويني:

[البسيط]

لو لم تكن نيّة الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد مُنتطق
جعل الشاعر علة شدّ الجوزاء النطاق في وسطها خدمة الممدوح وهي صفة غير
ممكنة. فقصد إثباتها على خلاف الواقع^(١).

١٢ - التجريد

هو لغة إزالة الشيء عن غيره، واصطلاحًا أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة أمرًا
آخر مثله في تلك الصفة، مبالغة في كمالها في المنتزع منه، حتى أنه قد صار منها

(١) ومثله قول ابن المعتز: [المنسرح]

من كثرة القتل نالها الوصبُ
والدم في السيف شامدٌ عجب

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم
حُمرتها من دماء مَنْ قتلت

وكقوله: [الكامل]

تحوى الغنائم أو يموت كريم

فلئن بقيت لأرحلن بعزوة

بحيث يمكن أن ينتزع منه موصوف آخر بها، وهو أقسام.

أ - منها ما يكون بواسطة مِنْ التجريدية كقولك: لي من فلان صديق حميم (أي بلغ فلان من الصداقة حدًا صح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها) ونحو:

[الطويل]

ترى منهمو الأسد الغضاب إذا سطوا وتنظر منهم في اللقاء بدورا

ب - ومنها ما يكون بواسطة الباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه نحو قولهم: لئن سألت فلانًا لتسألن به البحر، بالغ في اتصافه بالسماحة حتى انتزع منه بحرًا فيها.

ج - ومنها ما لا يكون بواسطة نحو: ﴿وَإِنْ تَكْثُرُوا أَيَمْنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَنْتِلُوا أَيْمَةَ الْكَافِرِ﴾^(١).

د - ومنها ما يكون بطريق الكناية كقول الأعشى:

[المنسرح]

يا خير من ركب المطي ولا يشرب كأسًا بكفت من بخلا^(٢)

١٣ - المشكلة

هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، كقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(٣) المراد ولا أعلم ما عندك.

وعبر بالنفس للمشكلة. ونحو ﴿سَوَّاءُ اللَّهِ فَاَنسَهُمْ اَنْفُسَهُمْ﴾^(٤) أي أهملهم. ذكر الإهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه في صحبته.

ومن ذلك ما حكى عن أبي الرقعم أن أصحابًا له أرسلوا يدعونه إلى الصبوح في

(١) سورة التوبة: الآية ١٢.

(٢) أي يشرب الكأس بكف الجواد - انتزع منه جوادًا يشرب هو بكفه على طريق الكناية. لأن الشرب بكف غير البخيل يستلزم الشرب بكف الكريم وهو لا يشرب إلا بكف نفسه. فإذا هو ذلك الكريم. ومن التجريد خطاب المرء نفسه كقول المتنبي: [البسيط]

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

أي الغنى - فقد انتزع من نفسه شخصًا آخر وخاطبه، وهذا كثير في كلام الشعراء وإنما سمي هذا النوع تجريديًا لأن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامنًا فيه كأنه حقيقته، فتخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجردًا عن الإنسان كأنه غيره - وفائدة هذا النوع (مع التوسع) أن يثبت الإنسان لنفسه ما لا يليق بالتصريح بشئونه له.

(٣) سورة المائدة: الآية ١١٦.

(٤) سورة الحشر: الآية ١٩.

يوم بارد ويقولون له ماذا تريد أن نصنع لك طعامًا، وكان فقيرًا ليس له كسوة تقيه من البرد، فكتب إليه يقول:

[الكامل]

أصحابنا قصدوا الضُّبُوح بسحرة
قالوا اقترَحْ شيئًا نَجِدُ لك طبخَه
وأتى رسولُهُم إليَّ خصيصًا
قلتُ اطبخوا لي جُبَّةً وقميصًا^(١)
وكقوله:

[الكامل]

من مُبلغُ أفناءٍ يَعْرُبُ كلَّها
إني بنيت الجار قبل المنزل
وكقوله:

[الوافر]

ألا لا يجهلُن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

١٤ - المزاجية

هي أن يُزَاج المتكلِّم بين معنيين في الشرط والجزاء، بأن يُرتَّب على كلٍّ منهما معنى رُتَّب على الآخر، كقوله:

[الطويل]

إذا ما نهى النَّاهي فلجَّ بي الهوى
أصاغت إلى الواشي فلجَّ بها الهجر
زواج بين النهي والإصاغة في الشرط والجزاء بترتيب اللجاج عليهما وكقوله:

[الطويل]

إذا احتربت يومًا ففاضت دماؤها
تذَّكرت القربى ففاضت دموعها
زواج بين الاحتراب «التَّحارب» وتذكر القربى في الشرط والجزاء ترتيب الفيض عليهما.

١٥ - الطي والنشر

الطي والنشر - أن يُذكر متعدّد، ثم يُذكر ما لكلٍّ من أفرادهِ شائعًا من غير تعيين، اعتمادًا على تصرُّف السامع في تمييز ما لكلٍّ واحد منها. ورده إلى ما هو له - وهو نوعان:

أ - إمَّا أن يكون النُّشر فيه على ترتيب الطي، نحو ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ

(١) أي خيطوا لي جبة وقميصًا فذكر الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعه في صحبة طبخ الطعام.

وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴿١﴾ فقد جمع بين الليل والنهار ثم ذكر السكون لليل، وابتغاء الرزق للنهار، وعلى الترتيب وكقوله:

[الطويل]

عيونٌ وأصداعٌ وفرجٌ وقامة
سيوفٌ وريحانٌ وليلٌ وبانة
وخالٌ ووحناتٌ وفرقٌ ومرشفٌ
ومسكٌ وياقوتٌ وضبحٌ وقَرْقَفٌ
وكقوله:

[الكامل]

فعلُ المدام ولونها ومذاقها في مُقلتيه ووجنتيه وريقه
ب - وإمّا أن يكون على خلاف ترتيبه - نحو ﴿فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِنَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالْحَسَابِ﴾ (٢).

وذكر ابتغاء الفضل للثاني، وعلى الحساب للأول على خلاف الترتيب وكقوله:

[البسيط]

ولحظهُ ومُحياهُ وقامته بدر الدُّجا وقُضيبُ البانِ والراح
فبدر الدجا راجع إلى «المحيا» الذي هو الوجه، «وقضيب البان» راجع إلى «القامة»، والراح راجع إلى «اللحظ» ويُسمّى اللَّفّ والنشر أيضًا.

١٦ - الجمع

هو أن يجمع المتكلم بين متعدّد تحت حكم واحد وذلك قد يكون.

أ - في اثنين نحو: ﴿أَمْأَلْتُ وَأَلْبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٣).

ونحو: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَوا بِكُمْ وَأَوَّلَدَكُمْ فِتْنَةً﴾ (٤).

ب - أو في أكثر، نحو ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْكَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (٥) وكقوله:

[الرجز]

إنَّ الشبابَ والفراغَ والجِدّه
مفسدة للمرء أي مفسدّه

(١) سورة القصص: الآية ٧٣.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٢.

(٣) سورة الكهف: الآية ٤٦.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٢٨.

(٥) سورة المائدة: الآية ٩٠.

وكقوله:

[البسيط]

آرأؤه وَعَطَايَاهُ وَنَعَمَتُهُ وَعَفْوُهُ رَحْمَةٌ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ

وكقوله:

[الكامل]

آرَأُوكُمْ وَوَجُوهَكُمْ وَشُيُوفَكُمْ فِي الْحَادِثَانِ إِذَا دَجَّوْنَ نَجُومُ

١٧ - التفريق

هو أن يعمد المتكلم إلى شيئين من نوع واحد فيوقع بينهما تبايناً وتفريقاً بذكر ما يفيد معنى زائداً فيما هو بصده من مدح أو ذم أو نسيب أو غير ذلك من الأغراض، نحو ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾^(١) - وكقول الشاعر:

[الخفيف]

ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير يوم سحاء
فنوال الأمير بَدْرَةَ عَيْن ونوال الغمام قَطْرَةَ مَاء
وكقوله:

[المجتث]

مَنْ قَاسَ جَدُوكَ يَوْمًا بِالسُّحْبِ أَخْطَأَ مَدْحَكَ
السُّحْبَ تَعْطِي وَتَبْكِي وَأَنْتَ تَعْطِي وَتَضْحَكُ
وكقوله:

[المنسرح]

من قاس جدواك بالغمام فما أنصف في الحكم بين شكلين
أنت إذا جُدت ضاحكٌ أبداً هو إذا جاد دامع العين
وكقوله:

[عجزوء الكامل]

وَرَدَ الْخُدُودَ أَرْقَ مَنْ وَرَدَ الرِّيَاضَ وَأَنْعَمُ
فَذَاكَ تَنْشُقُّهُ الْأَنْوُ فُذَا يُقْبِلُهُ الْفَمُ

١٨ - التقسيم

هو أن يُذكر متعدّد ثم يُضاف إلى كلّ من أفرادها ما له على جهة التّعيين نحو:

(١) سورة فاطر: الآية ١٢.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿١﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَمْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٢﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأَقْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٣﴾﴾^(١).

وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين.

أولهما أن تستوفي أقسام الشيء، نحو ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿١﴾﴾^(٢).

وثانيهما أن تذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل منها ما يليق به كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾^(٣) وكقوله:

[الطويل]

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ
ثِقَالُ إِذَا لَاقُوا خِفَافٌ إِذَا دُعُوا
كأنهمو من طول ما التثموا مُرْدُ
كثير إذا شَدُّوا قَلِيلُ إِذَا عُذُّوا
وكقوله:

[البسيط]

ولا يقيم على ضيم يُراد به
هذا على الخسف مربوط بِرُمَّتِهِ
إِلَّا الْأَذِلَّانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَرْدُ
وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرِثِي لَهُ أَحَدُ

١٩ - الجمع مع التفريق

هو أن يجمع المتكلم بين شيئين في حكم واحد، ثم يفرق بينهما في ذلك الحكم، نحو قوله تعالى: ﴿خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتُهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٤) وكقوله:

[السريع]

فوجهك كالنار في ضوئها
وقلبي كالنار في حرها

٢٠ - الجمع مع التقسيم

هو أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر تحت حكم واحد، ثم يقسم ما جمع - أو يقسم أولاً ثم يجمع، فالأول نحو: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَرِسَلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٥) وكقول المتنبي:

(١) سورة الحاقة: الآيات ٤ - ٦. (٢) سورة طه: الآية ٦.

(٣) سورة المائدة: الآية ٥٤.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٢، سورة ص: الآية ٧٦.

(٥) سورة الزمر: الآية ٤٢.

[البسيط]

حتى أقام على أرباض خرسنة^(١) تشقى به الرُّوم والصُّلبان والبيعُ
للرَّق ما نسلوا والقتل ما ولدوا والنَّهَب ما جمعوا والنَّار ما زرعوا
والثاني كقول سيدنا حسان:

[البسيط]

قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عدوَّهُمُ أو حاولوا النفع في أشياعهم نفَعُوا
سجّية تلك فيهم غير مُحدثة إنَّ الخلائق فأعلم شرها البِدْعُ

٢١ - المبالغة

أن يدعي المتكلم لوصف بلوغه في الشدّة أو الضّعف حدًّا مُستبعدًا أو مستحيلًا -
وتنحصر في ثلاثة أنواع.

١ - تبليغ - إن كان ذلك الادعاء ممكنًا عقلاً وعادة، نحو «ظلمات بعضها فوق بعض
إذا أخرج يده لم يكد يراها» وكقوله في وصف فرس:

[الوافر]

إذا ما سابقتها الرِّيح فرّت وألقت في يد الرِّيح الترابا
٢ - وإغراق - إن كان الادعاء ممكنًا عقلاً لا عادة - كقوله:

[الوافر]

ونكرم جارنا ما دام فينا ونُتبّعهُ الكرامة حيثُ مالا
٣ - وغلو^(٢) - إن كان الادعاء مستحيلًا عقلاً وعادة - كقوله:

(١) الأرباض جمع رِبَضٍ وهو ما حول المدينة. وخرسنة بلد بالروم.
(٢) أما الغلو. فمنه مقبول ومنه مردود. فالمقبول ثلاثة أنواع أحدها - ما اقترن به ما يقر به للصحة
«ككاد» نحو قوله تعالى: ﴿يَكَادُ رَبِّيُّ يَنْصُرُهُ وَيَكُونُ لَهُ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٥] «ولو» نحو قوله
تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَضِيحًا مُّذَصَّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] ثانيها -
ما تضمن حسن تخيل كقول المتنبي: [الكامل]

عقدت سناكبها عليها عثيراً لو تبتغي عنقاً عليه لأمكننا^(١)

وقول المعري: [الوافر]

يذيب الرعب منه كل غضب فلولا الغمد يمسكه لسالا

(١) السناكب جمع سنبك وهو طرف مقدم الحافر. والعتير الغبار والعتق ضرب من السير سريع فسيح الخطو -
يقول إن حوافر هذه الخيل عقدت فوقها غبارًا كثيفًا حتى لو أرادت السير عليه لكان يحملها كالأرض لشدّة
كثافته.

[الوافر]

تَكَادُ قِسْيُهُ مِنْ غَيْرِ رَامٍ تُمْكِّنُ فِي قُلُوبِهِمُ النَّبَالَ

٢٢ - المغايرة

هي مدح الشيء بعد ذمه أو عكسه - كقول الحريري في مدح الدینار:

[الرجز]

أَكْرَمَ بِهِ أَصْفَرَ رَاقَتِ صَفْرَتِهِ

بعد ذمه في قوله:

[الرجز]

تَبَّالُهُ مِنْ خَادِعٍ مُمَارِقٍ

٢٣ - تأكيد المدح بما يشبه الذم

هو ضربان:

١ - أن يُسْتثنَى من صفة ذم منفية، صفة مدح على تقدير دخولها فيها - كقوله:

[الطويل]

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بِهِنَّ قُلُوبٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ^(١)

ثالثها - ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة - كقول النظام: [الطويل]

تَوَقَّعْهُ طَرَفِي فَأَكْمَ طَرَفِهِ فَصَارَ مَكَانَ الْوَهْمِ فِي خَدِهِ أَثَرُ
وَمَرَّ بِفِكْرِي خَاطِرًا فَجَرَحْتَهُ وَلَمْ أَرْ خَلْقًا قَطْ يَجْرَحُهُ الْفُكْرُ
وقول الآخر: [الطويل]

لَكَ أَنْفٌ يَا ابْنَ حَرْبٍ أَنْفَتَ مِنْهُ الْأَنْوَفُ
أَنْتَ فِي الْقُدْسِ تَصُلِّي وَهَوَّ فِي الْبَيْتِ يَطُوفُ
(١) أي إن كان تكسر حد سيوفهم من مقارعة الجيوش عيباً فلا عيب فيهم غيره. ومن المعلوم أنه ليس بعيب - وكقول الآخر: [الطويل]

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنَّ التَّنْزِيلَ بِهِمْ يَسْلُو عَنْ الْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ وَالْحَشَمِ
وقوله: [الطويل]

وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ خُدُودَهُ بِهِنَّ أَحْمَرَارٍ مِنْ عَيُونِ الْمَتِيِّمِ
وقوله: [الطويل]

لَيْسَ بِهِ عَيْبٌ سِوَى أَنَّهُ لَا تَقَعُ الْعَيْنُ عَلَى شَبْهِهِ
وقوله: [الطويل]

وَلَا عَيْبَ فِي مَعْرُوفِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُ يُبَيِّنُ عَجْزَ الشَّاكِرِينَ عَنِ الشُّكْرِ
وقوله: [الطويل]

وَلَا عَيْبَ فِيكُمْ أَنْ ضَيُوفَكُمْ تُعَابُ بِنَسِيَانِ الْأَحْبَةِ وَالْوَطَنِ

ب - أن يثبت لشيء صفة مدح، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى مستثناة من مثلها - كقوله:

[الطويل]

ولا عيبَ فيه غير أني قصدته فأنستني الأيام أهلا وموطنا
وكقوله:

[الطويل]

فَتَي كملت أوصافه غير أنه جواد فما يُبقي من المال باقيا
٢٤ - تأكيد الذم بما يشبه المدح^(١)

هو ضربان أيضًا:

١ - أن يستثنى من صفة مدح منفية، صفة ذم على تقدير دخولها فيها نحو - فلان لا خير فيه إلا أنه يتصدق بما يسرق - ونحو - لا فضل للقوم إلا أنهم لا يعرفون لجار حقه - ونحو: الجاهل عدو نفسه إلا أنه صديق السفهاء ونحو: فلان ليس أهلاً للمعروف إلا أنه يُسيء إلى من يحسن إليه.

ب - أن يثبت لشيء صفة ذم. ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء^(٢) تليها صفة ذم أخرى نحو: فلان حسود إلا أنه نَمَام، وكقوله:

[الطويل]

هو الكلب إلا أن فيه ملالةً وسوء مُراعاة وما ذاك في الكلب

٢٥ - الإيهام أو التوجيه

هو أن يؤتى بكلام يحتمل معنيين متضادين على السواء كهجاء ومديح ليلغ القائل

(١) وهناك نوع آخر يسمى «الهجاء في معرض المدح» وهو أن يؤتى بكلام ظاهره مدح، وباطنه ذم كقوله: [المتقارب]

أبو جعفر رجل عالم بما يصلح المئدة الفاسده
تُخَرَفُ تُخمة أضيافه فتعودهم أكلة واحده

(٢) ومثل أداة الاستثناء في ذلك أداة الاستدراك في قول الشاعر: [الطويل]

وجوه كأظهار الرياض نضارةً ولكنها يوم الهياج صُخور
وكقوله: [الطويل]

هو البدر إلا أنه البحر زاخرًا سوى أنه الضرغام لكنه الويل
أدرج أهل البيان التديج في الطباق. وأفرده أهل البديع وهو الأولى لجواز أن لا يقع التقابل بين الألوان فيفوت الطباق.

غرضه بما لا يُمسك عليه، كقول بشار في خياط أعور اسمه عمرو:

[الرمل]

خياط لي عمرو قباء ليت عينيه سواء
ويحكى أن محمداً بن حزم هنا الحسن بن سهل باتصال بنته (بوران التي تُنسب
إليها الأطبحة البُورانية) بالخليفة المأمون العباسي مع من هُناه فأثابهم، وحرّمه: فكتب
إليه إن أنت تماديت على حرمانني، قلت فيك «بيتاً لا يُعرف» أهو مدح أم ذم،
فاستحضره وسأله فأقرّ، فقال الحسن لا أعطيك أو تفعل، فقال:

[مجزوء الخفيف]

بارك الله للحسن ولبوران في الختن
يا إمام الهدى ظفر ت ولكن ببنت من
فلم يدر بينت من؟ أفي العظمة وعلو الشأن ورفعة المنزلة أم في الدناءة والخسة؟
فاستحسن الحسن منه ذلك.

٢٦ - نفي الشيء بإيجابه

هو أن يُنفي متعلق أمر عن أمر فيُوهّم إثباته له. والمراد نفيه عنه أيضاً نحو - ﴿لَا
لَهُمْ يَحْزَنُ وَلَا يَبْغُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١) فإن نفي إلهاء التجارة عنهم يُوهّم إثباتها لهم -
والمراد نفيها أيضاً.

٢٧ - القول بالموجب

القول بالموجب نوعان:

الأول: أن يقع في كلام الغير إثبات صفة شيء وترتيب حكم عليها فينقل السامع
تلك الصفة إلى غير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه
كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) فالمنافقون أرادوا بالأعز أنفسهم، وبالأذل المؤمنين. ورتّبوا

(١) مقتطع من الآية التي مرت في مبحث ترك المسند حيث يقول ﴿يَسْخَرُ لَكُمْ فِيهَا الْأَعْدُو وَالْأَحْصَالُ﴾
رِجَالٌ لَا لَهُمْ بَحْزٌ وَلَا يَبْغُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ [النور: ٣٦ - ٣٧] فإن قوله لا تلهيهم تجارة يوهّم أن لهم
تجارة غير إنهم لا يلتهم بها. ولكن المراد إنهم ليس لهم تجارة حتى يلتهم بها لأن رجال الجنة
لا يتعاطون التجارة، سورة النور: الآية ٣٧.

(٢) تلخيص العبارة إن الكافرين حكموا لأنفسهم بالعزة. وللمؤمنين بالذلة وقالوا إن رجعنا إلى المدينة
نخرجهم منها. فحكم بالغزة لله ولرسوله والمؤمنين - ولم يقل إنهم يخرجون أولئك منها، ولا أنهم
لا يخرجونهم، سورة المنافقون: الآية ٨.

على ذلك الإخراج من المدينة. فنقلت صفة العزة للمؤمنين، وأبقيت صفة الأذلية للمنافقين، من غير تعرّض لثبوت حكم الإخراج للمتصفين بصفة العزة، ولا لنفيه عنهم.

والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده بذكر متعلق له كقوله:

[الوافر]

وقالوا قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ولكن عن ودادي
أرادوا بصفو قلوبهم الخلو، فحمّله على الخلو بذكر متعلقه وهو قوله «عن ودادي».

٢٨ - ائتلاف اللفظ مع المعنى

هو أن تكون الألفاظ مُوافقة للمعاني، فتُختار الألفاظ الجزلة والعبارات الشديدة للفخر والحماسة، وتُختار الكلمات الرقيقة، والعبارات اللينة للغزل والمدح - كقوله:

[المتقارب]

إذا ما غضبنا غضبة مُضرّة هتكنا حجاب الشمس أو قَطَرَتْ دَمًا
إذا ما أعرّنا سيدًا من قبيلة ذُرّا منبرٍ صلّى علينا وسلّمًا
وكقوله:

[الطويل]

ولَسْتُ بنظّار إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء في جانب الفقر
وكقوله:

[الرملي]

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيفت ألم

٢٩ - التفريع

هو أن يُثبت حكمٌ لمتعلّق أمر بعد إثباته لمتعلّق له آخر - كقول الشاعر:

[البسيط]

فاضت يدها بالنّضار كما فاضت ظباه في الوغى بدمي
وكقوله:

[البسيط]

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفي من الكلب

٣٠ - الاستتباع

هو الوصف بشيء على وجه يستتبع الوصف بشيء آخر مدحًا أو ذمًا يعني أن الاستتباع هو المدح على وجه يستتبع المدح بأمر آخر كقوله:

[الطويل]

ألا أيها المال الذي قد أباده تسلّ فهذا فعله بالكتائب
وكقوله:

[الكامل]

سَمَحُ البديهة ليس يمسك لفظه فكأنّ ألفاظه من ماله
وكقوله:

[البسيط]

الحرب نزّهته والبأس همّته والسيف عزمته والله ناصره
وقيل: إنه يكون أيضًا في الذم كقول بعضهم في قاض لم يقبل شهادته برؤية هلال
الفطر:

[الرملي]

أترى القاضِي أعمى أم تراه يتعمّامى
سَرَقَ العِيْدُ كأنّ الـ عِيْدُ أموالِ اليتامى

٣١ - السلب والإيجاب^(١)

هو أن يقصد المتكلم اختصاص شيء بصفة، فينفى عنها جميع الناس ثم يثبتها له مدحًا أو ذمًا، فالمدح كقول الخنساء:

[الطويل]

وما بلغت كفت امرئ متناولاً من المجد إلا والذي نلت أطول
ولا بلغ المهدون للناس مدحةً وإن أطنبوا إلّا الذي فيك أفضل
والذّم - كقول بعضهم:

[البسيط]

خلقوا وما خلّقوا لمكرمة فكأنّهم خلّقوا وما خلّقوا

(١) ويسمى الرجوع وهو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة كقول زهير: [الطويل]

قف بالديار التي لم يعفها القدم بكلي وغيرهما الأرواح والذيم
وكقوله: [الطويل]

وما ضاع شعري عندكم حين قلته بلي وأبيكم ضاع فهو يضرع

رُزِقُوا وَمَا رُزِقُوا سَمَاحَ يَدٍ فَكَأَنَّهُمْ رُزِقُوا وَمَا رُزِقُوا

٣٢ - الإبداع

هو أن يكون الكلام مُشتملاً على عدّة أنواع من البديع نحو قول الشاعر:

[الطويل]

فضحتَ الحيا والبحرَ جُودَ فقد بكى الـ حيا من حياءٍ منك والتظّم البحر^(١)

(١) فإن فيه حسن التعليل في قوله بكى من حيائك . وفيه التقسيم في قوله فضحت الحيا والبحر - حيث أرجع ما لكل إليه على التعيين بقوله بكى الحيا، والتظّم البحر . وفيه المبالغة في جعله بكاء الحيا والتظام البحر حياء من الممدوح . وفيه الجمع في قوله فضحت الحيا والبحر . وفيه رد العجز على الصدر في ذكر البحر والبحر . وفيه الجناس التام بين الحيا والحياء - وللقرآن الكريم اليد البيضاء في هذا النوع فقد وجد اثنان وعشرون نوعاً في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَكْرُأُ آبَاكَ مَا هَـذَا وَسَمَاءُ أَقْلِي وَغِيصَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] مع كون الآية سبع عشرة لفظة - ولا بد من ذكرها تبركاً بها وإلجاءاً لبعض المعاصرين الذين يتفوهون بما لا يليق ذكره بالنسبة لكلام رب العالمين .

- ١ ففيها المناسبة التامة بين ابلعي وأقلعي .
- ٢ الاستعارة فيهما .
- ٣ الطباق بين الأرض والسماء .
- ٤ المجاز في قوله يا سماء فإن الحقيقة يا مطر .
- ٥ الإشارة في «وغيض الماء» فإنه عبر به عن معان كثيرة فإن الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلغ الأرض ما يخرج منها من عيون الماء .
- ٦ الإرداف في قوله «واستوت على الجودي» فإنه عبر عن استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى .
- ٧ التمثيل في قوله «وقضي الأمر» فإنه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ بعيد عن الموضوع .
- ٨ التعليل - فإن غيض الماء علة الاستواء .
- ٩ التقسيم فإنه استوفى أقسام الماء حال نقصه .
- ١٠ الاحتراس في قوله «وقيل بعداً للقوم الظالمين» إذ الدعاء يشعر بأنهم مستحقوا الهلاك احتراساً من ضعيف يتوهم أن الفرق لعمومه ربما يشمل غير المستحق .
- ١١ الانسجام فإن الآية منسجمة كالماء الجاري في سلاسته .
- ١٢ حسن التنسيق فإنه تعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن الترتيب .
- ١٣ ائتلاف اللفظ مع المعنى لأن كل لفظة لا يصلح لمعناها غيرها .
- ١٤ الإيجاز فإنه سبحانه وتعالى - أمر فيها ونهى . وأخبر ونادى . ونعت وسمى . وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى - وقص من الأنباء ما لو شرح لجفت الأقلام .

٣٣ - الأسلوب الحكيم

هو تلقي المخاطب بغير ما يترقبه - إمّا بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله - وإمّا بحمل كلامه على غير ما كان يقصد، إشارة إلى أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى، فمثال الأول ما فعله القُبَعثري بالحجاج، إذ قال له الحجاج مُتَوَعِّدًا (لأحملنَّك على الأدهم) يريد القيد الحديد الأسود: فقال القُبَعثري «مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب» يعني الفرس الأسود، والفرس الأبيض، فقال له الحجاج أردت الحديد، فقال القُبَعثري: لأن يكون حديدًا خير من أن يكون بليدًا، ومراده تخطئة الحجاج بأنّ الأليق به الوعد لا الوعيد^(١). ومثال الثاني قوله

- ١٥ التسهيم إذ أول الآية يدل على آخرها.
- ١٦ التهذيب لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحسن لأن كل لفظة سهلة مخارج الحروف. عليها رونق الفصاحة، سليمة من التنافر بعيدة عن عقادة التراكيب.
- ١٧ حسن البيان لأن السامع لا يشكل عليه في فهم معانيها شيء.
- ١٨ الاعتراض وهو قوله وغيض الماء واستوت على الجودي.
- ١٩ الكناية فإنه لم يصرح بمن أغاض الماء. ولا بمن قضى الأمر - وسوى السفينة - ولا بمن قال وقيل بعدًا. كما لم يصرح بقاتل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي في صدر الآية سلوكًا في كل واحد من ذلك سبيل الكناية.
- ٢٠ التعريض فإنه تعالى عرض بسالكي مسالكهم في تكذيب الرسل ظلمًا - وإن الطوفان وتلك الصورة الهائلة ما كانت إلا بظلمهم.
- ٢١ التمكين لأن الفاصلة قارة متمكنة في موضعها.
- ٢٢ الإبداع الذي نحن بصدد الاستشهاد له، وفيها غير ذلك - وقد أفردت هذه الآية الشريفة بتأليف لما اشتملت عليه من البلاغة حتى عدّ بعضهم فيها مائة وخمسين نوعًا، وقد أجمع المعاندون على أن طوق البشير عاجز عن الإتيان بمثلا.
- (١) سبب ذلك أن الحجاج بلغه أن القُبَعثري لما ذكر الحجاج بينه وبين أصحابه في بستان قال: اللهم سود وجهه واقطع عنقه واسقني من دمه. فوشى به إلى الحجاج فلما مثل بين يديه وسأله عن ذلك قال: إنما أردت العنب، فقال له الحجاج ما ذكر - ومثل ذلك قول الشاعر: [مجزوء البسيط]
- | | |
|---------------------------|--|
| ولقد أتيت لصاحبي وسألته | في قرض دينار لأمر كانا |
| فأجابني والله داري ما حوت | عينًا فقلت له ولا إنسانا |
| وسئل تاجر؟ كم رأس مالك. | فقال: إني أمين وثقة الناس بي عظيمة وقال الشاعر: [البسيط] |
| طلبت منه درهمًا | يومًا فأظهر العجب |
| وقال ذا من فضة | يُصنع لا من الذهب |
- وسئل أحد العمال ماذا ادخرت من المال. فقال: لا شيء يُعادل الصحة.

تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّذِينَ وَاللَّذِينَ وَالسَّكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(١) سألوا عن حقيقة ما يُنفقون فأجيبوا ببيان طرق الإنفاق: تنبيهاً على أن هذا هو الأجدر بالسؤال عنه - وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(٢) وقال ابن حجاج:

[الخفيف]

قال ثَقُلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مِرَارًا قُلْتُ ثَقُلْتُ كَاهِلِي بِالْأَيَادِي
قال طَوَّلْتُ قُلْتُ أُولَيْتُ طَوَّلًا قال أBRمْتُ قُلْتُ حَبِلٌ وَدَادِي
فصاحب ابن حجاج يقول له قد ثقلت عليك بكثرة زياراتي، فيصرفه عن رآيه في أدب وظرف، وينقل كلامه من معنى إلى معنى آخر - وكقول الشاعر:

[الطويل]

ولمَّا نَعَى النَّاعِي سَأَلْنَاهُ خَشْيَةً وللعين خوف البين تَسْكَابُ أَمْطَارِ
أَجَابَ قَضَى: قُلْنَا قَضَى حَاجَةُ الْعُلَا فقال مَضَى: قُلْنَا بِكُلِّ فَخَارِ
ويحكى أنه لما توجه خالد بن الوليد لفتح الحيرة أتى إليه مِنْ قَبْلِ أَهْلِهَا رَجُلٌ ذُو
تَجَرِبَةٍ: فقال له خالد فيم أنت؟ قال في ثيابي: فقال علام أنت؟ فأجاب على الأرض -
فقال كم سنك؟ قال اثنتان وثلاثون - فقال أسألك عَنْ شَيْءٍ وَتَجِيبُنِي بغيره: فقال إنما
أجبتك عما سألت.

٣٤ - تشابه الأطراف

تشابه الأطراف قسمان - معنوي ولفظي.

فالمعنوي هو أن يختم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداءه في المعنى. كقول

الشاعر:

[الطويل]

أَلَدَّ مِنَ السُّحْرِ الْحَلَالِ حَدِيثُهُ وَأَعَذَّبُ مِنْ مَاءِ الْغَمَامَةِ رِيْقُهُ
فالريق يناسب اللذة في أول البيت.

واللفظي نوعان - أ - أن ينظر الناظم أو الناثر إلى لفظة وقعت في آخر المصراع

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٥.

(٢) بيان ذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ سألوه عن الأهلة؟ لِمَ تبدو صغيرة، ثم تزداد حتى يتكامل نورها. ثم تتضاءل حتى لا ترى (وهذه مسألة دقيقة من علم الفلك) تحتاج إلى فلسفة عالية وثقافة عامة لفصرتهم عنها ببيان أن الأهلة وسائل للتوقيت في المعاملات والعبادات إشارة إلى أن الأولى بهم أن يسألوا عن هذا، سورة البقرة: الآية ١٨٩.

الأول أو الجملة فيبدأ بها المصراع الثاني أو الجملة التالية كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورٍ
كَتَشْكُرُ فِيهَا مَصْبَاحُ الْيَصْبَاحِ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾^(١) وكقول أبي تمام:

[الطويل]

هَوَى كَانَ خِلْسًا إِنَّ مِنْ أَبْرَدِ الْهَوَى هَوَى جُلْتُ فِي أَفْيَائِهِ وَهُوَ خَامِلٌ
ب - أن يعيد الناظم لفظة القافية من كل بيت في أول البيت الذي يليه .
كقوله :

[الطويل]

رَمَثْنِي وَبَسْتُ اللَّهَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا رَمِيمٌ
رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لَجِيرَانِ بَيْتِهَا رَمِيمٌ
وَكَقَوْلِهِ :

[الطويل]

إِذَا نَزَلَ الْحِجَاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً تَتَّبِعُ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا غَلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ سَقَاهَا
سَقَاهَا فَرَوَّاهَا بِشَرْبِ سَجَالِهَا دَمَاءُ رِجَالٍ حَيْثُ مَالِ حِشَاهَا

٣٥ - العكس

هو أن تُقدِّم في الكلام جزءاً تم عكس بأن تقدِّم ما أخرت وتؤخر ما قدمت ويأتي
على أنواع - أ - أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليه ذلك الطرف نحو كلام
الملوك ملوك الكلام - وكقول المتنبي :

[الطويل]

إِذَا أَمْطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَابَةٌ فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلُّكَ وَابِلٌ
ب - أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين . كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْمَيِّتِ
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٢).

ج - أن يقع بين لفظين في طرفي الجملتين . كقوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ
يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾^(٣).

د - أن يقع بين طرفي الجملتين . كقول الشاعر:

[الطويل]

طَوَيْتُ بِإِحْرَازِ الْفَنُونِ وَتَيْلُهَا رِءَاءَ شَبَابٍ وَالْجَنُونِ فُنُونٌ

(٢) سورة آل عمران: الآية ٢٧.

(١) سورة النور: الآية ٣٥.

(٣) سورة الممتحنة: الآية ١٠.

فحين تعاطيت الفنون وحظها تبين لي أن الفنون جنون
هـ - أن يكون بترديد مصراع البيت معكوسًا . كقول الشاعر :

[الخفيف]

إن للوجد في فؤادي تراكم ليت عيني قبل الممات تراكم
في هواكم يا سادتي متَّ وجدًا مت وجدًا يا سادتي في هواكم

٣٦ - تجاهل العارف

هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه لنكتة كالتوبيخ في قوله :

[الطويل]

أيا شجر الخابور ما لك مورقًا كأنك لم تجزع على ابن طريف
أو المبالغة في المدح كقوله :

[البسيط]

ألمع برقي سري أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي
أو المبالغة في الذم كقوله :

[الوافر]

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء
أو التعجب نحو: ﴿أَفَيْحَرُ هَذَا أَمْ أَنْتَرُ لَا بُعْرُوكَ﴾ (١٥) وغير ذلك من
الأغراض .

تمرين (١)

بين الأنواع البديعية فيما يلي .

١ - قال بعضهم في وصف إبل :

[الكامل]

صلبُ العَصَا بالضُّرب قد أدامها توذُّ أن الله قد أُنْشَاهَا
٢ - وفي وصف إبل هزيلة .

(١) سورة الطور: الآية ١٥ .

١ - الضرب لفظ مشترك بين الضرب بالعصا وهو المعنى القريب - والسير في الأرض وهو المعنى البعيد المراد بالتورية .

٢ - فيه مراعاة النظير إذ وصف البحتري الإبل بالنحول فشبهها بأشياء متناسبة وهي القسي والأسهم المبرية والأوتار .

[الخفيف]

٣ - كَالْقِسَى الْمَعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسْ هُمُ مَبْرِيَّةٌ بِلِ الْأَوْتَارِ

[البسيط]

٣ - وَلِلْغَزَالَةِ شَيْءٌ مِنْ تَلَقُّتِهِ وَنُورَهَا مِنْ ضِيَا خَذْيَةِ مُكْتَسَبِ

[البسيط]

٤ - أَفْنَى جُيُوشِ الْعَدَا عَزَّوَا فَلَسْتُ تَرَى سِوَى قَتِيلٍ وَمَأْسُورٍ وَمَنْهَزَمِ

[الطويل]

٥ - وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ ذَوِي النَّدَى خِسَاسٌ إِذَا قَيْسُوا بِهِمْ وَلِنَامِ

[الطويل]

٦ - عَلَى رَأْسِ عَبْدٍ تَاجٌ عِزُّ يَزِينُهُ وَفِي رَجُلٍ حُرٌّ قَيْدٌ ذُلٌّ يَشِينُهُ

[الطويل]

٧ - إِذَا لَمْ تَفِضْ عَيْنِي الْعَقِيقَ فَلَا رَأَتْ مَنَازِلَهُ بِالْقُرْبِ تَبْهَى وَتَبْهَرُ

تمرين (٢)

[الطويل]

١ - فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُقْبَلٌ وَلَا الْبَخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُدْبِرٌ

٢ - رَحِمَ اللَّهُ مَنْ تَصَدَّقَ مِنْ فَضْلٍ أَوْ آسَى مِنْ كِفَافٍ، أَوْ آثَرَ مِنْ قُوَّةٍ.

[الكامل]

٣ - رَأَى الْعَقِيقَ فَأَجْرَى ذَاكَ نَاطِرُهُ مُتِمِّمٌ لَجٍّ فِي الْأَشْوَاقِ خَاطِرُهُ

[الكامل]

٤ - أَرَأَيْكُمْ وَوُجُوهَكُمْ وَسُيُوفَكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَزُونَ نَجُومَ

٣ - فِي اسْتِخْدَامِ إِذَا أَرَادَ بِالْغَزَالَةِ الْحَيَوَانَ الْمَعْرُوفَ - وَبِضْمِيرِ نُورَهَا الْغَزَالَةُ بِمَعْنَى الشَّمْسِ.

٤ - فِيهِ تَقْسِيمٌ إِذْ هُوَ قَدْ اسْتَوْفَى جَمِيعَ أَقْسَامِ جَيْشِ الْعَدُوِّ بِحَصْرِهَا فِي الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ.

٥ - فِيهِ تَأْكِيدُ الْمَدْحِ بِمَا يَشَبْهُ الذَّمَّ فَإِنَّهُ اسْتَنْتَى مِنْ صِفَةِ ذَمٍّ مَنُفِيَةٍ صِفَةً مَدْحٍ.

٦ - فِيهِ مَقَابِلَةٌ بَيْنَ سِتَّةٍ وَسِتَّةٍ فَقَدْ قَابَلَ بَيْنَ عَلَى وَفِي - رَأْسٍ وَرَجُلٍ - حُرٍّ وَعَبْدٍ - تَاجٍ وَقَيْدٍ - عِزٍّ وَذُلٍّ - يَزِينُ وَيَشِينُ.

٧ - فِيهِ اسْتِخْدَامُ إِذِ الْعَقِيقِ هُنَا الدَّمُ الشَّبِيهِ بِالْعَقِيقِ فِي الْحُمْرَةِ - وَالضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَيْهِ بِاعْتِبَارِهِ الْوَادِي الْمَعْرُوفَ بِظَاهِرِ الْمَدِينَةِ بِلَادِ الْحِجَازِ.

١ - فِيهِ مَقَابِلَةٌ بَيْنَ الْجُودِ وَالْبَخْلِ - يَفْنَى وَيَبْقَى - مُقْبِلٌ وَمُدْبِرٌ.

٢ - فِيهِ تَقْسِيمٌ بِاسْتِثْنَاءِ أَقْسَامِ الشَّيْءِ لِأَنَّ طَبَقَاتِ النَّاسِ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ لَيْسَ غَيْرُ.

٣ - فِيهِ اسْتِخْدَامُ فَالْعَقِيقِ أَوَّلًا الْمَكَانَ الْمَعْلُومَ فِي بِلَادِ الْحِجَازِ - وَالضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَيْهِ بِمَعْنَى الْحَجَرِ الْمَعْرُوفِ، وَقَدْ شَبَّ دُمُوعَهُ بِهِ.

٤ - فِيهِ الْجَمْعُ فَقَدْ جُمِعَ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ.

[البسيط]

٥ - ما زُلْزِلْتُ مصرَ مِنْ كَيْدِ أَلَمَ بِهَا لكنها رَقَصْتُ مِنْ عَدْلِكُمْ طَرَبًا

[الطويل]

٦ - أُرَاعِي النَجْمَ فِي سِيرِي إِلَيْكُمْ ويرعاهُ مِنْ الْبَيْدَا جَوَادِي

[أخذ الكامل]

جاءني ابني يومًا وكنت أراه لِي رَيْحَانَةٌ وَمُضْدَرٌّ أَنْسَ
قال ما الروح؟ قلت إنك روحي قال ما النفس؟ قلتُ إنك نفسي

تطبيق عام على البديع المعنوي

[مجزوء الرمل]

يا سيدا حاز لطفًا له البرايا عبيدُ
أنت الحسين ولكن جفاك فينا يزيدُ
في هذا الكلام تورية مهيأة بلفظ قبلها . فإن ذكر «الحسين» لازم لكون «يزيد» اسمًا
بعد احتمال الفعل المضارع المورى عنه .

[المتدارك]

حُماة في بهجتها جنة وهي من الغمّ لنا جُنَّة
لا تياسوا من رحمة الله فقد رأيتُ العاصي في الجنة
في هذا الكلام تورية مرشحة . فإن ذكر الرحمة ترشيح للفظ العاصي المورى به
الذي هو من العصيان . والمورى عنه النهر المعروف الذي عبر حماه :

[الرمل]

فإن ضيَّعتُ فيه جميع مالي فكم من لحية حلقت بموسى
فيه التورية المرشحة بذكر اللحية والحلق وهما يناسبان المورى به وهو «موسى»
الحديد، والمورى عنه الاسم المذكور :

[الخفيف]

يا عذولي في مغنٍ مطرب حرك الأوتار لما سفرا
لم تهز العطف منه طربًا عندما تسمع منه وترا
فيه تورية في لفظ «وترًا» معناه البعيد المراد هو الرؤية . والقريب أحد الأوتار -
ولفظ «تسمع» هيا قوله «وترًا» للتورية بالرؤية .

٥ - فيه حسن التعليل فقد جعل علة زلزال مصر طربًا من عدل الممدوح لا لمكروه نزل بها .

٦ - فيه استخدام إذ النجم الأول الكوكب . وأعاد عليه الضمير بمعنى النبات الذي لا ساق له .

[السريع]

سألته عن قوميه فأثنى يعجب من أفراد دمعي السَّخي
 وأبصر المسك وبدر الدُّجى فقال ذا خالي وهذا أخي
 فيه تورية في لفظ «خالي» معناه البعيد المراد النقطة السوداء في الخد. والقريب
 أخ الأم. ولفظة «أخي» هي التي هيأت خالي للتورية - وهي بعيدة:

[الوافر]

وساقية تدور على الندامى وتهزم لسرعة شرب خمر
 سنشكر يوم لهو قد تقضى بساقية تقابلنا بنهر
 «الساقية» امرأة تسقي الراح وهذا هو المعنى القريب - أو ساقية الماء وهو المعنى
 البعيد. وكل منهما مذكور للتورية في صاحبه، ومهيء لها فيه.

الباب الثاني

في المحسنات اللفظية

١ - الجناس^(١)

يقال له التجنيس، والتجانس، والمجانسة؛ ولا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى ووازى مصنوعه مطبوعه مع مُرعاة النّظير، وتمكّن القرائن فينبغي أن ترسل المعاني على سجيّتها لتكتسي من الألفاظ ما يزينها حتى لا يكون التّكلف في الجناس مع مراعاة الإلتزام؛ موقعًا صاحبه في قول من قال: طبع المُجنّس فيه نوع قيادة أو ما ترى تأليفه للأحرف.

وبملاحظة ما قدّمنا يكون فيه استدعاء لميل السامع والإصغاء إليه لأن النفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه ويأخذها نوع من الاستغراب والجناس أن يتفق اللفظان في النّطق ويختلفا في المعنى.

(١) تلخيص القول في الجناس أنه نوعان. تام. وغير تام - فالتام هو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة، هي نوع الحروف. وشكلها. وعددها. وترتيبها، وغير التام. هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المتقدمة كقول الشاعر: [الطويل]

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن إلى ردّ أمر الله فيه سبيل

وكقول ابن الفارض: [الكامل]

هلاً نهاك نهاك عن لوم امرئ لم يُلف غير مُتّعم بشقاء

وكقوله: [البسيط]

لو زارنا طيف ذات الخال أحياناً ونحْنُ في حفر الأجدات أحياناً

وقول الخنساء: [مجزوء الكامل]

إن البكاء هو الشفا ء من الجوى بين الجوانح

وقول المعري: [البسيط]

لم نلق غيرك إنساناً يُلاذ به فلا برحت لعين الدهر إنساناً

وقول الحريري: لا أعطي زمني مَنْ يُخَوِّر دمامي ولا أغرس الأيادي في أرض الأعادي

وهو ينقسم إلى نوعين لفظي - ومعنوي .

أنواع الجناس اللفظي

١ - منها الجناس التام وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء، نوع الحروف، وعددها، وهيئاتها، وترتيبها مع اختلاف المعنى .

فإن كانا من نوع واحد كاسمين أو فعلين أو حرفين سُميَ مماثلًا ومستوفيًا - نحو ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِرُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبَثُوا عَيْرَ سَاعَةٍ﴾^(١) فالمراد بالساعة الأولى يوم القيامة، وبالثانية واحدة الساعات الزمانية ونحو: رَحْبَةً رَحْبَةً - الأولى فناء الدار، والثانية بمعنى واسعة وإن كانا من نوعين كفعل واسم، سُميَ مستوفيًا نحو ارع الجار ولو جار - وكقول الشاعر:

[الكامل]

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبد الله
فيحيا الأول فعل مضارع، ويحيى الثاني عَلم الكريم الممدوح . ونحو:

[السريع]

إذا رماك الدهر في معشر قد أجمع الناسُ على بُغْضهم
فدارهم ما دُمْتُ في دراهم وأرضهم ما دُمْتُ في أرضهم
وأما الجناس الناقص فهو ما اختلف فيه اللفظان في عدد الحروف واختلافهما يكون إما بزيادة حرف في الأول نحو داوم الحال من المحال .

أو في الوسط نحو: جَدِّي جَهْدِي، أو في الآخر نحو: الهوى مطية الهوان، والأول يسمى «مردوفًا» والثاني يسمى «مكتنفًا» والثالث يسمى «مطرَفًا» .

٢ - ومنها الجناس المطلق - وهو توافق ركنيه في الحروف وترتيبها بدون أن يجمعها اشتقاق، كقوله ﷺ - أَسْلَمَ سَالِمَهَا اللَّهُ وَغَفَارُ غَفَرِ اللَّهُ لَهَا؛ وَغُصِيَّةٌ غُصَّتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ .
فإن جمعهما اشتقاق - نحو ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾^(٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ فقليل يُسَمَّى جناس الاشتقاق^(٣) .

(١) سورة الروم: الآية ٥٥ .

(٢) سورة الكافرون: الآيتان ٢، ٣ .

(٣) كقوله: [الطويل]

فيا دمع انجدني على ساكني نجد

وكقوله: [الخفيف]

وإذا ما رباح جودك هبَّت صار قول العذول فيه هباء =

- ٣ - ومنها الجناس المُذِيل - «والجناس المُطَرَف» .
 فالأول يكون الاختلاف بأكثر من حرفين في آخره .
 والثاني يكون بزيادة من حرفين في أوله .
 فالمذيل - كقول أبي تمام :

[الطويل]

يَمْدُون من أيدٍ عواصٍ عواصِمِ تصول بأسياف قواض قواضب
 والمطرَف - كقول الشيخ عبد القاهر :

[الطويل]

وكم سبقت منه إليَّ عوارف ثنائي على تلك العوارف وارف
 وكم غرر من برّه ولطائف لشكري على تلك اللطائف طائف
 ٤ - ومنها الجناس المضارع - «والجناس اللاحق» .

فالأول يكون باختلاف ركنيه في حرفين لم يتباعدة مخرجًا إمّا في الأول، نحو ليل دامس وطريق طامس .

وإما في الوسط - نحو ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعُونَ عَنْهُ﴾^(١) .
 وإمّا في الآخر نحو - الخيل معقود في نواصيها الخير .
 والثاني يكون في متباعدتين، إمّا في الأول، نحو ﴿هُمَزَوْا لَمَزَوْا﴾^(٢) .

=
 وقول النابغة : [الطويل]

فيا لك من حزم وعزم طواهما جديد الردى بين الصفا والصفائح

وقول البحتري : [الوافر]

نسيم الروض في ريح شمال وصبوب المزن في راح شمول

وكقول الحريري : لهم في السير جري السيل وإلى الخير جري الخيل

وكقول البستي : [الوافر]

بسياف الدولة اتسقت أمور رأيناها مُبَدَّدة النظام

وكقول السبكي : [الكامل]

كن كيف شئت عن الهوى لا أنتهي حتى تعود الحياة وأنت هي

وكقوله : [الوافر]

سَمًا وَحَمَى بَنَى سَامٍ وَحَامٍ فليس كمثله سام وحام

وقول أبي نواس : [الكامل]

عباسٌ عباسٌ إذا احتدم الوغى والفضل فضلٌ والربيعُ ربيع

(٢) سورة الهمة: الآية ١ .

(١) سورة الأنعام: الآية ٢٦ .

وإِذَا فِي الْوَسْطِ، نحو ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ (١).
وإِذَا فِي الْآخِرِ نحو ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْحَافٍ أَذَاعُوا بِهِ﴾ (٢).

٥ - ومنها «الجناس اللفظي» - وهو ما تماثل ركناه لفظًا، واختلف أحد ركنيه عن الآخر خطأ - إما بالكتابة (بالنون والتنوين).
وإما بالاختلاف (في الضاد والظاء - أو الهاء والتاء).
فالأول - نحو:

[الرجز]

أَعَذَّبَ خَلَقَ اللَّهُ نَطَقًا وَفَمَا إِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَقَّ بِالْحُسْنِ فَمَنْ
مِثْلَ الْغَزَالِ نَظْرَةً وَلَفْتَةً مَنْ ذَا رَأَاهُ مَقْبَلًا وَلَا افْتَتَنَ
والثاني - نحو ﴿وَبُيُوتُهُمْ يُؤْمِلُونَ فَاَصْرُهُ﴾ (١١) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿١٢﴾ (٣) وكقول أبي فراس:

[الكامل]

وَمَا كُنْتَ تَصْبِرُ فِي الْقَدِيدِ مَ فَلَمْ صَبِرْتَ الْآنَ عَنَّا
وَلَقَدْ ظَنَنْتُ بِكَ الظَّنَّ نَ لِأَنَّهُ مِنْ ضَنْ ظَنَّنَا
والثالث - كقوله:

[البسيط]

إِذَا جَلَسْتَ إِلَىٰ قَوْمٍ لِّتُؤَنِّسَهُمْ بِمَا تَحَدَّثُ مِنْ مَاضٍ وَمِنْ آتٍ
فَلَا تَعِيدُنْ حَدِيثًا إِنْ طَبِعَهُمُوا مُوَكَّلٌ بِمُعَادَاةِ الْمُعَادَاتِ
٦ - ومنها - الجنس المُحَرَّفُ - و«الجناس المُصَحَّفُ».

فالأول - ما اختلف ركناه في هَيَاتِ الحروف أي حركاتها وسكناتها نحو جُبَّةُ الْبُرْدِ
جُبَّةُ الْبُرْدِ.

والثاني - ما تماثل رُكْنَاهُ وَضْعًا واختلفا نَقْطًا، بحيث لو زال إعجام أحدهما لم يَتَمَيَّز
عَنِ الْآخَرِ - كقول بعضهم: غَزَّكَ عَزُّكَ، فَصَارَ قَصَارَىٰ ذَٰلِكَ ذَٰلِكَ. فَاخْشَ فَاجْشَ فَعَلَّكَ
- فَعَلَّكَ بِهَذَا تَهْتَدِي. ونحو إِذَا زَلَّ الْعَالِمُ زَلَّ بَزَلَّتْهُ الْعَالَمُ - وكقول أبي فراس:

[مجزوء الكامل]

مَنْ بَحَرَ شَعْرَكَ أَغْتَرَفَ وَبِفَضْلِ عِلْمِكَ أَعْتَرَفَ
٧ - ومنها الجنس المركَّب - و«الجناس المُلْفَقُ».

(١) سورة العاديات: الآيتان ٧، ٨.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٣.

(٣) سورة القيامة: الآية ٢٣.

فالأول - ما اختلف رُكناه إفرادًا وتركيبًا .

فإن كان من كلمة وبعض أخرى سُمِّي مرفُوعًا - كقول الحريري :

[الطويل]

ولا تَلَّه عن تذكّار ذنبك وابكه بدمع يضاهي المُنْزُ حال مصابه
ومثّل لعينيك الحمام ووقعه وروعة مُلقاه ومطعم صابه
وإن كان من كلمتين - فإن اتفق الركنان خطًا سُمِّي مقرونا - كقوله :

[المجتث]

إذا ملك لم يكن ذا هبّه فدعه فدولته ذاهبه
وألّا سُمِّي مفروقًا - كقوله :

[الكامل]

لا تعرضنّ على الرواة قصيدة ما لم تكن بالغت في تهذيبها
فإذا عرضت الشعر غير مهذب عدّوه منك وساوسا تهذي بها
والثاني - وهو الملقق يكون بتركيب الركنين جميعًا - كقوله :

[الوافر]

وليتّ الحكم خمسًا وهي خمس لعمرى والصّبا في العنفوان
فلم تضع الأعادي قدر شاني ولا قالوا فلان قد رشاني
٨ - ومنها «جناس القلب» وهو ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب الحروف نحو
حسامه فتح لأوليائه، وحف لأعدائه «ويسمى قلب كلّ» لانعكاس الترتيب .

ونحو - اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، ويسمى قلب بعض .

ونحو: رحم الله أمراً أمسك ما بين فكّيه وأطلق ما بين كفّيه . وإذا وقع أحد
المتجانسين في أول البيت والآخر في آخره سُمِّي مقلوبًا مُجنّحًا كأنه ذو جناحين -
كقوله : لاح أنوار الهدى من كفه في كل حال .

وإذا وليّ أحد المتجانسين الآخر قيل له «المزدوج» .

وإن كان التركيب بحيث لو عكس حصل «بعينه» فالمستوى وهو أخصّ من
المقلوب المجنّح، ويسمى أيضًا «ما لا يستحيل بالإنعكاس» نحو ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾^(١)
ونحو ﴿وَرَبِّكَ فَكَيْزٌ﴾^(٢) .

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٣ .

(٢) سورة المدثر: الآية ٣ .

أنواع الجناس المعنوي

جناس إضمار - وجناس إشارة.

أ - «فجناس الإضمار» أن تأتي بلفظ يُحضر في ذهنك لفظًا آخر وذلك اللفظ المحضر يُراد به غير معناه بدلالة السياق - كقوله:

[البسيط]

منعم الجسم تحكي الماء رِقته وقلبه قسوة يحكي أبا أوس
وأوس شاعر مشهور من شعراء العرب. واسم أبيه حجر. فلفظ أبي «أوس» يحضر في الذهن اسمه وهو حجر؛ وهو غير مراد؛ وإنما المراد الحجر المعلوم - وكان هذا النوع في مبدئه مستكراً. ولكن المتأخرين ولعوا به، وقالوا منه كثيراً. فمن ذلك قول البهاء زهير:

[الرجز]

وجاهل طال به عنائي لازمني وذاك من شقائي
أبغض للعين من الأعداء أثقل من شماتة الأعداء
فهو إذا رآته عين الرائي أبو معاذ أو أخو الخنساء
ب - «وجناس الإشارة» هو ما ذكر فيه أحد الركنين، وأشير للآخر بما يدل عليه - وذلك إذا لم يساعد الشعر على التصريح به - نحو:

[مجزوء الرجز]

يا حمزة اسمح بوصل وامنن علينا بقرب
في ثغرك اسمك أضحى مصحفاً وبقلمي
فقد ذكر أحد المتجانسين وهو حمزة. وأشار إلى الجناس فيه بأن مصحفه، في ثغره، أي خمرة - وفي قلبه، أي جمرة.
واعلم أنه لا يُستحسن الجناس إلا إذا جاء عفواً وسمح به الطبع من غير تكلف.

٢ - التصحيف

هو التشابه في الخط بين كلمتين فأكثر: بحيث لو أزيل أو غير نقط كلمة كانت عين الثانية، نحو التخلي، ثم التَّحلي، ثم التَّجلي.

٣ - الازدواج

هو تجانس اللَّفظين المتجاورين: نحو مَنْ جَدَّ وَجَدَّ، ومن لَجَّ وَلَجَّ.

٤ - السجع

هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير - وأفضله ما تساوت فقرته وهو ثلاثة أقسام:

أولها المطرّف - وهو ما اختلفت فاصلته في الوزن، واتفقتا في الحرف الأخير، نحو قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۖ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (١).

وكقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ يَهْدًا ۖ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (٢).

ثانيها المُرّصع - وهو ما كان فيه ألفاظ إحدى الفقرتين كلها أو أكثرها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى وزنًا وتقفية، كقول الحريري، هو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرعُ الأسماع (٣) بزواجر وعظه.

ثالثها المتّوازي، وهو ما كان الاتفاق فيه في الكلمتين الأخيرتين فقط، نحو قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرٌّ مَرْفُوعَةٌ ۖ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ (٤) لاختلاف سرر وأكواب وزنًا وتقفية، ونحو قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفًا ۖ فَأَلَمِصْنَتِ عَصْفًا﴾ (٥) لاختلاف المرسلات والعاصفات وزنًا فقط، ونحو: حسد الناطق والصّامت، وهلك الحاسد والصّامت - لاختلاف ما عدا الصّامت والصّامت تقفية فقط.

والأسجاع مبنية على سكون أو آخرها، وأحسن السجع ما تساوت فقرته، نحو قوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۖ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ۖ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ (٦).

ثم ما طالت فقرته الثانية؛ نحو ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاجِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (٧) ثم ما طالت ثالثته، نحو ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۖ إِذْ هُرِّ عَلَيْهَا قُودٌ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ (٨) ولا يحسن عكسه، لأن السامع ينتظر إلى مقدار الأول، فإذا انقطع دونه أشبه العثار (٩)، ولا يحسن السجع إلا إذا كانت المفردات رشيقة،

(٢) سورة النبا: الآية ٧.

(١) سورة نوح: الآية ١٣.

(٣) ولو أبدلت الأسماع بالأذان كان مثالا للأكثر: وسمي سجعا تشبيها له بسجع الحمام، وفواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الإعجاز موقوفا عليها لأن الغرض أن يزوج بينها ولا يتم ذلك إلا بالوقف.

(٥) سورة المرسلات: الآية ٢.

(٤) سورة الغاشية: الآية ١٣.

(٧) سورة النجم: الآيتان ١، ٢.

(٦) سورة الواقعة: الآيات ٢٨ - ٣٠.

(٨) سورة البروج: الآيات ٥ - ٧.

(٩) يعني أنه لا يحسن أن يؤتى في السجع بفقرة أقصر مما قبلها كثيرا لأن السمع إذا استوفى أمده من الأولى لطلوها ثم جاءت الثانية أقصر منها يكون كالشيء المبتور.

والألفاظ خدم المعاني، ودلّت كل من القرينتين على معنى غير ما دلّت عليه الأخرى، وحينئذ يكون حلية ظاهرة في الكلام، والسجع موطنه النثر، وقد يجيء في الشعر: كقوله:

[البسيط]

فَنَحْنُ فِي جَزَلٍ وَالرَّوْمُ فِي وَجَلٍ وَالْبَرّ فِي شُغْلٍ وَالْبَحْرُ فِي خَجَلٍ
ولا يستحسن السجع أيضًا إلا إذا جاء عفواً خالياً من التكلف والتصنع.

٥ - الموازنة

هي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التفقيه، نحو - ﴿وَنَارُكُ مَصْفُوءَةٌ ﴿٥﴾ وَزَكَايُ مَبْثُوءَةٌ ﴿١١﴾﴾^(١) فإن مصفوفة ومبثوة متفقان في الوزن دون التفقيه، نحو:

[المقارب]

أَفَادَ فساد وقاد فزاد وساد فجاد وعاد فأفضل

٦ - الترصيع

هو توازن الألفاظ مع توافق الأعجاز أو تقاربها - مثال التوافق نحو - ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نِيعٍ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾^(٢) - ومثال التقارب نحو - ﴿وَأَيُّهَا الْكُتَّابُ الْمُسَيِّئِينَ ﴿١٧﴾ وَهَذَيْنِهُمَا الضَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٨﴾﴾^(٣).

٧ - التشريع

هو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما - كقوله:

[الكامل]

يا خاطَبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَةُ إِنِّهَا شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَقْذَارِ
دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غداً تَبّاً لها من دار
وإذا أظللّ سحابها لم ينتفع منه صدى لجهامه الغرّار
غاراتها لا تنقضي وأسيرها لا يُفتدى بجلائل الأخطار
فيصح الوقوف على الأقدار، ودار، والغرار، والأخطار.

فتكون من بحر الكامل، ويصح الوقوف على الرّدى، وغدا، وصدى، ويفتدى

(١) سورة الغاشية: الآية ١٦.

(٢) سورة الانفطار: الآية ١٣.

(٣) سورة الصافات: الآيتان ١١٧، ١١٨.

وتكون من مجزوء الكامل - وتقرأ هكذا :

[مجزوء الكامل]

يَّة إنَّها شرك الرَّدَى
في يومها أبكت غدا
لم ينتفع منه صدى
وأسيرها لا يفتدى

يا خاطب الدُّنيا الدُّنَى
دار متى ما أضحككت
وإذا أظللَّ سحابها
غارتها لا تنقضي
وكقوله :

[الكامل]

ما في الكرام له نظير يُنظرُ
ما كان في الدنيا فقير معسر

يا أيها الملك الذي عمَّ الورى
لو كان مثلك آخر في عصرنا
إذ يمكن أن يقال :

[مجزوء الكامل]

ما في الكرام له نظير
ما كان في الدنيا فقير

يا أيها الملك الذي
لو كان مثلك آخر

٨ - لزوم ما لا يلزم

هو أن يجيء قبل حرف الرّويِّ أو ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في التقفية
كالتزمام حرف وحركة أو إحداهما يحصل الرّويُّ أو السجع بدونه - نحو قول الطغرائي :

[البسيط]

وحلية الفضل زانتني لدى العطلِ

أصالة الرأي صانتني عن الخَطَلِ

وكقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۖ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۖ ﴿١٠﴾ ۝ ^(١)

وكقوله :

[الكامل]

مهلاً فإن مدامعي تُطفئ
واحرص على قلبي فإنك فيه

يا مُحرقاً بالنَّار وَجْهَ محبِّه
أحرق بها جسدي وكل جوارحي
وقد يلتزم أكثر من حرف كقوله :

[السريع]

فهم يمرّون ولا يعذبون
فإنّهم من عهدهم يكذبون

كل واشرب الناس على خبيرة
ولا تصدقهم إذا حدّثوا

٩ - التصدير «أو» رد العجز على الصدر

أ - هو في النثر أن يُجعل أحد اللفظين المكررين أو المُتجانسين . أو المُلحقين بهما «بأن جمعهما اشتقاق أو شبهه» أحدهما في أول الفقرة - والثاني في آخرها، نحو ﴿وَتَحْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَحْشَنَهُ﴾^(١) وقولك: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل، الأول من السؤال، والثاني من السيلان.

وكقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾^(٢).

ب - هو في النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر: إمّا في صدر المصراع الأول، أو في حشوه - أو في آخره^(٣). وإمّا في صدر المصراع الثاني - نحو قوله:

[الطويل] سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى بسريع
وقوله:

[الوافر] تمتّع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار
وقوله:

[الطويل] ذوائب سود كالعناقد أرسلت فمن أجلها منّا النفوس ذوائب

١٠ - ما لا يستحيل بالانعكاس

هو كون اللفظ يقرأ طردًا وعكسًا، نحو كن كما أمكنك ﴿وَرَبِّكَ فَكَّرٍ﴾^(٤) وكقوله:

[الوافر] مودّته تدوم لكلّ هولٍ وهل كلّ مودّته تدوم

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٧.

(٢) سورة نوح: الآية ١٠.

(٣) كقوله: [الطويل]

ومن كان بالببيض الكواعب مغرمًا

فما زلت بالببيض القواضب مغرمًا

(٤) سورة المدثر: الآية ٣.

١١ - المواربة

هي أن يجعل المتكلم كلامه بحيث يمكنه أن يغيّر معناه بتحريف أو تصحيف، أو غيرهما ليسلم من المؤاخذه - كقول أبي نواس:

[المتقارب]

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع عقد على خالصه
فلما أنكر عليه الرشيد ذلك، قال لم أقل إلا:

[المتقارب]

لقد ضاء شعري على بابكم كما ضاء عقد على خالصه

١٢ - ائتلاف اللفظ مع اللفظ

هو كون ألفاظ العبارة من واد واحد في الغرابة والتأمل - كقوله تعالى: ﴿تَأَلَّوْا تَقْتَوُوا تَذَكَّرْ يُونُسَ﴾^(١) لما أتى بالتاء التي هي أغرب حروف القسم أتى «بتفتا» التي هي أغرب أفعال الاستمرار.

١٣ - التسميط

هو أن يجعل الشاعر بيته على أربعة أقسام - ثلاثة منها على سجع واحد بخلاف قافية البيت - كقول جنوب الهذلية:

[المتقارب]

وحَرْبٍ ورُدَّتْ وَغُرٍ سَدَدَتْ وَعَلَجٍ شَدَدَتْ عَلَيْهِ الْجَبَالَا
وقوله الآخر:

[البسيط]

فِي ثَغْرِهِ لَعَسَ فِي خَدِّهِ قَبَسٌ فِي قَدِّهِ مَيْسٌ فِي جِسْمِهِ تَرْفٌ

١٤ - الانسجام أو السهولة

هو سلامة الألفاظ وسهولة المعاني مع جزالتها وتناسبهما كقول الشاعر:

[المنسرح]

مَا وَهَبَ اللَّهُ لِمَرِيءٍ هِبَةً أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ
هَما كمال الفتى فإن فُقدا ففقدته للحياة أليق به

١٥ - الاكتفاء

الاكتفاء أن يحذف الشاعر من البيت شيئاً يستغني عن ذكره بدلالة العقل عليه كقول الشاعر:

[المقارب]

فإنَّ المنيَّةَ من يخشَها فسوف تصادُّمه أينما
أي أينما تَوَجَّه^(١).

١٦ - التطريز

هو أن يكون صدر النثر أو الشعر مشتملاً على ثلاثة أسماء مختلفة المعاني، ويكون العجز صفة متكررة بلفظ واحد كقول القائل:

[الوافر]

وتسقيني وتشرب من رحيق خليق أن يُلقَّب بالحُلوق
كأنَّ الكأس في يدها وفيها عقيق في عقيق في عقيق

نموذج

بين ما في الأبيات الآتية من المحسنات اللفظية:

[الرجز]

١ - عضنا الدهر بنابة ليت ما حل بنابه

[مجزوء الوافر]

٢ - إلى حتفي سعى قدمي أرى قدمي أراق دممي

(١) وكقوله: [الكامل]

ما للنوى ذنب ومن أهوى معي
وكقوله: [المجتث]

يا لائم في هواها أفرطت في اللوم جهلا
ما يعلم الشوق إلا ولا الصبابة إلا
وكقوله: [البسيط]

ضلوا عن الماء سروا سحرًا قومي فظلوا حيارى يلهثون ظما
والله أكرمني بالماء بعدُمو فقلت يا ليت قومي يعلمون بما =

١ - فيه جناس تام بين (بنابه) الأولى أحد أنياب الأسنان (بنابه) الثانية المركبة من (بنا) و(به).

٢ - فيه جناس تام بين أرى قدمي أي أنظر قدمي أراق دممي أي صب وأهدر دممي أي قتلني بلا دية.

[الوافر]

- ٣ - لئن أخطأتُ في مدحك ما أخطأتُ في منعي
لقد أنزلتُ حاجاتي بـوَاد غـيـر ذي زرع
٤ - في الحديث اللهم اعط منفقًا خلفًا واعط ممسكًا تلفًا.

[مجزوء الكامل]

- ٥ - قد بلينا في عصرنا بأناس يظلمون الأنام ظلمًا عَمَّا
يأكلون التراث أكلًا لَمَّا ويحبّون المال حبًّا جَمَّا
٦ - وإن أقرّ على رَقّ أنامله أقر بالرق كُتَّاب الأنام له

[البسيط]

وكقوله: [الطويل]

- الدمع قاض بافتضاحي في هوى ظبي يغار الغصن منه إذا مشى
وغدا بوجدي شاهد ووشى بما أخفي فيالله من قاض وشا
وكقوله:

لا أنتهي لا أنشني لا أرعوي ما دمت في قيد الحياة ولا إذا

- ٣ - في الشطر الأخير من البيت الثاني اقتباس من الآية الكريمة ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُونِ بَوَائِي غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].
٤ - فيه سجع مرصع لأن إحدى الفقرتين كالثانية في الوزن والتقفية.
٥ - في البيت الثاني اقتباس من القرآن الكريم من سورة الفجر ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ۝١٩﴾ [الفجر: ١٩ - ٢٠].
٦ - فيه جناس تام بين أنامله والأنام له.

خاتمة

في السرقات الشعرية وما يتبعها

السرقة - هي أن يأخذ الشخص كلام الغير وينسبه لنفسه :

وهي ثلاثة أنواع: نسخ، ومسخ، وسلخ.

أ - النسخ ويسمى انتحالاً أيضاً - هو أن يأخذ السارق اللفظ والمعنى معاً، بلا تغيير ولا تبديل، أو بتبديل الألفاظ كلها، أو بعضها بمرادفها، وهذا مذموم وسرقة محضه - كما فعل عبد الله بن الزبير بقول مُعَنِّ بن أوس^(١) :

[الطويل]

إذا أنت لم تُنصف أخاك وجدته على طَرَفِ الهجران إن كان يعقل
ويركب حدَّ السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شُفرة السيف مزحل
وأما تبديل الألفاظ بمرادفها - كما فعل بقول الحُطَيْئَةِ :

[البسيط]

دَع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
زُرَّ المائر لا تذهب لمطلبها واجلس فإنك أنت الآكل اللابس
وقريب منه تبدل الألفاظ بضدها مع رعاية النظم والترتيب.
كما فعل بقول حسان رضي الله عنه :

[الكامل]

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شُمُّ الأنوف عن الطَّرَازِ الأولِ
فقال غيره :

[الكامل]

سود الوجوه لثيمة أحسابهم فطُس الأنوف من الطَّرَازِ الآخر

(١) الزبير بفتح فكسر في هذا - ويوجد اسم آخر بضم ففتح - ومعن بضم وفتح - ومعن بن زائدة بفتح فسكون.

ب - والمسخ - أو الإغارة: هو أن يأخذ بعض اللفظ أو يغيّر بعض النظم فإن امتاز الثاني بحسن السبك فممدوح، نحو:

[البسيط]

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللّهج
مع قول غيره:

[مخلم البسيط]

من راقب الناس مات همًّا وفاز بالّلذات الجسور
فإن الثاني أعذب وأخصر، وإن امتاز الأول فقط فالثاني مذموم وإن تساويا فالثاني لا يذم ولا يمدح، والفضل للسابق.

ج - والسلخ - ويسمى إلمامًا هو أن يأخذ السّارق المعنى وحده.

فإن امتاز الثاني فهو أبلغ - نحو:

[الطويل]

هو الصّنع أن يعمل فخير وإن يرث فللريث في بعض المواضع أنفع
مع قول غيره:

[الخفيف]

ومن الخير بطء سيبك عني أسرع السحب في المسير الجهم
وإن امتاز الأول فالثاني مذموم، وإن تماثلا فهو أبعد عن الذم - كقوله:

[الوافر]

ولم يك أكثر الفتیان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا
مع قول الآخر:

[المتقارب]

وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفيه أوسع
ويتصل بالسرقات الشعرية ثمانية أمور، الاقتباس، أو التضمين، والعقد والحل، والتلميح، والابتداء، والتخلص، والانتهاه.

١ - الاقتباس - هو أن يضمّن المتكلم منشوره أو منظومه شيئًا من القرآن أو الحديث على وجه لا يشعر بأنه منهما، فمثاله من القرآن في النثر.

فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب. حتى أنشد فأغرب، ونحو قول الحريري، أنا أنبئكم بتأويل، وأميّز صحيح القول من عليه - وكقول عبد المؤمن الأصفهاني - لا تَعْرُنْكَ من الظّلْمَة كثرة الجيوش والأنصار ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِیَوْمٍ﴾

تَشَخَّصُ فِيهِ الْأَبْصَرُ ﴿١١﴾ - وفي الشعر قوله (٢):

[المتقارب]

وثغر تنضد من لؤلؤ
إذا ما ادلهمت خطوب الهوى
بألباب أهل الهوى يلعب
يكاد سنا برقه يذهب
وقوله:

[السريع]

إن كنت أزمعت على هجرنا
وإن تبدلت بنا غيرنا
من غير ما جُرم فصبر جميل
فحسبنا الله ونعم الوكيل
وقوله:

[الخفيف]

لا تكن ظالمًا ولا ترضى بالظلم
يوم يأتي الحساب ما لظلموم
م وأنكر بكل ما يُستطاع
من حميم ولا شفيع يُطاع
وكقوله:

[الكامل]

إن كانت العشاق من أشواقهم
فلما الذي أتلو لهم يا ليتني
جعلوا التَّسِيم إلى الحبيب رسولا
كنت اتخذت مع الرسول سبيلا
وقوله:

[الكامل]

ارحلوا فلستُ مُسائلًا عن دارهم
«أنا باخِعُ نَفْسِي على آثارهم»
وقوله:

[الطويل]

ولاح بحكمتي نور الهدى
يُريدُ الجاهلون ليُطفئوه
في ليالي للضلالة مُذلهمة
وَيَأْبَى الله إِلَّا أَنْ يُتِمَّه

(١) سورة إبراهيم: ٤٢.

(٢) ولا بأس بتغيير سير في اللفظ المقتبس للوزن أو غيره نحو: [مخلع البسيط]

قد كان ما خفت أن يكونا
وفي القرآن ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِلَيْهِ رُجُوعٌ﴾ [البقرة: ١٥٦] ويكون الاقتباس مذمومًا في الهزل كقوله:
[السريع]

أوحى إلى عُشاقه طرفه
ورددني ينطق من خلفه
هيهات هيهات لما توعدون
لمثل هذا فليعمل العاملون

ومثاله من الحديث في النثر قول الحريري: شامت الوجوه، وقبح اللكع ومن يرجوه - وكقول الحريري أيضًا:

وكتمان الفقر زهادة و«انتظار الفرج بالصبر» عبادة.

ومثاله من الحديث في الشعر قوله:

[مجزوء الرمل]

سَيءُ الْخُلُقِ فِدَارَةٌ
نَسَتْ حَقَّتْ بِالْمَكَارَةِ

قال لي إن رقيبِي
قلت دعني وجهك «الجـ»
وكقوله:

[الطويل]

ولو كانت الآراء لا تتشعبُ
كما أن كل الناس قد ضمَّهم أبُ
لِمَا هو مخلوق له ومقربُ

فلو كانت الأخلاق تُحوى وارثة
لأصبح كل الناس قد ضمَّهم هوى
ولكنها الأقدار «كلُّ مُيسَّر»
وقوله:

[الرمل]

قلَّما يرعى غريبُ الوطن
خالِقُ الناس بخلق حسن^(١)

لا تعادِ الناس في أوطانهم
وإذا ما شئت عيشًا بينهم

٢ - والتضمين - هو أن يضمّن الشاعر كلامه شعرًا من شعر الغير مع التنبية عليه^(٢)

(١) وينقسم الاقتباس إلى ضربين:

الأول - ضرب منه لا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلي إلى معنى آخر كما تقدم.

الثاني - ما ينقل إلى معنى آخر، كقول ابن الرومي: [الوافر]

لئن أخطأتُ في مدحيك
ما أخطأتُ في منعي
لقد أنزلتُ حاجاتي
ببراد غيـر ذي زرع

فقد كنى بهذا الوادي عن رجل لا يرجى نفعه ولا خير فيه، وهو في الآية الكريمة وإذ لا ماء فيه ولا نبات، وقد أجازوا تغيير اللفظ المقتبس بزيادة فيه أو نقص أو تقديم أو تأخير - كما سبق.

واعلم أن الاقتباس ثلاثة أقسام:

مقبول - وهو ما كان في الخطب والمواعظ.

ومباح - وهو ما كان في الغزل والرسائل والقصص

ومردود - وهو ما كان في الهزل - كما تقدم ذكره

(٢) أما تضمينه بلا تنبيه عليه لشهرته: فكقوله: [الكامل]

حول الشقيق الغض روضة آسٍ

قد قلت لِمَا اطلعت وجناته

= ما في وقوفك ساعة من بـاسٍ

أعذاره الساري المعجول ترفقًا

إن لم يكن مشهوراً لدى نقّاد الشعر وذوي اللّسن نحو قوله :

[المتقارب]

إذا ضاق صدري وخِفْتُ العِدَا تمثّلتُ بيتًا بحالي يليقُ
فبِالله أبلغُ ما ارتجى وبِالله ادفَع ما لا أطيق
وكقول الحريري يحكي ما قاله الغلام الذي عرضه أبو زيد للبيع :

[الوافر]

على أني سأنشد عند بيعي أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا^(١)
المصرع الأخير للعرجي - وأصله :

[الوافر]

أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا ليوم كَريهَةٍ وسِدَادٍ تُغر
٣ - والعقد - هو نظم النثر مطلقاً لا على وجه الاقتباس، ومن شروطه أن يؤخذ
المنثور بجملة لفظه، أو بمعظمه، فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر - فعقد
القرآن الكريم كقوله :

[الوافر]

أنلني بالذي استقرضتَ خطّا وأشهدُ معشراً قد شاهدوه
فإن الله خلّاق البرايا عنت لجلال هيبتة الوجوه

⁼ فالمصرع الأخير مطلع قصيدة مشهورة لأبي تمام : [الكامل]

ما في وقوفك ساعة من باس تقضي حقوق الأربع الأدراس
وأحسن التضمن أن يزيد المضمن في كلامه نكتة لا توجد في الأصل كالتورية والتشبيه، كما في
قوله : [الطويل]

إذا الوهم أبدى لي لماها وثغرها تذكّرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرني من قدّها ومدامعي مجرّ عوالينا ومجرى السوابق
فالمصرعان الأخيران مطلع قصيدة لأبي الطيب المتنبي : [الطويل]

تذكّرت ما بين العذيب وبارق مجرّ عوالينا ومجرى السوابق
يريد المتنبي أنهم كانوا نزولاً بين هذين الموضعين يجرون الرماح عند مطاردة الفرسان،
ويسابقون على الخيل أما الشاعر الآخر فأراد بالعذيب تصغير العذب وعني به شفة الحبيبة،
وبارق ثغرها الشبيه بالبرق. وبما بينهما ريقها، وهذه تورية بديعة نادرة في بابها، وشبه تبختر
قدّها بتمایل الرماح وتابع دموعه بجريان الخيل السوابق.

(١) ولا بأس من التغيير اليسير كقوله : [الوافر]

أقول لمعشر غلطوا وغضوا من الشيخ الرشيد وأنكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا متى يضع العمامة تعرفوه

يقول «إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه»
وعقد الحديث الشريف كقوله:

[البسيط]

إنّ القلوب لأجنادٌ مُجَنَّدَةٌ بالإذن من ربها تهوى وتأتلفُ
فما تعارف منها فهو مُؤْتَلَفٌ وما تناكر منها فهو مختلفُ
وكقوله:

[البسيط]

واستعمل الحلم واحفظ قول بارثنا سبحانه خلق الإنسان من عَجَلٍ
٤ - والحل هو نثر النظم، وإنما يُقبل إذا كان جيّد السبك، حسن الموقع - كقوله:

[الطويل]

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق من يعتاده من توهُّم^(١)
٥ - والتلميح هو الإشارة إلى قصة معلومة أو شعر مشهور، أو مثل سائر من غير
ذكره، فالأول - نحو:

[المجتث]

يا بدر أهلك جاروا وعَلَموك التجري وقَبّحو لك وصلي
وحسّنوا لك هجري فليفعلوا ما أرادوا فإنهم أهل بدر
وكقوله: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾^(٢) أشار يعقوب في
كلام هنا لأولاده بالنسبة إلى خيانتهم السابقة في أمر أخيه يوسف - ونحو قول
الشاعر:

[الطويل]

فوالله ما أدري أحلام نائم أَلَمْتُ بنا أم كان في الركب يوشع^(٣)
والثاني - نحو:

[الطويل]

لعمرو مع الرّمضاء والنار تلتظي أرقّ وأحفى منك في ساعة الكرب

(١) نشره - لما قبحت نعلاته . وَحَنَظَلْتُ نَخْلَاتِهِ . لم يزل سوء الظن يقتاده، ويصدّق توهمه الذي يعتاده.

(٢) سورة يوسف: الآية ٦٤ .

(٣) إشارة إلى استيقاف يوشع للشمس، يروى أنه عليه السلام قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغرب قبل أن يفرغ من قتالهم ويدخل يوم السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله فأبقى له الشمس حتى فرغ من قتالهم.

إشارة إلى قول الآخر:

[البسيط]

المستجير بعمره عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار
والثالث: نحو:

[مخلع البسيط]

من غاب عنكم نسيتموه وقلبه عندكم رهينه
أظنكم في الوفاء ممن ضحبتة ضحبة السفينه
٦ - وحسن الابتداء أو براعة المطلع، هو أن يُجعل أول الكلام رقيقاً سهلاً، واضح المعاني، مستقلاً عما بعده، مناسباً للمقام، بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء بكلّيته، لأنه أول ما يقرع السمع، وبه يُعرف مما عنده.

قال ابن رشيق: إن حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطية النجاح - وذلك كقوله:

[البسيط]

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك السقم
وتزداد حسناً إذا دلّت على المقصود بإشارة لطيفة - وتسمى براعة استهلال^(١) وهي أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه بما يدلّ على مقصوده منه بالإشارة لا بالتصريح:

كقول أبي محمد الخازن مُهنّئاً صاحب ابن عباد بمولود:

[البسيط]

بُشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب المجد في أفق العلا صعدا
وقول غيره في التهئة ببناء قصر:

[الكامل]

قصر عليه تحية وسلام خَلَعَتْ عليه جمالها الأيام
وكقول المرحوم أحمد شوقي بك في الرثاء:

[الكامل]

أجل وإن طال الزمان موافي أخلي يديك من الخليل الوافي
وكقول آخر في الاعتذار:

(١) وبراعة الطلب أن يشير الطالب إلى ما في نفسه دون أن يصرح بالطلب نحو ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ آتِيَ مِنْ أَمَلٍ﴾ [هود: ٤٥] إشارة إلى طلب النجاة لابنه وكقوله: [الطويل]
وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب

[الوافر]

لنار الهمّ في قلبي لهيبٌ فعفّوا أيها الملك المهيّبُ
وقد جاء في الأخبار أنّ الشعر قُفِّل، وأوله مفتاحه.

٧ - والتخلص - هو الخروج والانتقال مما ابتدء به الكلام إلى الغرض المقصود،
برابطة تجعل المعاني آخذًا بعضها برقاب بعض، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من
نسيب إلى مدح أو غيره لشدة الالتئام والانسجام.

كقوله :

[الكامل]

وإذا جلست إلى المدام وشربها فاجعل حديثك كله في الكاسِ
وإذا نزعت عن الغواية فليكن لك ذلك النزاع لا للناسِ
وإذا أردت مديح قوم لم تُلم في مدحهم فامدح بني العباسِ
وقوله :

[الكامل]

دعت النوى بفراقهم فتشتتوا وقضى الزمان بينهم فتبدّدوا
وقد ينتقل مما افتتح به الكلام إلى الغرض المقصود مباشرة بدون رابطة بينهما،
ويسمى ذلك اقتضابًا - كقول أبي تمام :

[الخفيف]

لو رأى الله أنّ في الشيب خيرًا جاورته الأبرار في الخلدِ شيبا
كل يوم تبدي صروف الليالي خلّقا من أبي سعيد رغبيا
٨ - و«حسن الانتهاء» ويقال له «حسن الختام» هو أن يجعل المتكلم آخر كلامه
عذب اللفظ، حسن السبك، صحيح المعنى، مشعرًا بالتمام، حتى تتحقّق براءة المقطع
بحسن الختام. إذ هو آخر ما يبقى منه في الأسماع وربما حفظ من بين سائر الكلام
لقرب العهد به.

يعني أن يكون آخر الكلام مستعذبًا حسنًا لتبقى لذته في الأسماع مؤذنًا بالانتهاء،
بحيث لا يبقى تشوقًا إلى ما وراءه، كقول أبي نواس :

[الطويل]

وإني جدير إذ بلّغتكم بالمنى وأنت بما أمّلتُ فيك جدير
فإن ثولني منك الجميل فأهله وإلا فإني عاذرٌ وشكورٌ
وقول غيره :

[الطويل]

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبرية شامل

وقول ابن جِجَّة:

عَلَيْكَ سَلام نَشْرَه كَلِّما بَدَى به يَتَغالى الطَّيِّب والمَسْك يَخْتَم
وقول غيره:

ما أَسأل الله إِلا أن يَدومَ لَنّا لا أن تَزِيدَ مَعاليه فَقَد كُمَلت
[البسيط]

فهرس المحتويات

٣	ترجمة المؤلف
٥	أقوال أئمة العلماء الأعلام وآراء الأساتذة الكبار في كتاب جواهر البلاغة
٧	تمهيد
٩	مقدمة في معرفة الفصاحة والبلاغة
٩	الفصاحة
١٠	فصاحة الكلمة
١٣	تطبيق (١)
١٦	تطبيق (٢)
١٨	تدريب (١)
١٩	تدريب (٢)
٢٠	فصاحة الكلام
٢٤	تطبيق
٢٧	فصاحة المتكلم
٢٧	أسئلة على الفصاحة يطلب أجوبتها
٢٧	البلاغة
٢٨	بلاغة الكلام
٢٩	بلاغة المتكلم
٣٠	تمرين
٣١	ملاحظات

علم المعاني

٤٠	الباب الأول: في تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء
٤٠	المبحث الأول: في حقيقة الخبر
٤١	الأغراض التي من أجلها يلقي الخبر
٤١	المبحث الثاني: في كيفية إلقاء المتكلم الخبر للمُخاطب
٤٢	تنبيهات
٤٥	تدريب
٤٦	نموذج في بيان أغراض الأخبار
٤٧	تطبيق (١)
٤٩	تطبيق (٢)
٥٠	المبحث الثالث: في تقسيم الخبر إلى جملة فعلية وجملة اسمية
٥١	أسئلة يطلب أجوبتها
٥١	تدريب
٥٣	الباب الثاني: في حقيقة الإنشاء وتقسيمه
٥٤	المبحث الأول: في الأمر
٥٦	تمرين
٥٨	نموذج
٥٨	يَبَيِّنُ نَوْعَ الإنشاء وصيغته في الأمثلة الآتية
٥٨	أسئلة على الإنشاء والأمر يطلب أجوبتها

٥٩	المبحث الثاني: في النّهي
٦٠	تطبيق
٦١	المبحث الثالث: في الاستفهام
٦٣	تنبيهات
٦٧	تطبيق
٦٨	أسئلة على الاستفهام يطلب أجوبتها
٦٩	المبحث الرابع: في التّمني
٧٠	تمرين
٧١	المبحث الخامس: في النّداء
٧٣	تمرين
٧٤	تنبيهات
٧٥	تطبيق (أ)
٧٦	تطبيق (ب)
٧٦	تدريب
٧٧	أسئلة يطلب أجوبتها
٧٧	تطبيق عام على الباب الثاني
٨٠	الباب الثالث: في أحوال المُسند إليه
٨٠	المبحث الأول: في ذكر المسند إليه
٨١	المبحث الثاني: في حذف المُسند إليه
٨٣	تدريب
٨٤	تطبيق
٨٥	المبحث الثالث: في تعريف المسند إليه
٨٦	المبحث الرابع: في تعريف المسند إليه بالإضمام
٨٦	تنبيهات
٨٧	المبحث الخامس: في تعريف المسند إليه بالعملية
٨٨	المبحث السادس: في تعريف المسند إليه بالإشارة
٨٩	المبحث السابع: في تعريف المسند إليه بالموصولية
٩١	المبحث الثامن: في تعريف المسند إليه بآل
٩١	آل العهدية
٩٢	آل الجنسية
٩٢	المبحث التاسع: في تعريف المسند إليه بالإضافة
٩٤	المبحث العاشر: في تعريف المسند إليه بالنّداء
٩٤	المبحث الحادي عشر: في تنكير المسند إليه
٩٥	المبحث الثاني عشر: في تقديم المسند إليه
٩٨	المبحث الثالث عشر: في تأخير المسند إليه
٩٨	تطبيق عام على أحوال المسند إليه وما قبله
١٠٠	أسئلة على أحوال المسند إليه يطلب أجوبتها
١٠١	الباب الرابع: في المسند وأحواله
١٠١	المبحث الأول: في ذكر المسند أو تركه

١٠٢	والقرينة
١٠٣	المبحث الثاني: في تعريف المسند أو تنكيره
١٠٣	يُعرف المسند
١٠٣	المبحث الثالث: في تقديم المسند أو تأخيرهِ
١٠٥	تمرين
١٠٦	تطبيق عام على أحوال المسند
١٠٧	أسئلة على أحوال المسند يطلب أجوبتها
١٠٨	الباب الخامس: في الإطلاق - والتقييد
١٠٩	المبحث الأول: في التقييد بالتعنت
١٠٩	المبحث الثاني: في التقييد بالتوكيد
١١٠	المبحث الثالث: في التقييد بعطف البيان
١١٠	المبحث الرابع: في التقييد بعطف النسق
١١١	المبحث الخامس: في التقييد بالبدل
١١١	المبحث السادس: في التقييد بضمير الفضل
١١٢	المبحث السابع: في التقييد بالنواسخ
١١٢	المبحث الثامن: في التقييد بالشرط
١١٢	الفرق بين إن - وإذا - ولو
١١٣	تنبيهات
١١٥	المبحث التاسع: في التقييد بالنفي
١١٦	المبحث العاشر: في التقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها
١١٦	تنبيهان
١١٨	تطبيق عام على الإطلاق والتقييد
١٢٠	أسئلة على الإطلاق والتقييد يطلب أجوبتها
١٢١	الباب السادس: في أحوال متعلقات الفعل
١٢٣	الباب السابع: في القصر
١٢٣	المبحث الأول: في طريق القصر
١٢٥	ملاحظات
١٢٥	المبحث الثاني: في تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع إلى قسمين
١٢٦	المبحث الثالث: في تقسيم القصر باعتبار طرفيه
١٢٧	المبحث الرابع: في تقسيم القصر الإضافي
١٢٧	تطبيق (١)
١٢٨	تطبيق (٢)
١٣٠	أسئلة على القصر يطلب أجوبتها
١٣١	تطبيق عام على القصر - والأبواب السابقة
١٣٣	الباب الثامن: في الوصل والفصل
١٣٤	المبحث الأول: في مواضع الوصل
١٣٦	المبحث الثاني: في مواضع الفصل
١٣٧	إيضاح وتحديد
١٤٠	تنبيهان

١٤٣	أسئلة على الوصل والفصل يطلب أجوبتها
١٤٣	تطبيق عام على الوصل والفصل
١٤٤	تمرين (١)
١٤٨	الباب التاسع: في الإيجاز والإطناب والمساواة
١٤٨	المبحث الأول: في الإيجاز وأقسامه
١٥٢	المبحث الثاني: في الإطناب وأقسامه
١٥٧	المبحث الثالث: في المساواة
١٥٧	أسئلة على الإيجاز والإطناب والمساواة يطلب أجوبتها
١٥٨	تطبيق عام على الإيجاز والإطناب والمساواة
١٥٩	تمرين
١٦١	خاتمة

علم البيان

١٦٨	الباب الأول: في التشبيه
١٦٩	المبحث الأول: في تقسيم طرفي التشبيه إلى حسي وعقلي
١٦٩	المبحث الثاني: في تقسيم طرفي التشبيه باعتبار الأفراد والتركيب
١٧١	المبحث الثالث: في تقسيم طرفي التشبيه باعتبار تعددهما
١٧٢	تمرين
١٧٧	المبحث الرابع: في تقسيم التشبيه باعتبار وجه الشبه
١٨٠	المبحث الخامس: في أدوات التشبيه
١٨١	المبحث السادس: في فوائد التشبيه
١٨٣	تشبيه على غير طرقه الأصلية
١٨٤	المبحث السابع: في تقسيم التشبيه باعتبار الغرض إلى مقبول وإلى مردود
١٨٤	أسئلة يطلب أجوبتها
١٨٦	تطبيق عام على أنواع التشبيه
١٨٧	تمرين
١٨٨	بلاغة التشبيه
١٩١	الباب الثاني: في المجاز
١٩١	المبحث الأول: في المجاز وأنواعه
١٩٢	المبحث الثاني: في المجاز المفرد المُرسَل
١٩٥	نَمُودَجْجْ
١٩٦	الإجابة
١٩٦	بلاغة المجاز المرسل والمجاز العقلي
١٩٧	المبحث الثالث: في المجاز المفرد بالاستعارة
١٩٨	المبحث الرابع: في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يذكر من الطرفين
٢٠٠	المبحث الخامس: في الاستعارة باعتبار الطرفين
٢٠١	المبحث السادس: في الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار
٢٠٤	المبحث السابع: في تقسيم الاستعارة المصروفة باعتبار الطرفين إلى عنادية ووفاقية
٢٠٥	المبحث الثامن: في تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع
٢٠٨	المبحث التاسع: في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يتصل بها من المُلايِمات وعدم اتّصالها ..

٢٠٩	المبحث العاشر: في المجاز المرسل المركب
٢١٠	المبحث الحادي عشر: في المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية
٢١٣	أسئلة على الاستعارة يطلب أجوبتها
٢١٣	تمرين آخر على كيفية إجراء الاستعارات
٢١٦	تطبيق عام على المجاز وأنواع الاستعارة
٢١٨	بلاغة الاستعارة بجميع أنواعها
٢٢٠	الباب الثالث: في الكناية
٢٢٤	تمرين (٢)
٢٢٦	بلاغة الكناية
٢٢٨	أثر علم البيان في تأدية المعاني

علم البديع

٢٣٣	الباب الأول: في المحسنات المعنوية
٢٣٣	١- التورية
٢٣٤	٢- الاستخدام
٢٣٥	٣- الاستطراد
٢٣٦	٤- الافتنان
٢٣٦	٥- الطباق
٢٣٧	٦- المقابلة
٢٣٧	٧- مراعاة النظرير
٢٣٨	٨- الإحصاء
٢٣٩	٩- الإدماج
٢٣٩	١٠- المذهب الكلامي
٢٣٩	١١- حسن التعليل
٢٤١	١٢- التجريد
٢٤٢	١٣- المشاكلة
٢٤٣	١٤- المزوجة
٢٤٣	١٥- الطي والنشر
٢٤٤	١٦- الجمع
٢٤٥	١٧- التفريق
٢٤٥	١٨- التقسيم
٢٤٦	١٩- الجمع مع التفريق
٢٤٦	٢٠- الجمع مع التقسيم
٢٤٧	٢١- المبالغة
٢٤٨	٢٢- المغايرة
٢٤٨	٢٣- تأكيد المدح بما يشبه الذم
٢٤٩	٢٤- تأكيد الذم بما يشبه المدح
٢٤٩	٢٥- الإيهام أو التوجيه
٢٥٠	٢٦- نفي الشيء بإيجابه
٢٥٠	٢٧- القول بالموجب

٢٨٨	٢٨ - ائتلاف اللفظ مع المعنى
٢٥١	٢٩ - التفرع
٢٥٢	٣٠ - الاستتباع
٢٥٢	٣١ - السلب والإيجاب
٢٥٣	٣٢ - الإبداع
٢٥٤	٣٣ - الأسلوب الحكيم
٢٥٥	٣٤ - تشابه الأطراف
٢٥٦	٣٥ - العكس
٢٥٧	٣٦ - تجاهل العارف
٢٥٧	تمرين (١)
٢٥٨	تمرين (٢)
٢٥٩	تطبيق عام على البديع المعنوي
٢٦١	الباب الثاني: في المحسنات اللفظية
٢٦١	١ - الجناس
٢٦٢	أنواع الجناس اللفظي
٢٦٦	أنواع الجناس المعنوي
٢٦٦	٢ - التصحيف
٢٦٦	٣ - الازدواج
٢٦٧	٤ - السجع
٢٦٨	٥ - الموازنة
٢٦٨	٦ - الترصيع
٢٦٨	٧ - التشريع
٢٦٩	٨ - لزوم ما لا يلزم
٢٧٠	٩ - التصدير «أو» رد العجز على الصدر
٢٧٠	١٠ - ما لا يستحيل بالانعكاس
٢٧١	١١ - المواردية
٢٧١	١٢ - ائتلاف اللفظ مع اللفظ
٢٧١	١٣ - التسميط
٢٧١	١٤ - الانسجام أو السهولة
٢٧٢	١٥ - الاكتفاء
٢٧٢	١٦ - التطريز
٢٧٢	نموذج
٢٧٤	خاتمة في السرقات الشعرية وما يتبعها
٢٨٣	فهرس المحتويات